

الدكتور على محمود إسماعيل الفار

الأنثروبولوجيا الاجتماعية
الدراسات العقلية في المجتمعات البدائية والقروية والحضرية



الهيئة المصرية العامة للكتاب
فرع الإسكندرية

١٦٩

الأنثروبولوجيا الاجتماعية

الدراسات العقلية في المجتمعات البدائية والقروية والحضرية

تأليف
الدكتور على محمود اسلم الفار

طبعة مزيّدة ومنقّحة

سنة ١٩٧٦



الهيئة الوطنية العامة للكتاب

مركز الإسكندرية

٤٣٨٥٦

لهتداء

الى أضي

أمين محمود اسلم الفار

رقم الإيداع بدار الكتب ٧٦/٥٠٥٨

ISBN ٩٧٧-٢٠١-١٦٧-٠

شركة الاسكندرية للطباعة والنشر

ابراهيم محمد السيد وهب

تليفون : ٣٥٨٤١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

تحتاج المكتبة العربية ، في الوقت الحاضر ، إلى كتاب يتناول بالدراسة البحوث الحقلية التي أجراها علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية في المجتمعات البدائية والقروية والحضرية . ومن أجل ذلك ، فقد قمت بتأليف كتابي هذا بغرض محاولة سد هذا الفراغ . ويتكون هذا الكتاب من سبعة عشر فصلا وبعض النصوص الأنثروبولوجية باللغة الانجليزية .

ويشتمل الفصل الأول على عرض تاريخي موجز لتطور الأنثروبولوجيا الاجتماعية . ويحتوي الفصلان الثاني والثالث على دراسة لمورجان وتايلور كمثال للدراسات التطورية التي كانت سائدة في ميدان هذا العلم خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر . كما تناولنا بالدراسة كذلك في الفصل الرابع البحث الحقل الذي قام به فرانز بواس عن الاسكيمو خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر .

أما بالنسبة للدراسات الحقلية عن المجتمعات البدائية في القرن العشرين ، فقد خصصنا لهذا الغرض سبعة فصول تناولنا فيها بالدراسة بشيء من التفصيل دراسة أ . ر . رادكليف براون عن سكان جزر الاندمان ، دراسة ب . مالينوسكي عن سكان جزر التروبرياندا ، دراسة ش . ج . ساجمان وزوجته عن قبائل جنوب السودان ، دراسة ل . ل . إيفانز پریتشارد عن قبائل الازاندي

والنوير ، دراسة ريموند فيرث عن سكان جزيرة تيكوريا ، دراسة و. ل. وورنر عن المورنجن في شمال أستراليا .

وبالنسبة للدراسات الحقلية في المجتمعات القروية والحضرية ، فقد خصصنا لهذا الغرض أربعة فصول تناولنا فيها بالدراسة بشئ من التفصيل دراسة جون إمبى عن «سوى مورا» ، باليابان ، دراسة س. دوبي عن «شاميريت» ، في الهند ، دراسة روبرت س. لند وهيلين م. لند عن «ميدلتاون» ، بالولايات المتحدة ، دراسة و. ل. وورنر وزملاؤه عن «يانكى سيتى وجونزفيل» ، في الولايات المتحدة .

ويحتوى الفصل السادس عشر على دراسة للأسباب التى دعت العلماء إلى الاهتمام بدراسة المجتمعات البدائية ؛ كما أنه يحتوى أيضا على دراسة لانجاء العلماء لدراسة المجتمعات القروية والحضرية . ويشتمل الفصل السابع عشر على بعض الملاحظات عن البحث الحقلى . ومن الموضوعات التى تناولناها بالدراسة فى هذا الفصل نذكر : الملاحظة بالمشاركة ، الجمع بين الملاحظة والمقابلة ، تسجيل الملاحظة والمقابلة ، مدة الدراسة الحقلية ، اللغة كأداة للبحث الحقلى ، الصورة الفوتوغرافية ، اختيار المخبرين ... الخ .

كذلك يجد القارىء أيضا فى هذا الكتاب نهوضا باللغة الانجليزية ؛ وقد تم اختيارها من أمهات الكتب فى ميدان الأنثروبولوجيا الاجتماعية .

وفضلا عما تقدم ، فإن القارىء يجد أيضا مجموعة كبيرة من الصور الفوتوغرافية والأشكال والخرائط .

هذا ويهمنى أن نشير هنا إلى أن هذه الطبعة (سنة ١٩٧٦) مزيّدة ومنقحة ؛

وهي تختلف كثيرا عن طبعة سنة ١٩٦٨ (الأنثروبولوجيا الاجتماعية - دراسة المجتمعات البدائية - الشركة القومية للتوزيع - سنة ١٩٦٨) . فهناك إضافات فى خمسة فصول ، وهذه الفصول هى : الفصل الأول (مقدمة تاريخية) ، الفصل الرابع (قبائل الاسكيمو) ، الفصل الخامس (سكان جزر الاندمان) ، الفصل السادس (سكان جزر التروبرياندا) ، الفصل السابع (قبائل جنوب السودان) . كذلك يجد القارىء أيضا فى هذه الطبعة من الكتاب ، خمسة فصول جديدة لم تكن موجودة فى طبعة سنة ١٩٦٨ . وهذه الفصول هى : الفصل الثانى عشر (سوى مورا) ، الفصل الثالث عشر (شاميريت) ، الفصل الرابع عشر (ميدلتاون) ، الفصل الخامس عشر (يانكى سيتى وجونزفيل) ، الفصل السابع عشر (ملاحظات عن البحث الحقلى) . وبالإضافة إلى ما تقدم فهناك أيضا تعديلات وإضافات عديدة بالنسبة للصور الفوتوغرافية والنصوص الانجليزية .

وأتمنى هذه الفرصة لأعبر عن شكرى وتقديرى للأستاذ أحمد معروف مراقب عام الهيئة المصرية العامة للكتاب فرع الاسكندرية لما قدمه من التعديلات فى مختلف مراحل طباعة هذا الكتاب .

وختاماً فإننا نرجو أن نكون بهذا الجهد المتواضع قد وفقنا فى سد بعض الفراغ فى المكتبة العربية . والله ولى التوفيق ؟

الاسكندرية فى أول نوفمبر سنة ١٩٧٦ .

على محمود إسلام الفار

محتويات الكتاب

المقدمة	١
الفصل الأول	١
الفصل الثاني	١٥
الفصل الثالث	٢٢
الفصل الرابع	٢٨
الفصل الخامس	٥٤
الفصل السادس	٩٤
الفصل السابع	١٥٠
الفصل الثامن	١٨٤
الفصل التاسع	٢١٦
الفصل العاشر	٢٤٦
الفصل الحادي عشر	٢٧٧
الفصل الثاني عشر	٢٩٢
الفصل الثالث عشر	٣٣١
الفصل الرابع عشر	٣٥٢
الفصل الخامس عشر	٣٧١
الفصل السادس عشر	٤٠٠
الفصل السابع عشر	٤٠٦
قراءات في الأنثروبولوجيا الاجتماعية (باللغة الإنجليزية)	٤٣٧

الفصل الأول

مقدمة تاريخية

من المتفق عليه أن الأنثروبولوجيا الاجتماعية، كعلم منهجي، لم تظهر إلا في منتصف القرن التاسع عشر تقريبا (١). ومن الرواد الأوائل الذين قاموا بتدريس الأنثروبولوجيا في الجامعات نذكر سير إدوارد دب. تايلور Sir Edward B. Tylor في بريطانيا (٢) وفرانز بواس Franz Boas في الولايات المتحدة (٣). وقد شاع استخدام اسم «الأنثروبولوجيا الاجتماعية» Social Anthropology في إنجلترا خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر، ولم يلبث أن أعترف به بعد ذلك في الجامعات البريطانية. ويعتبر سير جيمس فريزر Sir James Frazer هو أول شخص يحصل على لقب «أستاذ الأنثروبولوجيا الاجتماعية».

(١) R. L. Beals & H. Hoijer, *An Introduction to Anth. hropology*, (New York, fifth printing, 1956), p 604.

(٢) B. R. Marett, «Tylor», in *Encyclopaedia of the Social Sciences* (1948, volume: XV), p.p. 134 135.

(٣) A. Kardiner & E. Preble, *They Studied Man* (A Mentor Book, 1963), p. 120.

Professor of Social Anthropology فقد منحه جامعة ليفربول درجة الأستاذية الشرفية سنة ١٩٠٨ (١).

إلا أنه يهمن أن نشير إلى أن البحث في شئون المجتمعات الإنسانية قديم قدم الإنسان نفسه ، وقبل ظهور الانثروبولوجيا الاجتماعية كعلم .

فالمؤرخ اليوناني العظيم هيرودوتس Herodotus (٤٨٠ - ٤٢٥ ق.م.) كان رحلة محبا للأسفار . وقد قدم لنا وصفا للحياة الاجتماعية في مصر ، كما قدم لنا أيضا وصفا لحياة بعض الشعوب البربرية وجدير بالذكر أن البعض من الباحثين يطلق على هيرودوتس لقب « أبو الانثروبولوجيا » (٥) ، Father of anthropology .

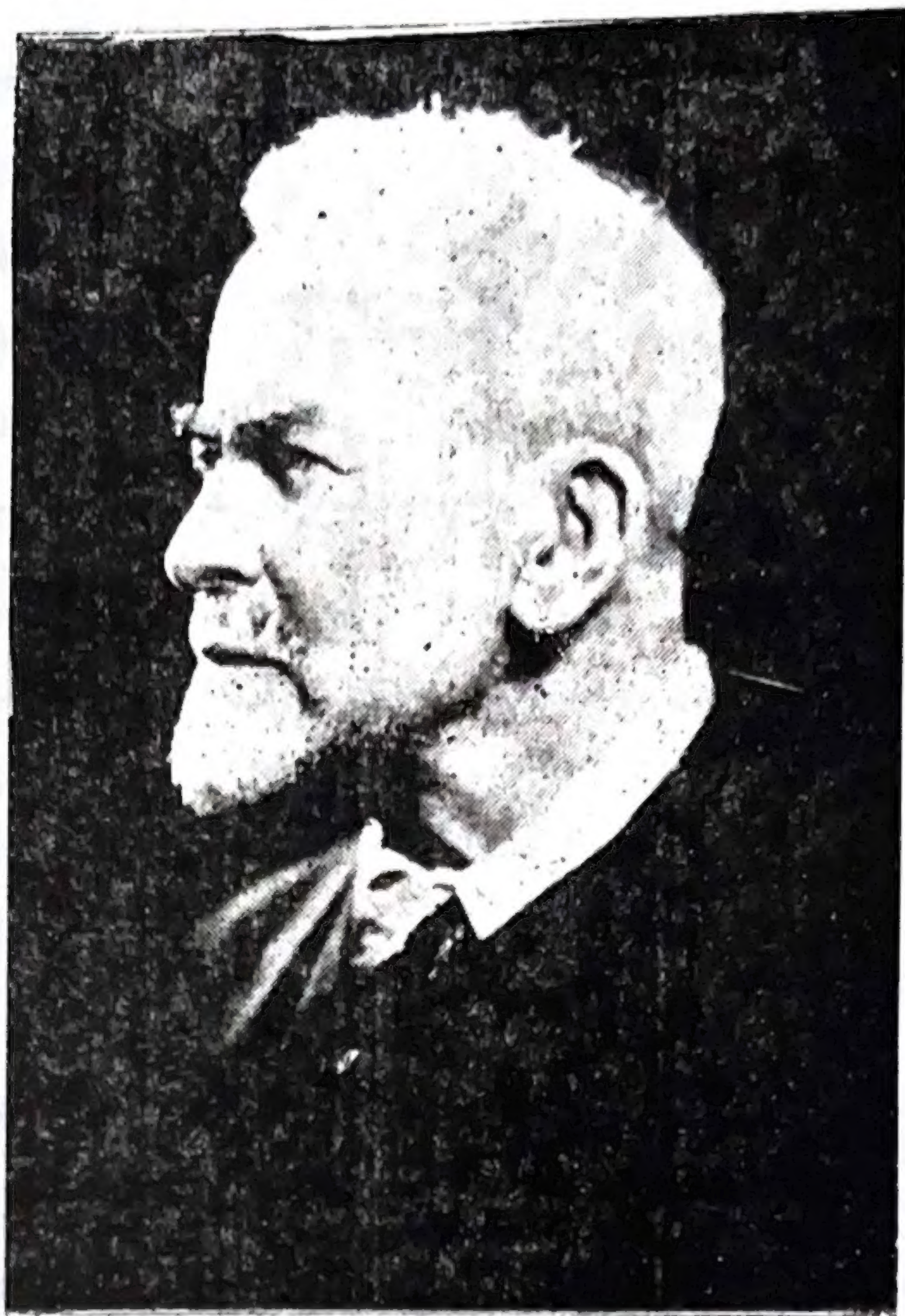
كذلك نجد في كتابات الكثير من الرحالة travellers وصفا لعادات الشعوب في بقاع مختلفة من العالم ومن الأمثلة على ذلك نذكر ماركو بولو (٦) Marco Polo (١٢٥٤ - ١٣٢٣) ، وابن بطوطة (٧) (١٣٠٤ - ١٣٧٧) .

A. R. Radcliffe-Brown, *Method in Social Anthro. (١) pology*. (Chicago, 1958), p. 133.

C. Kluckhohn, *Mirror for Man*, (Eleventh Pawcell (٥) Premier printing, 1967), p. 12.

Alfred C. Haddon, *History of Anthropology*, (London (١) 1934), p. 102.

(٧) ولد عبد ابن بطوطة في مدينة طنجة سنة ١٣٠٤ وأقام بها حتى بلغ الثمانية والعشرين من عمره . وادام ابن بطوطة ثلاث رحلات في الفترة من سنة ١٣٢٥ حتى سنة ١٣٥٤ . ومن البلاد التي زارها نذكر : مراکش ، الجزائر ، تونس ، طرابلس ، مصر ، فلسطين ، =



صورة رقم ١/

سیر جیمس فریزر

وفي خلال النصف الثاني من القرن الرابع عشر ، ظهر « كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر » . وقد قدم عبد الرحمن ابن خلدون (١٣٣٢ - ١٤٠٦) لهذا المؤلف بحث عام في شؤون الاجتماع الانساني ، وهو البحث الذي اشتهر باسم « مقدمة ابن خلدون » . وترجع أهمية هذه المقدمة إلى ابن خلدون قد دعا فيها إلى إنشاء علم لدراسة الظواهر الاجتماعية اطلق عليه اسم « علم العمران البشري » .

ولا شك أن المبشرين Missionaries كان لهم أيضا دورهم الهام بالنسبة لجمع المعلومات عن كثير في المجتمعات . وفي أمثلة الدراسات التي قدمها لنا المبشرون نذكر دراسة جوزيف ف . لافيتو Joseph F. Lafitau (١٦٧٠ - ١٧٤٠) عن قبائل الهيرون والإيروكوا ودراسة فيدي شارل فوا FX de Charlevoix (١٦٨٢ - ١٧٦١) عن الهنود الحمر في كندا (٨) .

وفي القرن التاسع عشر دعا « أو جيست كونت Auguste Conte »

لبنان ، سوريا ، الحجاز ، العراق ، بلاد العجم ، بلاد الأفانول ، اليمن ، عمان ، البحرين ، الهند ، أفغانستان ، الصين ، بلاد الأندلس ، السودان . وقد سجل ابن بطوطة مذكراته من البلاد التي زارها في كتابه « تحفة النظار ، في غرائب الأمصار ، وعجائب الأسفار »

(٨) Alfred C. Haddon, *History of Anthropology*, p. 102

ومن الدراسات الهامة التي قدمها لنا المبشرون أيضا نذكر دراسة كودرنجتون

« الملائكيون » (١٨٩١) ودراسة روسكو من « الباجاندا » (١٩١١) . أنظر :

R. H Codrington, *The Melanesians*, (New Haven, 1957); J.

Roscoe, *The Baganda : their Customs and Beliefs*, 1911.

(١٧٩٨ - ١٨٥٧) إلى قيام علم يهدف إلى دراسة الظواهر الاجتماعية دراسة علمية . وقد أطلق عليه كروت اسم « علم الاجتماع Sociology » (١) . وفي القرن التاسع عشر ، أيضا ، ظهرت كتابات عديدة عن مناطق مختلفة في العالم قدمها لنا الرحالة والمبشرون ورجال الإدارة والتجار .

ويلاحظ أن الكثير من هذه الدراسات يتسم بالسطحية ، بينما نجد أن البعض الآخر منها يتسم بالدقة والامانة . ومن أحسن الدراسات التي ظهرت في القرن التاسع عشر نذكر دراسة إدوارد ويليام لين Edward W. Lane « المصريين المحدثون The Modern Egyptians » (سنة ١٨٢٦) ودراسة كودرنجتون Cedrington « الميلانيزيون The Melanesians » (سنة ١٨٩١) . ويهمن أن تشير إلى هاتين الدراستين بشيء من الإيجاز .

أولا - دراسة إدوارد ويليام لين « المصريون المحدثون » :

عاش إدوارد ويليام لين في إنجلترا في القرن التاسع عشر (١٨٠١-١٨٧٦) . وقد اشتغل في مهنة حياته نقاشا بمدينة لندن ، إلا أنه لم يلبث أن هجر تلك المهنة بعد ذلك واتجه للدراسات الشرقية . وفي سنة ١٨٢٥ سافر لين إلى مصر لدراسة اللغة العربية بالقاهرة . إلا أنه ما لبث أن أبدى اهتماما شديدا بعادات الأهالي . فاتجه لدراستها وتسجيل ملاحظاته عنها طوال إقامته بالبلاد . وفي سنة

١٨٣٦ نشر كتابه :

An Account of The Manners And Customs of The Modern Egyptians .

Murvin Harris, *The Rise of Anthropological Theory* (١)

(London, 1968), p p. 58-60.

ويهدف هذا الكتاب إلى تقديم صورة عن عادات المصريين في بداية القرن التاسع عشر . ويشتمل الكتاب على مقدمة وثمانية وعشرين فصلا تبحث في جوانب مختلفة في حياة السكان مثل الدين والقوانين ، الحكومة ، الحياة العائلية ، اللغة ، الخرافات ، السحر ، الصناعات ، الحامات ، الموسيقى ، الموت وشعائر الجناسات .

وبالنسبة لوسائل جمع البيانات ، فإن لين يذكر أنه قد قرأ كثيرا مما كتب عن منطقة البحث ، كما أنه بدأ في تعلم اللغة العربية قبل حضوره إلى مصر . وفي خلال إقامته بالبلاد ، كان يراعى الزى الوطنى ويتحدث لغة الأهالي أنفسهم . كما أنه كان يحرص على أن يراعى عاداتهم وتقاليدهم . فقد امتنع عن الطعام والشراب الذى يحرمه الدين الاسلامى مثل لحم الخنزير والخمور ، كما امتنع أيضا عن بعض العادات التي كان الأهالي يعتبرونها غير مقبولة مثل استخدام الشوكة والسكين عند تناول الطعام . وفي الحقيقة لقد كانت الملاحظة من أهم المصادر التي اعتمد عليها المؤلف في جمع البيانات ، فكان يختلط بالأهالي ويلاحظ عاداتهم . كما أنه قد اعتمد كذلك على المخبرين من الأهالي . فكان يدعو الكثير منهم إلى مسكنه للتحدث معهم في المسائل التي شاهدها بنفسه ويرغب في الاستفسار عنها ، أو للتحدث معهم عن بعض النواحي التي يتعذر عليه هو شخصيا أن يقوم بملاحظتها .

والكتاب يحتوى على مجموعة كبيرة من الصور رسمها لين بنفسه ، وقد بلغ عددها ١٣١ صورة . انظر :

E.W. Lane ' *The Mod. in Egyptians* (London, 1944)

ثانيا - دراسة كودر نجتون ، البلازيون ، ١

كان ر. ه. كودر نجتون R. H. Codrington أحد أعضاء البعثة التبشيرية في ميلانيزيا . وهو يذكر لنا في مقدمة كتابه أنه قد جمع ملاحظاته عن عادات الأهل في الفترة من سنة ١٨٦٢ حتى سنة ١٨٧٧ . وبالنسبة لوسائل جمع البيانات فقد أقام بمنطقة البحث وأعتمد على الملاحظة وأقوال المخبرين من الأهل :

« It has been my endeavour in the following pages to bring together the results of such observations as many years' acquaintance with Melanesian people has enabled me to make ».

[R. H. Codrington, *The Melanesians*, Preface to the First Edition, p. V.]

وقد ظهرت الطبعة الأولى من الكتاب سنة ١٨٩١ . ويحتوي الكتاب على دراسة لجوانب مختلفة من الحياة الاجتماعية . ومن الموضوعات التي تناولها كودر نجتون بالدراسة نذكر : القرابة ، الزعماء ، الملكية والميراث ، الجمعيات السرية ، الدين ، الأماكن المقدسة ، القرابين ، الصلوات ، السحر ، المولد والطفولة والزواج ، الموت والدفن وما بعد الموت ، الرقص ، الموسيقى ، الألعاب . أنظر :

R. H. Codrington., *The Melanesians*, (HRAF Press, New Haven, 1957) .

ولم تظهر الدراسات المنهجية النظم الاجتماعية إلا خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر (١٠) . فقد ظهر كتاب سير هنري مين Sir Henry S Maine

(١٠) E. E. Evans-Pritchard, *Social Anthropology and Other Essays*, (The Free Press, New York, 1956), p. 27.

(١٨٢٢ - ١٨٨٨) ، القانون القديم *Ancient Law* سنة ١٨٦١ وكتاب باخوفن Bachofen (١٨١٥ - ١٨٨٧) ، «حق الأم» *Das Mutterrecht* سنة ١٨٨٦ وكتاب فوسثيل دي كولانج Fustel De Coulanges (١٨٢٠ - ١٨٨٩) ، المدينة المتينة *La Cité Antique* ، سنة ١٨٦٤ ، وكتاب أ. ب. تايلور (١٨٢٢ - ١٩١٧) ، «أبحاث في التاريخ القديم للجنس البشري» *Researches into the Early History of Mankind* سنة ١٨٦٥ وكتاب الأخرى الثقافة البدائية *Primitive Culture* سنة ١٨٧١ وكتاب ل. ه. مورجان Lewis Henry Morgan (١٨١٨ - ١٨٨١) ، «نسق روابط الدم والمصاهرة في العائلة الإنسانية» *Systems of Consanguinity and Affinity of the human Family* سنة ١٨٧١ وكتاب الأخرى المجتمع القديم *Ancient Society* سنة ١٨٧٧ . ثم كتاب سير ج. فريزر Sir James Frazer (١٨٥٤ - ١٩٤١) ، «الفنن الذهبي» *The Golden Bough* ، سنة ١٨٩٠

هذا ويهمننا أن نشير هنا إلى أن العلماء في القرن التاسع عشر قد ركزوا جهودهم على دراسة أصل النظم الاجتماعية . وتعتبر كتابات مورجان وتايلور ومين وباخوفن وما كلذان أمثلة تبين لنا مدى سيطرة النظرية التطورية على الدراسات الأنثروبولوجية في ذلك الحين (١١) .

(١١) جدير بالذكر أن العلماء التطوريين evolutionists في القرن التاسع عشر كانوا يبدون اهتماما كبيرا بدواسته الاختراعات inventions ، كما أنهم كانوا يميلون أيضا إلى التقليل من أهمية الانتشار diffusion كعامل في بناء الثقافات Cultures .

(Beals & Hoijer, *An Introduction to Anthropology* p. 614.)

وعلى العكس من ذلك ، نجد قريبا آخر من العلماء يبدون اهتماما كبيرا بدراسة الانتشار

كما يبين أن تشير كذلك إلى أن علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية في القرن التاسع عشر لم يقوموا هم أنفسهم بملاحظة الوقائع التي يبنون عليها نظرياتهم، وإنما كانوا يعتمدون على كتابات المبشرين والرحالة والتجار وحكام المستعمرات لتزويدهم بالمعلومات اللازمة. وقد قامت الجمعية البريطانية لتقدم العلوم The British Association For The Advancement Of Science

التي تأسست في سنة ١٨٣١م وبمبادرة من W. H. R. Rivers و G. Elliot Smith و W. J. Perry من أشهر ممثلي المدرسة الانتشارية في بريطانيا British diffusionists ويرى سميت ويرى أن الحضارة الحقة إنما وجدت فقط في مصر القديمة، وأن هذه الحضارة المصرية القديمة قد انتشرت إلى الأجزاء المختلفة من العالم،

« ... in rapid succession they [the inhabitants of the Nile Valley] invented pottery, basketry, matting, houses, and flax; learned to domesticate animals; built towns; and began to bury their dead in cemeteries and to develop notions of deity. As the Egyptians progressed in civilization, they set about journeying by land, and sea over great distances in search of precious metals and other raw materials, And in so doing, they rapidly spread, through diffusion and colonization, varieties of the original archaic civilization, which had been founded on the banks of the Nile ».

(M. Harris, The Rise of Anthropological Theory, p. p. 380—381).

كما يرى سميت وأتباعه أيضاً أن الانتشارية borrowing تكاد تكون هي الوسيلة الوحيدة التي تؤدي إلى حدوث التغير الثقافي. ويجدير بالذكر أن الليوت سميت (١٨٧١ — ١٩٣٧) قد حضر إلى مصر واشتغل بجامعة القاهرة أستاذاً لعلم التاريخ فترة من الزمن.

بشركتاب Notes And Queries On Anthropology سنة ١٨٧٤. ولقد كان الغرض من صدور ذلك الكتاب هو مساعدة الأفراد كالرحالة والمبشرين للقيام بملاحظة المجتمعات البدائية بطريقة سليمة، وجمع المعلومات التي تلزم للدراسات الأنثروبولوجية التي يقوم بها العلماء في بريطانيا (١٢).

ولقد كان نتيجة لعدم اهتمام علماء القرن التاسع عشر بالنزول إلى الميدان لملاحظة الظواهر الاجتماعية بأنفسهم، أننا نجد أن الدراسات العقلية التي قام بها هؤلاء العلماء كانت قليلة. فهناك دراسة مورجان عن الإيروكوا (سنة ١٨٥١) ودراسة بواس عن الاسكيمو (٨٣ — ١٨٨٤) ودراسة بعثة جامعة كمبرج إلى مضائق توريس The Cambridge Expedition To Torres Straits (١٨٩٨ — ١٨٩٩) وكانت هذه البعثة برئاسة هادون Haddon

وعضوية ريفرز W. H. R. Rivers ، ماكدوجل W. Mc Dougall ، ساجمان C. G. Seligman ، ميرز C. S. Myers سيدني راي Sidney Ray ، أ. ويلكنز A. Wilkins. وقد قضت البعثة في منطقة البحث عاماً واحداً (١٨٩٨ — ١٨٩٩). ومن النقد الذي يوجه إلى تلك البعثة نذكر قصر المدى الذي قضاها أفراد البعثة في منطقة البحث، وكذلك جهلهم بلغة الأهالي. ولا شك

ولذلك فإننا نرى أن هذه الدراسات محدودة من النواحي، كما أن هناك دراسات المنزى المنفرد من عملية التحصيل. كذلك أنتم سميت أيضاً بدراسة العادات الخاصة بالجناسات في مصر القديمة، أنظر

A. Haddon, History of Anthropology, p. 121.

(١٢) F. C. Bartlett and associates (Ed.) The Study of Society, (London, 1944), p. 275.

دراسة ريفرز W. H. R. Rivers عن التودا (١٩٠٦ سنة) ودراسة ساجمان Saligman عن قبائل جنوب السودان (سنة ١٩٢٢)، ودراسة راد كليف بروان Radcliffe - Brown عن جزر الأندمان (سنة ١٩٢٢)، ودراسة مالينوسكي Malinowski عن جزر التروبرياندا (سنة ١٩٢٢) ودراسة إيفانز بريتشارد Evans - Pritchard عن الأزاندي (سنة ١٩٢٧) والنوير (١٩٤٠ سنة) في جنوب السودان، ودراسة ريموند فيث Raymond Firth عن جزيرة تيكويا (سنة ١٩٣٦)، ودراسة وورنر Warner عن المورنجين في استراليا (سنة ١٩٣٧) ودراسة بريستياني Peristiany عن الكبسجيس Kipsigis في كينيا (١٩٣٩ سنة).

وفي خلال القرن العشرين أيضا قام بعض العلماء بدراسة المجتمعات القروية والحضرية ومن الأمثلة على ذلك دراسة كونراد أرنسبرج Conrad Arensberg

(١٣) يعيش التودون في قرية صغيرة على تلال نيلجيري Nilgiri hills في جنوب الهند. وقد أجري ريفرز (١٨٦٤ - ١٩٢٢) بحثه هناك خلال عامي ١٩٠١ و ١٩٠٢. وبالنسبة لتقرير الخاص بذلك البحث فقد نشر في عام ١٩٠٦. ومن الموضوعات التي تناولها ريفرز الدراسة تذكر وأد البنات female infanticide ونظام تعدد الأزواج Polyandry وطريقة أسب الأطفال عند الأمهات. وجدير بالذكر أن ريفرز كان يجهل لغة الأمهات، ومن ثم فقد اعتمد على المترجمين خلال إقامته بمنطقة البحث.

(١٤) أول كتاب نشره مالينوسكي عن جزر التروبرياندا هو:

Argonauts of the Western Pacific (1922)

(١٥) أول كتاب نشره إيفانز بريتشارد عن النوير هو:

The Nuer: A Description of The Modes of Livelihood and Political Institutions of A Nilotic People (Oxford, 1940).

(١٦) J. G. Peristiany, *The Social Institutions of the Kipsigis*, (London, 1939).

أن ذلك كان له أثره بالنسبة لعمقتهم في فهم الحياة الاجتماعية هناك. ورغم ما من ذلك، فإن هذه البعثات، وكما يقول إيفانز بريتشارد، تعتبر نقطة تحول في تاريخ الأنثروبولوجيا الاجتماعية في بريطانيا. فلقد ترتب عليها أن الأنثروبولوجيا كعلم — قد أصبحت تحتاج إلى التخصص والتفرغ الكامل. وعلاوة على ما تقدم، فقد أصبحت الخبرة الميدانية تعتبر جزءا ضروريا بالنسبة لتكوين طلاب هذا العلم. يقول إيفانز بريتشارد:

« This expedition marked a turning-point in the history of social anthropology in Great Britain. From this time two important and interconnected developments began to take place: anthropology became more and more a whole-time professional study, and some field experience came to be regarded as an essential part of the training of its students. This early professional fieldwork had many weaknesses. However well the men who carried it out might have been trained in systematic research in one or other of the natural sciences, the short time they spent among the peoples they studied, their ignorance of their languages, and the casualness and superficiality of their contacts with the natives did not permit deep investigation. It is indeed a measure of the advance of anthropology that these early studies appear today to be quite inadequate ».

(E.E. Evans-Pritchard, *Social Anthropology and Other Essays* p. 73).

وبالتالي بداية القرن العشرين، نجد أن كثيرا من العلماء قد نزحوا إلى الميدان، وقاموا بدراسات عديدة عن المجتمعات البدائية. ومن الأمثلة على ذلك نذكر

الفصل الثاني لويس هنري مورجان

لمحة عن حياته ومؤلفاته :

لويس هنري مورجان Lewis Henry Morgan (١٨١٨ — ١٨٨١) هو أحد الرواد الأوائل من علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية الذين عاشوا في القرن التاسع عشر. وقد اشتغل في بداية حياته بمهنة المحاماة (١)، تآملاً مثل مين Maine (١٨٢٢-١٨٨٨) وما كلنان Mc Lenan (١٨٢٧-١٨٨١) وباخوفن Barhofer (١٨١٥-١٨٨٧)، ثم اعتزل تلك المهنة بعد ذلك وتفرغ للبحث العلمي. ولو أن مورجان لم يدرس قط في جامعة من الجامعات، ولم يحتل في يوم من الأيام منصباً علياً إلا أن دراساته كان لها أثرها الكبير لفترة من الزمن في الدوائر العلمية (٢).

(١) E. E. Evans-Pritchard, *Social Anthropology* (London, 1951), p. 29.

(٢) L. White, & Lewis Morgan : Pioneer in the Theory of Social Evolution in H. Barnes (ed) : *An Introduction to the History of Sociology* (Chicago, 1948), p. 139.

عن الفلاحين في أيرلند (١٧) (سنة ١٩٢٧) ودراسة أوسكار لويس Oscar Lewis لقرية تيپوزتلان Tepoztlan (١٨) في المكسيك (سنة ١٩٦٠) ودراسة روبرت لند Robert Lynd وهيلين لند Helen Lynd ، ميدلتاون Middletown (١٩) و W. L. Warner وزملاؤه في الولايات المتحدة (سنة ١٩٢٩) ودراسة ل. وورنر W. L. Warner وكذلك دراسته عن يانكي سيتي Yankee City (٢٠) (سنة ١٩٤١)، وكذلك دراسته عن ورنزفيل Jonesville (٢١) (سنة ١٩٤٩) في الولايات المتحدة.

Conrad M. Arensberg, *The Irish Countryman. An Anthropological Study*, (Gloucester, Mass., Peter Smith, 1939).

Oscar Lewis, *Tepoztlan, Village in Mexico*, (New York, 1960).

Robert S. Lynd, H. M. Lynd, *Middletown: A Study in American Culture*, (Harcourt, Brace and Company, New York, 1929).

(٢٠) أول كتاب ظهر في سلسلة « يانكي سيتي » Yankee City Series

W. Lloyd Warner and Paul S. Lunt, *The Social Life of A Modern Community*, (New Haven, Yale University Press).

ولد ظهرت الطبعة من هذا الكتاب سنة ١٩٤١ .

W. L. Warner and associates, *Democracy In Jonesville*, (Harper & Brothers, New York, 1949).

فقد قام بدراسة الإيروكوا (٢) Irqouois ونشرت نتائج ذلك البحث سنة ١٨٥١. ويرى روبرت لوى أن هذه الدراسة تعتبر من أحسن الدراسات الوصفية التي كتبت عن الهنود الحمر (١).

ويعتبر كتاب « نسق روابط الدم والمصاهرة في العائلة الإنسانية Systems of Consanguinity and Affinity in the Human Family » (سنة ١٧٧١) من الكتب التي أكسبت مورجان شهرة كبيرة أيضاً. فقد قام بدراسة ١٢٩ نسمة للقرابة في أجزاء مختلفة من العالم. وقد جمع بياناته عن هذا الموضوع بنفسه بالنسبة لقبائل الهنود الحمر التي درسها وكذلك بالاعتماد على قوائم الأسئلة a schedule of questions بالنسبة للمجتمعات الأخرى التي لم يتمكن من دراستها بنفسه. فقد أعد مورجان قائمة أسئلة وأرفق بها خطاباً لايضاح الغرض من البحث ثم أرسلها إلى جميع مراكز البشريين والعسكريين في أنحاء الولايات المتحدة للرد على الأسئلة الموجودة بها. كما أنه قد تمكن كذلك من إقناع المسؤولين بالحكومة الأمريكية للحصول على معاونتهم في هذه الناحية. وبالفعل فقد تم في سنة ١٨٦٠ إرسال قوائم أسئلة إلى جميع رجال الملك الدبلوماسي للولايات المتحدة في الخارج الإجابة على الأسئلة الواردة بها (٥).

(٣) كان الإيروكوا يعيشون بالقرب من نيويورك حيث كان يعيش مورجان. وكانت ملكة بهم لوية لدرجة أنهم تزوجوا بالقبيلة.

(٤) Robert Lowie, *The History of Ethnological Theory* p. 55.

(٥) T. K. Penniman, *A Hundred Years of Anthropology* (١٩٥٢), p. 163.

كما يهمننا أن نشير كذلك إلى أن نظرية مورجان عن التطور الثقافي التي أوضحها لنا في كتابه « المجتمع القديم Ancient Society » (سنة ١٨٧٧) قد أكسبته شهرة كبيرة أيضاً. وسوف نتناول هذه النظرية بشيء من الإيجاز. نظرية التطور الثقافي (٦):

يرى مورجان أن العوامل التكنولوجية technological factors لها أهميتها الكبرى في حياة المجتمعات وما يلحق بها من تغيرات (٧) فالإنسان كان في بداية حياته مجرد حيوان، يعيش تماماً كما تعيش سائر الحيوانات. ولكنه نظراً لما حبه به الطبيعة من القدرة على الكلام وتبادل الأفكار مع غيره من بني

(٦) في خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر أخذ العلماء يتجهون هجئاً فحجئاً لدراسة الثقافة Culture. ومن الملاحظ أنهم لم يقصروا دراساتهم على الثقافات المتقدمة advanced Cultures في أوروبا وأمريكا وآسيا، ولكنهم قد قاموا أيضاً بدراسة ثقافات الشعوب البدائية. ولا شك أن ذلك يرجع إلى ازدياد معرفة العلماء بتاريخ أوروبا في المصور القديمة نتيجة لتقدم الأبحاث التي قام بها علماء الآثار في ذلك المين. كما أن ذلك يرجع أيضاً إلى تدفق المعلومات التي سمها الرحالة والبشرون والهنود من عادات ومعتقدات الشعوب البدائية. ولقد أدى تدفق هذه المعلومات من ثقافات الشعوب المتحضرة والشعوب البدائية إلى إثارة القضية التالية: ما هي علاقة ثقافات الشعوب البدائية بثقافات الشعوب المتحضرة في أوروبا وأمريكا؟ ومن ثم فالتأثير أن كثيراً من علماء الأنثروبولوجيا في القرن التاسع عشر قد اتجهوا لدراسة التطور الثقافي Cultural evolution. ومن هؤلاء العلماء نذكر تاييلور في كتابه « الثقافة البدائية Primitive Culture » (سنة ١٨٦٥) ومورجان في كتابه « المجتمع القديم Ancient Society » (سنة ١٨٧٧). انظر:

R. Beals & H. Hoijer, *An Introduction To Anthropology*, p p. 604-605.

(٧) N. Timasheff, *Sociological Theory* [New York, 1٩65]

p. 49.

جلده وتناقلها من جبل إلى آخر ، فقد تمكن من أن يرتفع بنفسه عن مستوى الحيوان وأن يتقدم على مر الزمن من مرحلة التوحش إلى مرحلة الحضارة . ولقد كانت الأدوات tools والاسلحة weapons المختلفة التي اخترعها الإنسان على مر الزمن هي الوسائل الرئيسية التي ساعدته على زيادة سيطرته على الطبيعة والارتقاء بنفسه . وبمباراة أخرى يرى مورجان أن التقدم التكنولوجي يؤدي إلى حدوث تغيرات جوهرية في النظم الاجتماعية المعقدة مثل العائلة ونظام الملكية والحكومة .

ولقد قسم مورجان تاريخ الثقافة Culture history إلى ثلاث مراحل رئيسية هي :

١ — مرحلة التوحش Savagery .

٢ — مرحلة البربرية Barbarism .

٣ — مرحلة الحضارة Civilization .

ثم قسم كل مرحلة من المرحلتين الأولى والثانية (التوحش والبربرية) إلى ثلاث مراحل أخرى : دنيا ، وسطى ، وعليا .

ويقرر مورجان أن كل مرحلة من المراحل المذكورة قد بدأت باختراع تكنولوجي عظيم a major technological invention . فهو مثلا يذكر أن مرحلة التوحش الوسطى قد بدأت بمعرفة استخدام النار fire وصيد الاسماك ، أما مرحلة التوحش العليا فقد بدأت باختراع القوس والسهم bow and arrow والخ.

والجدول التالي (صفحة ١٩) يوضح المراحل الخاصة بتطور الثقافة

رقم المرحلة	المراحل	ظروف كل مرحلة
١	مرحلة التوحش الدنيا	وتبدأ من طفولة الجنس البشري حتى بداية المرحلة التالية . والإنسان في تلك المرحلة لم يكن يختلف كثيرا عن الحيوان .
٢	مرحلة التوحش الوسطى	وتبدأ بمعرفة الإنسان استخدام النار والقدرة على صيد الاسماك .
٣	مرحلة التوحش العليا	وتبدأ باختراع القوس والسهم .
٤	مرحلة البربرية الدنيا	وتبدأ باختراع الاواني الفخارية .
٥	مرحلة البربرية الوسطى	وتبدأ هذه الفترة باستئناس الحيوانات وزراعة الذرة والنباتات بالاعتماد على الري ؛ كما أقيمت المساكن من الطوب الني والحجارة .
٦	مرحلة البربرية العليا	وتبدأ هذه المرحلة باكتشاف طريقة صهر الحديد واستخدام الادوات المصنوعة من الحديد .
٧	مرحلة الحضارة	وقد بدأت هذه المرحلة باختراع حروف الهجاء والكتابة ، وهي تمتد حتى وقتنا الحاضر .

والاحوال العائدة في كل مرحلة كما أوضحها لنا مورجان^(٨).
ويذكر لنا مورجان أننا نجد شواهد على كل مرحلة من المراحل المذكورة
في مجتمعاتنا المعاصرة وكذلك في المجتمعات التي عاشت في الماضي . فهو ، مثلاً
يذكر أن ثقافة الإيروكوا تشبه نمط الثقافة الذي كان سائداً في مرحلة البربرية
الدينا^(٩).

يتضح لنا بما تقدم أن مورجان كان يهدف إلى إعادة تركيب المراحل التي
يتصور أن المجتمعات قنعت بها في تطورها دون أن يكون لديه معلومات
صحيحة يستند إليها في دراسته . ومن ثم فإننا نجد أن كثيراً من النظريات التي
توصل إليها كانت خاطئة . ومن الأمثلة على ذلك نظريته عن تطور الأسرة
والموجود في مجتمعاتنا المعاصرة ، قد سبقه حتماً تطور في نظام الأسرة على عدة
مراحل . فالمجتمع البشري كان في البداية عبارة عن زمر اجتماعية بسيطة تمودها
الإباحية الجنسية^(١٠) promiscuity . ثم تطور هذا النظام إلى نظام
الزواج الجماعي group marriage ثم تطور النظام فظهر نظام الانتساب للآم
ثم الانتساب للأب . وأخيراً ظهر نظام المونوجامي .

ولقد اتبى العلماء لهذه النظرية ، وإثبات خطئها ، ويرى رالف بيلز

(٨) M. J. Herskovits, *Man And His Works*, (New York, 1956), p. 468.

(٩) Ralph Beals, op. cit., p. 606

(١٠) يهنا أن نذكر هنا أن العالم السويسري باخوفن كان أيضاً من الذين ذهبوا
إلى أن الدعوة الجنسية كانت هي النظام السائد في فجر الإنسانية . وقد ذكر باخوفن ذلك
في كتابه « حق الأم » الذي ظهر سنة ١٨٦١ .

أنه لا يوجد لدى مورجان أى دليل لإثبات هذا التابع بالنسبة لتطور الأسرة .
كما أنه يلاحظ أيضاً أن نظام الأسرة المونوجامي يوجد في المجتمعات المتحضرة
كما أنه يوجد أيضاً في كثير من المجتمعات البدائية^(١١) .

أما كارل ماركس وفردريك إنجلز فإنهما قد أبديا اهتماماً كبيراً بكتاب
المجتمع القديم ، واعتبرا عملاً عظيماً . وفي الذكرى الخمسين لوفاة مورجان
أقام علماء الأنثروبولوجيا في الاتحاد السوفيتي حفلاً كبيراً ، كما قامت أكاديمية
العلوم هناك بنشر ترجمة لكتاب « المجتمع القديم »^(١٢) .

Ralph Beals, op. Cit, p. p. 606-607.

Robert Lowie, op. cit, p. p. 54-55.

(١١)

(١٢)



صورة رقم ٢/

إ. ب. تايلور

الفصل الثالث

إدوارد ب. تايلور

ولد تايلور ، أبو الأنثروبولوجيا في بريطانيا *The father of British Anthropology* في عام ١٨٣٢ . وقد التحق بمدرسة تابعة لإحدى الجمعيات وتلقى بها تعليمًا عامًا . ولما بلغ السادسة عشر من عمره ترك المدرسة والتحق بمصنع للنحاس الذي يملكه أبوه جوزيف تايلور (١) . وظل تايلور يشتغل بالمصنع مدة سبعة أعوام حتى أصيب بمرض شديد في سنة ١٨٥٥ ، فنصح به الأطباء بترك العمل والسفر للراحة والاستشفاء (٢) .

وبالفعل سافر إلى الولايات المتحدة ، وتقل بين أرجائها مدة عام تقريباً ، ثم سافر بعد ذلك إلى كوبا سنة ١٨٥٦ . وفي هافانا تعرف بطريق الصدقة على هنري كريستي (Henry Christy) الذي اشتهر في ذلك الحين بدراساته في الآثار والأنثولوجيا . وسرعان ما نشأت بينهما صداقة قوية ودعاه كريستي لمرافقته في رحلته لدراسة الآثار في بلاد المكسيك . وقد قبل تايلور

(١) A. Kardiner & E. Preble *They Studied Man*

(A Mentor Book, 1963), p. 50.

ibid, p. 51.

(٢)

الدعوة وسافر الاثنان معاً إلى هناك . ولو أن هذه الرحلة لم تستغرق إلا ستة شهور فقط ، إلا أنها كانت عاملاً حاسماً في تغيير مجرى حياة تايلور وتحويله نهائياً ليكرس حياته لدراسة الاثروبولوجيا (٣) .

وفي سنة ١٨٥٨ تزوج تايلور أنا فوكس Anna Fox وطاش الاثنان معاً حياة هادئة سعيدة لمدة تسعة وخمسين سنة حتى توفي تايلور عام ١٩١٧ . ويقال أن ليدى تايلور كانت تحرص على حضور الكثير من المحاضرات التي يلقيها زوجها . ومن طريف ما يروى في هذا الشأن أن تايلور أثناء إلقاءه إحدى محاضراته ، نسي أنه يقف أمام جمهور كبير من المستمعين ، فأتجه إلى زوجته وهو شارد العقل ثم قال لها : وهكذا يا عزيزتي أنا Anna نحن نلاحظ

وفي سنة ١٨٦١ نشر تايلور كتاب : *Anahuac, or Mexico and the Mexicans* الذي يحتوي على قصة رحلته إلى بلاد المكسيك مع هنري كريستى .

وفي سنة ١٨٦٥ ظهر كتابه الثاني : أبحاث في التاريخ القديم للجنس البشرى وتطور الحضارة . *Researches into the early History of Mankind* . وفي هذا الكتاب يقدم لنا تايلور تاريخاً للحضارة اعتمد فيه أساساً على دراسة اللغة والأساطير والعادات والمعتقدات .

ibid, p. ٤2.

(٣)

Anthropological Essays Presented to Edward Burnett (٤)

Tylor In Honour of His 75 th Birthday Oct. 2 1907 (Oxford,)
p. 373.

ثم ظهر بعد ذلك في عام ١٨٧١ كتاب ، الثقافة البدائية : أبحاث في تطور
الميثولوجيا والفلسفة والدين واللغة والفن والمعادن : *Primitive Culture: Researches into the Development of Mythology, Philosophy, Religion, Language, Art, and Custom.*

كأثر تايلور بعد ذلك في سنة ١٨٨١ كتابه ، الأنثروبولوجيا مقدمة لدراسة
الإلسان والحضارة *Anthropology: An Introduction to the Study of Man and Civilization.*

وفي سنة ١٨٨٤ عين تايلور بجامعة أكسفورد ليحاضر في الأنثروبولوجيا ،
وكما يذكر لنا ليفانز پريتشارد ، فإن هذه الوظيفة تعتبر الأولى من نوعها في
الجزر البريطانية (٥). وفي سنة ١٨٩٦ منح تايلور لقب أستاذ الأنثروبولوجيا
بجامعة أكسفورد ، وظل يحاضر هناك حتى بلغ سن التقاعد سنة ١٩٠٨ .

ونحن عند دراستنا لكتابات تايلور يجب أن لا ننسى صلته بهنري كريستى
وما كان لها من أثر كبير في توجيهه اتجاهها تاريخيا للبحث عن الأصول الأولى.
وهذا واضح في ، أنهواك ، و ، أبحاث في التاريخ القديم للجنس البشرى ،
و ، الثقافة البدائية ، .

كما يهمننا أن تشير كذلك إلى أن دراساته تتسم بالشمول ، وهو في هذه
الناحية يختلف عن الكثير من العلماء الذين كانوا يعيشون في عصره . فمثلا
نجد أن فريزر Frazer وماريت Marett ولانج Lang قد أبدوا اهتماما خاصا

E. E. Evans-Pritchard, *Social Anthropology* 1. 4 (٥)
Inaugural Lecture delivered before the University of Oxford
(Oxford, 1948), p. 4.

بدراسة الدين والفولكلور . وأهم ريفرز Rivers بدراسة التنظيم الاجتماعى ،
كما أن هادون Haddon قد أهتم بدراسة التكنولوجيا والفن . أما تايلور فقد
وجه اهتمامه لدراسة موضوعات كثيرة مثل آثار ما قبل التاريخ واللغات (٦) .

ومن ناحية الأبحاث الحقلية ، فإننا نرى أن تايلور لم يكن باحثا حقليا
field worker . ومن ثم فقد أعتمد في دراساته على تقارير الرسل والمبشرين
والمغامرين والمستعمرين والبحارة . وهذه التقارير كانت في الاغلب متحيزة
biased ولا يمكن الوثوق بها . ولم يكن تايلور غافلا عن هذه المشكلة ، ومن
ثم فقد كان يرجع إلى أكثر من مصدر للمقارنة والتحقق من مدى صحة الواقعة
موضوع الدراسة (٧) .

R. Lowie, *The History of Ethnological Theory*, p. 69 (٦)

Ibid, p. 70.

(٧) Ibid.

ولا شك أن فرانز بواس كان له تأثيره القوي على الأنثروبولوجيا في الولايات المتحدة . ومن تلاميذه نذكر أ. كروبر A. Kroeber وروبرت لوي Robert Lowie وب. رادين Paul Radin وهرسكوفيتس M. Herskovits . وعلاوة على ما تقدم فقد كان رئيساً للجمعية الأمريكية لتقدم العلوم .

The American Association For the Advancement of Science
كما يهمننا أن نشير كذلك إلى أن جامعة أكسفورد قد منحت درجة الدكتوراه الفخرية .

ولقد كان بواس من أشد خصوم هتلر والحركة النازية في ألمانيا (١) . ورغما من كبر سنه في ذلك الحين ، فقد شن هجوما عنيفا على هتلر ونقده نقدا مريرا . ولقد كان نتيجة لذلك أن السلطات الألمانية قد جمعت كل كتبه وأحرقتها سنة ١٩٣٣ في مدينة كيل Kiel ، أي في نفس البلدة التي سبق ومنحته الدكتوراه من قبل سنة ١٨٨١ .

ومن مؤلفاته نذكر :

The Mind of Primitive Man 1911; *Primitive Art*, 1927;
Anthropology and Modern Life, 1938; *General Anthropology*,
1938; *Race, Language, and Culture*, 1940.

Kardiner & Preble, op. cit, p. 123.

(٤)

الفصل الرابع قبائل الإلكيمو فرانز بواس

حياته ومؤلفاته :

ولد فرانز بواس Franz Boas سنة ١٨٥٨ من أسرة يهودية كانت تعيش في مدينة مندن Minden في ألمانيا (١) . وقد درس الطبيعة والرياضية والجغرافيا ، ثم حصل على درجة الدكتوراه في الطبيعة سنة ١٨٨١ (٢) .

وكما يرى روبرت لوي ، فإن رحلته إلى بافلاند Ballinland سنة ١٨٨٣-١٨٨٤ كانت عاملا حاسما في تغيير مجرى حياته وتحويله من دراسة الطبيعة إلى دراسة الأنثروبولوجيا (٣) .

وفي سنة ١٨٨٧ سافر بواس إلى الولايات المتحدة وتجنس بالجنسية الأمريكية . وقد قام بالتدريس في جامعة كلارك ، ثم أصبح أستاذا للأنثروبولوجيا بجامعة كولومبيا سنة ١٨٩٩ ، وظل يعمل هناك حتى اعتزل التدريس سنة ١٩٣٦ .

A. Kardiner, & Preble E., *They Studied Man* (١)
(A Mentor Book, 1963), p. 117.

Idid, p. 119. (٢)

R. H. Lowie, *The History of Ethnological Theory*, (٣)
(London, 1938), p. 129.

أولاً - لمحة عن قبائل الاسكيمو

تعيش قبائل الاسكيمو The Eskimo في المنطقة الشمالية في أمريكا (٥). والطبيعة هناك قاسية جداً؛ فالأرض مغطاة بالثلوج في أغلب شهور السنة، كما تتجمد مياه الأنهار والبحيرات والبحار. وفصل الشتاء مظلم شديد البرودة وتهب خلاله العواصف الشديدة. أما فصل الصيف فهو قصير دافئ وتذوب فيه الثلوج.

ومن الحيوانات التي تعيش هناك نذكر الفقمة Seal وفيل البحر walrus والحوت whale والرتة reindeer والثور الأمريكي musk ox والدب القطبي polar bear والثعلب والذئب. كما يكثر هناك السلمون the salmon والطيور في فصل الربيع والصيف.

ويعتمد الاسكيمو في معيشتهم كلية على هذه الحيوانات والطيور والأسماك (٦) وتعتبر الفقمة ذات أهمية خاصة بالنسبة لهم. ففي فصل الشتاء يستخدم الأهالي دهنها blubber لإضاءة المصابيح وكر قود fuel لطهي الطعام (٧) كما أن لحما هو طعامهم خلال ذلك الفصل الطويل أيضاً. وعلاوة على ما تقدم فهم يصنعون من جلودها خيامهم وملابسهم في فصل الصيف. كما تعتبر الرنة من الحيوانات الهامة عندهم كذلك. فهم يأكلون لحومها ويصنعون من جلودها ملابسهم الخاصة بفصل الشتاء. ويذكرون أن الأهالي يأكلون السلمون نيئاً في بعض الأحيان، كما



صورة رقم ٢/

فرانز بواس (١٨٥٨ - ١٩٤٢)

(٥) F. Boas, *The Central Eskimo (A Bison Book,*

1964). p. 6.

ibid, p. II (٦)

ibid, p. 137 (٧)

أنهم يأكلون الطيور دون طبخها أيضاً (٨).

ولاشك أن اعتماد الأهالي كلية في معيشتهم على الحيوانات والطيور والأسماك قد جعل تحركاتهم من منطقة إلى أخرى خلال الفصول المختلفة من السنة مرتبطة بهجرات تلك الحيوانات والأسماك والطيور (٩). فمثلاً عندما يجيء فصل الصيف وتذوب الثلوج، يتجه الأهالي إلى داخل البلاد ويقومون برحلات لصيد الرنة والحصول على جلودها الثمينة. وعندما يعود فصل الشتاء، وتتجمد مياه البحار والأنهار، وتغطي الأرض بالجليد، يرجع الأهالي إلى أماكنهم الخاصة بهنصل الشتاء ويبنون بيوتاً من الثلج ويعتمدون في معيشتهم على لحم الفقمة.

وينتقل الأهالي من مكان إلى آخر على مركبات Sledges يجرها فريق من الكلاب فوق الثلوج (١٠). وتمتلك كل أسرة عدة كلاب لهذا الغرض (صورة رقم ٤). ومن المشكلات التي تواجه السكان في بلاد الاسكيمو انتشار الأمراض التي تنقلها الكلاب فتكا ذريعا في بعض المناطق، وتحدث آثاراً خطيرة بالنسبة للمواصلات هناك.

ويعيش الاسكيمو في مساكن تختلف في نوعها باختلاف فصول السنة (١١). ففي فصل الشتاء نجدهم يبنون بيوتاً من الثلج snow houses. وهم يستخدمون انتشار والسكين لقطع كتل الثلج اللازمة للبناء. ويلاحظ أن سقف المسكن يكون على شكل قبة يتراوح ارتفاعه بين ١٠ و ١٢ قدماً، أما قطرها فإنه

(٨) Ibid, p. 169

(٩) Ibid, p. 11.

(١٠) Ibid, p. 121

(١١) Ibid, p. 131

يتراوح بين ١٢ ، ١٥ قدما (١٢) . وينام أفراد الأسرة على فراش من جلود الرنة . وفي فصل الربيع ، عندما تصبح أشعة الشمس دافئة ، تذوب أسقف المنازل المصنوعة من الثلج ثم تنهار (١٣) . وعندئذ تنتقل الأسر لتعيش في خيام مصنوعة من جلود الفقمة .

ويشير بواس إلى المجاعات the famines التي تحدث في بلاد الاسكيمو من حين إلى آخر (١٤) ، وبعد أن يعرض للرأي القائل بأن الاسكيمو قد قل عددهم بسبب عدم كفاية الطعام بالمنطقة يخلص إلى القول بعدم صحة ذلك الرأي . إن الاسكيمو يعيشون في مساحة شاسعة من الأرض توجد بها أعداد وفيرة من الفقمة في فصل الشتاء ، كما أن عدد السكان يعتبر ضئيلا نسبيا . وهو يرى أن المجاعات لا تحدث هناك نتيجة لنقص الحيوانات بالمنطقة ، ولكنها تحدث لاستحالة وصول الأهالي إليها في بعض الأحيان بسبب سوء الأحوال الجوية أو بسبب ظروف اجتماعية قد تطرأ هناك في ذلك الحين . فالعواصف الشديدة التي تهب في فصل الشتاء تمنع الأهالي من الخروج للصيد فترة من الزمن . وفي خلال تلك الفترة تعتمد الأسر على المخزون لديها من اللحم والدهن . فإذا طالت فترة العاصفة ، فإنهم يضطرون إلى ذبح الكلاب الواحد بعد الآخر لاكل لحومها . وإذا توفي أحد أفراد الجماعة في ذلك الوقت ، فإن المجاعة سوف تستمر ، ذلك أن تقاليدهم تمنعهم من القيام بأي عمل خلال فترة الجفاف .

ومن قصص المجاعات يروي الأهالي أن مجموعة من الأسر كانت مسافرة في طريقها إلى ساحل البحر . ولما وصلت إلى هناك رحلة طويلة وشاقة ، ترك



صوره رقم ٤

عدة الكلب الخاصة بحمل مركبات الجاييد عند الاسكيمو

Ibid, p. 132 (١٢)

Ibid, p. 143. (١٣)

Ibid, p. 19. (١٤)

الرجال نساءهم وأطفالهم على الشاطئ . واتجهوا لبيحشوا عن قوارب لتقلهم إلى
الجهة التي يرغبون في الاتجاه إليها . إلا أن العواصف الشديدة ما لبثت أن هبت
بعد ذلك فحجزت الرجال عن العودة إلى أسرهم . وبعد فترة نفذت المؤن
للموجودة مع النساء والأطفال، ولم يجدوا أمامهم ما يقتاتون به . ولما اشتد بهم
الجوع لم يكن هناك مفر من أن يأكل بعضهم بعضا . ويروى الأهالي أن إحدى
الأمهات : من بين أفراد تلك الجماعة قد اشتد بها الجوع فذبحت أطفالها واحداً
بعد الآخر وأكلتهم جميعاً (١٥) .

ومنذ بداية القرن التاسع عشر بدأت أساطيل صيادى الجوت whalers تردد
على شواطئ المنطقة ، ثم ما لبثت أن أقامت لها مراكز هناك . ولا شك أن
حضورهم كان له أثره الخطير على الحالة الصحية للأهالي ، وكذلك بالنسبة لنمط
حياتهم من الناحية المادية . فمن الناحية الصحية نجد أنهم قد جلبوا معهم إلى بلاد
الاسكيمو أمراضاً لم تكن معروفة هناك من قبل مثل مرض الزهري syphilis
الذي فتك بالعسكر فكان ذريعا وكذلك مرض الدفريا الذي جلب إلى هناك لأول
مرة سنة ١٨٢١ (١٦) . وأما بالنسبة لنمط حياة الاسكيمو من الناحية المادية،
فقد أدى حضور الصيادين إلى إحداث تغيير كبير في هذه الناحية . فلقد حصل
الأهالي من أصحاب المعن على الأسلحة النارية والقوارب والخشب والكبريت
والمصاييح وأواني طهى الطعام والبن الدخان . وفي مقابل ذلك كان الأهالي
يعطونهم جلود الحيوانات والدهن (١٧) .

(١٥) Ibid. p. 20

(١٦) Ibid, p. 18

(١٧) Ibid, p. p. 58 — 59

أانيا - ملاحظات عن كيفية إجراء البحث

١ - مدة الدراسة الحقلية : أجرى ذلك البحث في الفترة من أغسطس سنة ١٨٨٢ حتى أغسطس سنة ١٨٨٤ . وبذلك تكون المدة التي قضاها بواس هناك سنة كاملة (١٨) .

٢ - تمويل البحث : قامت الصحيفة الألمانية Berliner Tageblatt بتقديم منحة مالية لمدة عام إلى بواس للقيام بإجراء ذلك البحث . وقد نشرت تلك الصحيفة عددا من المقالات والخطابات التي كتبها بواس عن الاسكيمو (١٩) .

٣ - وسائل جمع البيانات : قبل سفره إلى منطقة البحث قام بواس بدراسة المؤلفات التي كتبت عنها the literature on the area ، كما أنه بدأ كذلك في دراسة لغة الاسكيمو the Eskimo language (٢٠) . وفي أثناء إقامته هناك ، نجد أنه قد زار كل المستعمرات (٢١) واختلط بالإهالي وتحدث معهم بلغتهم ، كما اعتمد أيضا على الملاحظة لدراسة حياتهم الاجتماعية . فهو يذكر مثلا أنه كان يقابل الإهالي كل ليلة ويحصل منهم على معلومات عن أسفارهم وأساطيرهم . ورغبة في دراسة الماضي ، فقد قابل عددا من التجارين من المسنين وتحدث معهم للحصول على معلومات عن حالة المنطقة في السنوات السابقة على قدوم الصيادين إليها (٢٢) .

Ibid, p. vi (١٨)

Kardiner & Preble, Op. cit, 119 (١٩)

Boas, Op. Cit. p. v. (٢٠)

Ibid, p. VII. (٢١)

Ibid, p. VIII (٢٢)



صورة رقم ٥

رجل من الإسكيمو وبجواره حربه الخاصة بصيد الفقمة

ولا شك أن بواس قد قابلته صعاب جمة أثناء قيامه ببحثه الحقلي في تلك المناطق القطبية . فقد كان ينتقل من مكان إلى آخر على مركبات الجليد التي تجرها الكلاب . وفي كثير من الأحيان كانت درجة الحرارة تتراوح بين ٤٠° و ٤٠° تحت الصفر . وفي كل ليلة ، أثناء السفر ، كان يقوم هو وخادمه ببناء بيت من الثلج للبيت فيه . وفي كثير من الأحيان كان بواس وخادمه و كلابه يقاسون من الجوع الشديد (٢٣) .

ويذكر بواس أن الشركة الاسكتلندية للحيثان قد ساعدته كثيرا على إنجاز مهمته . فقد أقام فترة من الزمن في منزل مستر جيمس متش Mr. James Mutch وكيل الشركة بالمنطقة . كما أن مستر متش كان ، في كثير من الأحيان ، يمدّه بالكلاب والمركبات لينتقل من مكان إلى آخر (٢٤) .

٤ - نشر نتائج الدراسة : سبق أن أشرنا من قبل إلى أن بواس قد قام برحلة إلى بلاد الاسكيمو وأقام هناك سنة كاملة (١٨٨٢-١٨٨٤) . وبعد عودته من هناك ، قام بنشر نتائج رحلته المتعلقة بالناحية الجغرافية في كتاب مستقل ، أما البيانات التي جمعها عن الناحية الاجتماعية فقد خصص لها كتاب *The Central Eskimo* الذي نشر لأول مرة سنة ١٨٨٨ . وهذا الكتاب يحتوي على دراسة لجوانب مختلفة من حياة السكان مثل توزيع القبائل ، وحيد الحيوانات والأسماك ، والتجارة والصناعة ووسائل النقل والمساكن والحياة الاجتماعية والدينية والأساطير والشعر والأغاني والموسيقى . . الخ كما يحتوي الكتاب في نهايته على قائمة glossary بالكلمات المكتوبة بلغة الاسكيمو في الفصول المختلفة ومعناها بالغة الانجليزية (٢٥) .

Idid, p. IX (٢٣)

Ibid, p. VII (٢٤)

Ibid, p.p. 251-258 (٢٥)

الثا - عرض لبعض نتائج الدراسة

١ - الأسرة والقانون (١٦)

يميل الأهل في مجتمع الاسكيمو إلى أن تخطب البنت وهي طفلة ، ولكنهم لا يسمحون بإتمام الزواج إلا بعد أن تكبر البنت وتصبح قادرة على أن تقوم بالواجبات المنزلية ، وكذلك بعد أن يكبر الطفل ويصبح قادراً على أن يعمل زوجته . وقد جرت العادة عندهم على أن يبدأ الزوجان حياتهما الزوجية في مسكن أسرة الزوجة ويظل الأمر كذلك حتى وفاة والديها .

وبالرغم من أن النظام المعاند هناك هو نظام الزواج المونوجامى (وحدة الأزواج والزوجات) monogamy فإن نظام تعدد الزوجات Polygamy يوجد هناك أيضاً ولكن بنسبة قليلة .

والامتنعة اللازمة لتكوين أسرة جديدة هي : عدة الصيد الخاصة بالرجل وسكين ومصباح وحلة للطبخ .

ومن العادات العائدة عند الاسكيمو أن الرجل قد يهمل زوجته لصديقه لمدة فصل كامل من أصول السنة أو أكثر ، وذلك لكي يعبر له عن مودته واحبه له . وإذا ما حل أحد الرجال ضيفاً على صديق له ، فإن صديقه - إذا كان متزوجاً بأكثر من زوجة - يعطيه إحدى زوجاته طوال إقامته معه في المنزل . كما أن الأصدقاء المتزوجين يتبادلون الزوجات فيما بينهم وذلك تعبيراً عن صداقتهم . وعلاوة على ما تقدم ، فإن التقاليد الدينية هناك تحتم عليهم ضرورة القيام بذلك في بعض المناسبات .

Ibid, p.p. 170-174 (١٦)



صورة رقم ٦

رجل من الإسكيمو يمسك حربه

ويبلغ على الزوج أن يعامل زوجته معاملة طيبة ، وإذا أساء معاملتها أو طردها ، فإنها قد تغادر المسكن ثم يتم الطلاق بينهما بعد ذلك . وفي المادة ينق الأطفال مع الأم بعد الطلاق .

وبالنسبة لتقسيم العمل *the division of labor* بين الرجل والمرأة ، فإننا نلاحظ أن الرجل يختص أساساً بصيد الحيوانات ليطعم زوجته وأطفاله وأقاربه الذين ليس لهم عائل . كما أنه هو الذي يطعم الكلاب ويسوق مركبة الجليد أثناء ارتحال الأسرة من منطقة إلى أخرى . وعلاوة على ما تقدم ، فهو يقوم بصناعة الأدوات اللازمة للصيد وبناء المسكن الذي تقيم فيه الأسرة . أما المرأة فهي تقوم بالأعمال المنزلية وحياكة الملابس وطهي الطعام وصناعة الخيام وإصلاحها وتربية الكلاب . وبالنسبة للرجل الكساح من أفراد الأسرة *the cripple* الذي لا يستطيع أن يقوم بصيد الحيوانات ، فإن الأسرة تعيد إليه بنفس الإهمال التي تقوم بها المرأة .

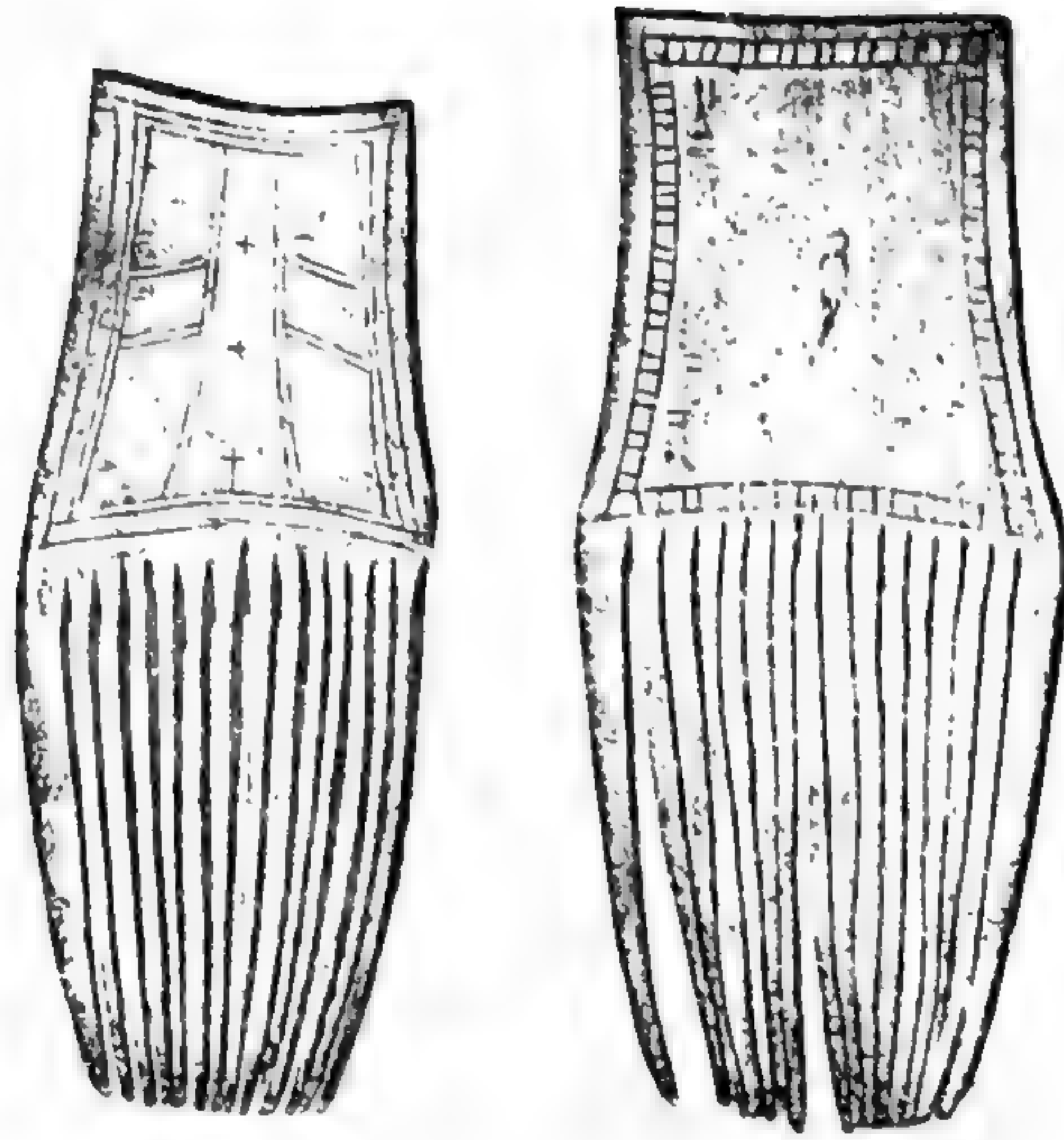
ويذكر فوستر أن قبائل الاسكيمو تمارس عادة وأد الأطفال *infanticide* . ولم يتدون الإناث بصفة خاصة وكذلك أطفال الرجل الأرملة والمرأة الأرملة بسبب سوء الحالة الاقتصادية عندهم .

وهناك قواعد عديدة *regulations* تحكم عملية الصيد عند الاسكيمو وتحدد حقوق الأفراد وواجباتهم في هذه الناحية . فإذا ما صطاد أحد الرجال قطعة *real* ، فإنها تكون ملكاً له ، ويقوم هو وأفراد أسرته بأكل لحمها . ولكن إذا كانت هناك جماعة بالقرية ، فإنه يجب عليه أن يعطي كل أسرة بالمجتمع جزءاً من اللحم والدهن . وقد يقوم هو شخصياً بتسليم نصيب كل أسرة ، وقد تقوم زوجته بذلك نيابة عنه .

وإذا ما اصطادت جماعة من الأهل إلى أحد فيلة البحر Walrus ، فإنهم يقطمونه إلى عدة أجزاء متساوية لعددهم . وقد جرت العادة على أن الشخص الذي يسد أول طعنة لفيل البحر تكون له حرية اختيار الجزء الذي يريده ، كما أنه يأخذ رأس الفيل أيضاً .

وإذا ما اصطادت الجماعة حوتاً Whale فإنه يوزع على جميع أسرا المستعمرة ، ثم يقام بعد ذلك احتفال كبير في « بيت الغناء » بهذه المناسبة .

هذا ويهمننا أن نشير إلى أنه لا يوجد عند الاسكيمو وسيلة لتنفيذ هذه القوانين غير المكتوبة وللمعاقبة المعتدين سوى وسيلة أخذ الثأر بالنم . فإذا ما أساء رجل إلى رجل آخر ، فإن الشخص المعتدى عليه ينتقم لنفسه بقتل الحق . وفي هذه الحالة ، يحق لأقرب أقرباء القتيل أن يثأر له ، بل إن ذلك يعتبر واجباً يجب القيام به . وفي بعض الأحوال ، قد يتعذر ضبط القاتل نفسه للثأر منه ، وعندئذ تلجأ أسرة القتيل إلى قتل أي شخص آخر من أسرة القاتل بدلا منه ، وقد يستمر هذا العداء المستحكم بين الأسرة فترة طويلة من الزمن ويتوارثه الأفراد جيلاً بعد جيل . وقد يفضل الطرفان المتخاصمان إنهاء حالة الصراع المحتدم بينهما ، وعندئذ يحل السلام من جديد في ربوع المنطقة .



صوره رقم ٧

المشط الذي يستخدمه الأهل

٢ - الأعياد عند الإسكيمو (٧٧)

يحتفل الإسكيمو بأعيادهم في فصل الصيف في الهواء الطلق . أما في فصل الشتاء فإنهم يحتفلون داخل بيت من الثلج يبنونه لهذا الغرض ، وهم يطلقون عليه اسم بيت الغناء Singsing house . ويبلغ ارتفاع هذا البيت ١٥ قدم تقريباً ، أما قطر دائرته فهو حوالى ٢٠ قدماً تقريباً . ويوجد في وسط البيت همود من الثلج يبلغ ارتفاعه خمسة أقدام تقريباً وذلك لكي توضع عليه المصابيح لإضاءة البيت .

وعندما يتجمع أهل القرية داخل المبنى للرقص والغناء ، فإن النساء المتزوجات يقفن في صف دائري بجوار الحائط ، ثم تقف النساء غير المتزوجات في صف دائري داخل صف النساء المتزوجات . أما الرجال فإنهم يجلسون ويكونون صفين دائرياً داخل الصف الثاني . وبالنسبة للأطفال ، فإنهم ينضمون إلى مجموعتين ، وتقف كل مجموعة على أحد جانبي الباب . وعندما تبدأ الحفلة يتقدم أحد الرجال ، وهو يحمل طبله ، إلى المكان الخالي الذي يلي الباب ثم يبدأ في الرقص والغناء . وتقوم النساء بترديد الغناء ، أما الرجال فإنهم يستمعون إليه وهم صامتون . هذا ويهمن أن تشير إلى أن مثل هذه الاحتفالات لا تقتصر على الرقص والغناء فقط ، بل إن الاهتمام يقيمون أثناء مباريات للمصارعة أيضاً wrestling matches . كما يهمن أن تشير هنا كذلك إلى أن مثل هذه الاحتفالات تقام بمناسبة نجاح البعض من أفراد القرية في الصيد وبصفة خاصة صيد الحيتان .

وعلاوة على ما تقدم ، فهناك أيضاً الأعياد الدينية التي تتصل بمعتقدات
الأمهالي عن الإلهة Sedna ، والتي تقام عادة في فصل الخريف كل سنة .
وهم يهدفون من وراء ذلك إلى حماية أنفسهم من شرور الأرواح التي تسبب لهم
المرض والموت ، والتي تجلب الحظ السيئ أثناء الصيد . وفي خلال هذه الاحتفالات
يقوم جميع الرجال بزيارة جميع المساكن . وتستقبلهم الزوجة أثناء الزيارة ،
وتلبي لهم بصحن يحتوي على بعض الهدايا . وفي أثناء تلك الاحتفالات أيضاً
يقسم الأمهالي أنفسهم إلى فريقين Parties وقيمون مباراة لشدة الجبل . ويتكون
الفريق الأول من جميع الأشخاص الذين ولدوا في فصل الشتاء ، أما الفريق
الثاني فإنه يتكون من مواليد فصل الصيف . ويبدل كلا الفريقين كل جهده للفوز
بالنصر ؛ وإذا تمكنت مجموعة فصل الصيف من هزيمة مجموعة فصل الشتاء ، فإن
الأمهالي يتوقعون جوا معتدلاً في فصل الشتاء القادم . ويذكر لنا بواس أن
الأمهالي يتبادلون زوجاتهم أثناء هذه الاحتفالات . فالرجال يجتمعون في مكان
مناسب ويجلسون صفواً واحداً ، كما تجلس النساء أيضاً صفواً واحداً في مواجهة
صف الرجال . ثم يقوم كل رجل (في صف الرجال) يأخذ امرأة من صف
النساء ويجري معها إلى كوخها حيث يقضي معها يوماً كاملاً .

٣ - أسطورة سدنا والطائر

يحكى أن رجلاً كان يعيش مع ابنته (التي كانت تسمى سدنا Sedna) على
شاطئ من منزل . وقد توفيت زوجة ذلك الرجل ، وعاش هو وابنته عيشة
هادئة .

وبعد عدة سنوات ، أصبحت سدنا فتاة جميلة . وقد تقدم إليها الكثير من
الفتيان يطلبون يدها ، ولكن الغرور أعى قلبها ودفنها إلى أن ترفضهم جميعاً .
وفي بداية فصل الربيع وصل إلى الشاطئ طائر بحري a Fulmar قادماً من
بلاد البعيدة ، وأخذ يتودد إلى سدنا بأسلوب جذاب كي توافق على قبوله
زوجاً لها . قال الطائر مخاطباً سدنا : تعالي معي إلى بلاد الطيور . إنك إن
تجوع هناك أبداً في يوم من الأيام . سوف تجدني خيمتي مصنوعة من أجمل
جلود الحيوان . كما أنك سوف تنامين على فراش من فراء الدب الداعمة . إن
زملائي من الطيور سوف يحضرونك كل ما يشتهي قلبك . سوف يظل المصباح
في بيتك دائماً مملوءاً بالزيت . كما أن قدورك الخاصة بطهي الطعام ستظل دائماً
مملوءة بالبحوم !! . ولم تستطع سدنا أن تقاوم طويلاً أمام كل ذلك الأغراء !!
فوافقت على الزواج ، وسافرت معه إلى بلاده .

وبعد رحلة طويلة وشاقة ، وصلت سدنا إلى بلاد الطائر . وسرعان ما
اكتشفت أن زوجها قد خدعها ، وأنه لم يكن صادقاً في حديثه معها كلياً .
فالخيمة التي كان يعيش فيها كانت مصنوعة من جلود الأسماك الحقةرة . وكانت
بها ثقوب كثيرة تسمح بدخول الرياح والثلوج . ولم تكن الخيمة مصنوعة من

الجلود الجميلة كما سبق وذكر لها من قبل . كذلك وجدت سدننا أن فراشها كان مصنوعاً من جلود فيل البحر الصلبة ، ولم يكن مصنوعاً من الجلود اللينة كما سبق وأخبرها من قبل . وأما بالنسبة للطعام الذي كانت تقدمه لها الطيور فإنه كان يتكون من أنواع حقيرة من الأسماك .

ونتيجة لذلك كله ، فقد انتابها الحزن الشديد ، وزدمت على تضيقها كل ما كان أمامها من فرص برفضها جميع الرجال الذين تقدموا إليها يطلبون يدها . وفي حزن شديد أخذت سدننا تردد : يا أبني : إنك إذا عرفت ما أنا فيه من شقاء ، فإنك سوف تسارع بالحضور إلى لتفر معاً في قاربك من هذه البلاد . إن الطيور تنظر إلى — وأنا الغريبة بينهم — نظرة قاسية . كما أن الرياح الباردة تزجر حول فراشي . وعلاوة على ذلك ، فإنهم لا يقدمون إلى سوى أردأ أنواع الطعام . لينك يا أبني تحضر إلى وتأخذني معك إلى بيتنا II ، .

وبعد مرور عام على الزواج ، سافر الأب لزيارة ابنته . وعندما رآته فرحت فرحاً شديداً ورحبت به ترحيباً بالغاً . ثم أخذت تقص عليه كل ما حدث لها منذ زواجها . ولقد استاء الأب استياء شديداً عند سماعه كلام ابنته وقام بقتل زوجها الطائر انتقاماً لما لحقها من إهانات . ثم أسرع هو وابنته بعد ذلك إلى القارب للفرار من تلك البلاد .

وعندما عادت الطيور إلى البيت واكتشفت أن زميلهم الطائر قد قتل وأن زوجته قد فرت أسرع بالظفران بحثاً عن الهاربين . لقد كانت الطيور تشعر بالحزن الشديد بسبب مقتل زميلهم المسكين ؛ ولا تزال مستمرة في بكائها ونواحها حتى يومنا هذا II

وعندما لمح الطيور القارب أحدثت عاصفة شديدة . فارتفعت أمواج البحر ارتفاعاً كبيراً وهددت الأب وابنته بالهلاك . وفي تلك الظروف العصيبة ، قرر الأب أن يقدم سدننا للطيور لينجو هو بنفسه . فقام بإلقائها في البحر ؛ ولكنها أمسكت بحافة القارب بكل ما أوتيت من قوة . عند ذلك أمسك الأب القامس سكيناً وبتر العقل الأول من أصابعها the First joints . وقد تحولت تلك العقل — عقب سقوطها في البحر — إلى حيتان II whales وبالرغم من ذلك ، فقد ظلت سدننا بمسكة بالقارب . فقام الأب بوتر العقل الثانية من أصابعها بواسطة السكين الحاد . وقد تحولت تلك العقل — عقب سقوطها في البحر — إلى فقمة Seal وأخذت تسبح في الماء II

وفي أثناء ذلك ، هدأت العاصفة لأن الطيور ظنت أن سدننا قد غرقت . وعندئذ سمح الأب لابنته بالعودة ثانية إلى القارب . غير أن تصرفات الأب مع ابنته ، في وقت الشدة ، قد أدت إلى شعورها بالمرارة والالتم وأقسمت أن تنتقم منه انتقاماً شديداً .

وبعد وصولهما إلى الشاطئ ، استدعت سدننا كلابها وتركها بقبض يدي أبيها وقدميه أثناء نومه . ومن أجل ذلك فقد لعن الأب نفسه وابنته وكلابها . وعند ذلك انشقت الأرض وابتلعت الكرخ والأب وابنته والكلاب . وهم يعيشون — منذ ذلك الحين — في البلاد التي تقع تحت الأرض التي تعيش فيها . وقد أصبحت سدننا سيدة على تلك البلاد . (٢٨)

سنة ١٩١٦ حتى سنة ١٩١٩ التحق بوظيفة « مدير التعليم » في مملكة تونجا Tonga (في فرندلي أيلاندس Friendly Islands) . ولا شك أن تلك التجربة ، فضلا عن قيمتها من الناحية العلمية ، كان لها أثرها في ذلك الاهتمام الذي كان يبديه لدراسة الأنثروبولوجيا الاجتماعية التطبيقية .

وفي سنة ١٩٢١ عين رادكليف — براون أستاذا للأنثروبولوجيا الاجتماعية في جامعة جنوب أفريقيا . لكنه — لما وجد أن الجامعة لم تقدم له التمويل اللازم لتنفيذ مشروعاته الخاصة بالأبحاث الحقلية في جنوب أفريقيا — ترك العمل هناك ، واتجه إلى جامعة سيدني في استراليا (سنة ١٩٢٥) حيث عين أستاذا للأنثروبولوجيا الاجتماعية بها .

وفي سنة ١٩٣١ سافر إلى شيكاغو بالولايات المتحدة حيث عين أستاذاً للأنثروبولوجيا الاجتماعية هناك (١٩٣١ — ١٩٣٧) .

وفي سنة ١٩٣٧ عين رادكليف براون أستاذا للأنثروبولوجيا الاجتماعية بجامعة أكسفورد . وقد ظل يعمل بها حتى تقاعده سنة ١٩٤٦ . ولوقد ساهم بجهود ، واعترافاً بفضلها ، قامت مجموعة من العلماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية بإخراج كتاب يضم مجموعة من الأبحاث . وعنوان الكتاب هو :

" Social Structure. Studies Presented to A. R. (١)
Radcliffe-Brown . (١)

والبناء الاجتماعي . دراسات مهداة إلى أ . ر . رادكليف — براون ،

M. Fortes (Ed.), Social Structure, Studies Presented (١)
to A. R. Radcliffe-Brown, (Oxford. At The Clarendon
Press, 1949).

الفصل الخامس

سكان جزر الأندمان أ . ر . رادكليف براون

لمحة عن حياته ومؤلفاته :

ولد ألفريد ر . رادكليف — براون Alfred Reginald Radcliffe-Brown سنة ١٨٨١ . وقد حصل على درجته الجامعية الأولى من جامعة كمبردج .

وفي سنة ١٩٠٦ سافر إلى جزر الأندمان the Andaman Islands لإجراء دراسة حقلية هناك . وقد نشرت نتائج تلك الدراسة لأول مرة سنة ١٩٢٢ .

وفي سنة ١٩١٠ سافر إلى غرب استراليا لإجراء دراسة حقلية هناك (١٩١٠ — ١٩١٢) ، وقد نشرت نتائج تلك الدراسة سنة ١٩١٣ بعنوان :

" Three Tribes of Western Australia "

وعندما نشبت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ ، كان رادكليف — براون موجوداً في استراليا مع أعضاء الجمعية البريطانية لتقديم العلوم . وفي الفترة من

والعلماء الذين اشتركوا في إخراج ذلك الكتاب هم : مارجريت فيلد ،
جرميحوري باتسون ، مايفورتس ، ل. ا. إيشاز بريشارد ، شاپيرا ، فريد
ليمان ، ماكس جلكان ، ريموند فيث ، ا. ه. هوجين ، جون إميري .

وفي سنة ١٩٤٧ حضر راد كليف - براون إلى الاسكندرية وعين أستاذاً
بجامعتها في الفترة من سنة ١٩٤٧ حتى سنة ١٩٤٩ .
وفي أكتوبر سنة ١٩٥٥ توفي راد كليف براون في مدينة لندن .
ومن مؤلفاته نذكر :

*The Andaman Islanders (1922); Social Organization
of Australian Tribes (1931); Structure and Function in
Primitive Society (1952); A Natural Science of Society (1957)
Method in Social Anthropology (1958).*

ومن تلاميذه نذكر :
ل. ا. إيشاز بريشارد (في بريطانيا) ، و. ل. وورتر ، جون إميري
(الولايات المتحدة) (٢) .

(٢) انظر : *Encyclopaedia Britannica, vol. 18 (1968)*
p. 1023; *Who's Who (1954)*, p. 2400; M. Fortes (Ed.), *Social
Structure, Studies Presented To A. R. Radcliffe Brown (1949)*,
p.p. VIII—XII; A. B. Radcliffe—Brown, *Structure And Function
In Primitive Society*, (London, 1968), p. p. v—vi.



جنوب شرق آسيا

خريطة رقم ١

أولاً - لمحة عن جزر الاندمان

تقع جزر الاندمان The Andaman Islands شرقى ساحل مدراس Madras ، وتبلغ المسافة بينهما ٧٠٠ ميل تقريباً. ومن الناحية السياسية، كانت تلك الجزر ، وقت إجراء البحث ، تابعة لامبراطورية الهند (٢) .

وتتكون جزر الاندمان من جزيرة الاندمان الكبرى وجزيرة الاندمان الصغرى وعدد من الجزر الصغيرة. وتوجد بالجزر عدة سلاسل من التلال، كما أن الغابات الاستوائية الكثيفة تغطي غالبية مساحتها .

ويعتمد السكان في معيشتهم على الموارد الطبيعية بالجزر (البحر والغابات) . فمن البحر يستخرجون الترسه والاسماك المختلفة مثل الجبرى والكجوريا والاستكوزا (١) .

ومن الغابات يحصلون على الخضروات والفواكه وعسل النحل . كما أنهم يأكلون القشط والسحالي والثمايين والفيران (٣) . وعلاوة على ما تقدم فإنهم يصطادون الخنازير أيضاً . وهم يعتمدون في ذلك على الأقواس والسهام والكلاب . وعما هو جدير بالذكر أن سكان جزر الاندمان لم يكونوا على معرفة بالكلاب قبل وفود المستعمرين البريطانيين إلى الجزر . أما الآن فإن

Radcliffe—Brown, *The Andaman Islanders*, (٢)

(Cambridge, 1938) . p. 2 .

Ibid ; p. 36 (٤)

Ibid, p 37. (٥)



كل رجل متزوج لديه كلباً واحداً على الأقل (٦). ويسمى الأهالي فترة ما قبل
الاستعمار إلى الجزر بمصر ما قبل الكلاب ١١ .

ولم يقدم لنا رادكليف براون دراسة تفصيلية عن الخصائص الطبيعية
للأهالي، واكتفى بتناول هذه الناحية بشيء من الإيجاز مع تقديم عدد من الصور
الفوتوغرافية لهم . وهو يذكر أن الأهالي يميلون إلى القصر ، كما أن بشرتهم
سوداء وشعرهم مجعد (٧) .

وبالنسبة لللباس ، فإن سكان جزيرة الاندمان الصغرى عراة كلية ، أما
سكان جزيرة الاندمان الكبرى ، فإنهم نديجة لاتصلهم بالاوربيين ، يرتدون
قطعة من القماش يسرون بها عورتهم (٨) . وهم بصفة عامة لا يطلقون
لباسهم (٩) .

وطبقاً للتعداد الذي أجرته حكومة الهند سنة ١٩٠١ ، فقد بلغ عدد السكان
بالجزر ١٨٨٢ نسمة (١٠) . ويذكر رادكليف براون أنه قد بذلت عدة
محاولات للتحرق على تطور عدد السكان منذ سنة ١٨٥٨ حتى سنة ١٩٠١ ، أي
خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر . فستر بورتمان Mr. Portman ،
وهو من الباحثين في تاريخ الاندمانيين ، يقدر عددهم سنة ١٧٥٨ بحوالي

Ibid, p. 36. (٦)

Ibid, p. 2 (٧)

Ibid, p. 116. (٨)

Ibid, p. 138 (٩)

Ibid, p.p. 16-17. (١٠)



صورة رقم ٨

رجل من جزيرة الاندمان الكبرى ومعه ابنه



صورة رقم ٩/
امرأة تحمل طفلها



صورة رقم ١٠
مجموعة من الأهالي بساكن كوخ في إحدى القرى

٨,٠٠٠ نسمة تقريباً (١١) . وفي تقرير تعداد سنة ١٩٠١ الذي أجرته حكومة الهند نجد أن عددهم (سنة ١٨٥٨) قد بلغ ٤٨٠٠ نسمة . ويعتقد راد كليف براون أن تقرير مستر بورتمان فيه نوع من المغالاة ، كما أنه يرى أن تقرير حكومة الهند يقل كثيراً عن العدد الحقيقي للسكان في ذلك الحين . وهو يرجع، اعتماداً على أقوال المرشدين من الأهالي بالجزر، أن عدد السكان سنة ١٨٥٨ كان حوالى ٥٥٠٠ نسمة .

معنى ذلك أن عدد السكان بالجزر قد هبط هبوطاً شديداً خلال الخمسين سنة الأخيرة (١٨٥٨ — ١٩٠١) . ويرى راد كليف براون أن هذا الهبوط الشديد في عدد السكان إنما يرجع إلى قدوم الاستعمار الأوربي إلى الجزر وما جلبه معه من أمراض لم تكن معروفة من قبل في تلك المنطقة (١٢) . ففى حوالى سنة ١٨٧٠ جلب المستعمرون معهم مرض الزهري (١٣) Syphilis وانتشر بين غالبية القبائل التى تعيش في جزيرة الاندمان الكبرى . ويقرر راد كليف براون أن هذا المرض مسئول بطريقة مباشرة عن ذلك الارتفاع في نسبة الوفيات . وعلاوة على مرض الزهري فقد جلب المستعمرون معه كذلك مرض الحصبة measles إلى الجزر . ففى سنة ١٨٧٧ إنتشر هذا المرض بصفة وبائية بين سكان جزيرة الاندمان الكبرى . ويقدر المستر بورتمان أن عدد الوفيات بجزيرة الاندمان الكبرى وحدها ، بسبب مرض الحصبة قد بلغ نصف عدد السكان تقريباً (١٤) .

Ibid, p. 18 (١١)

Ibid, P. 17. (١٢)

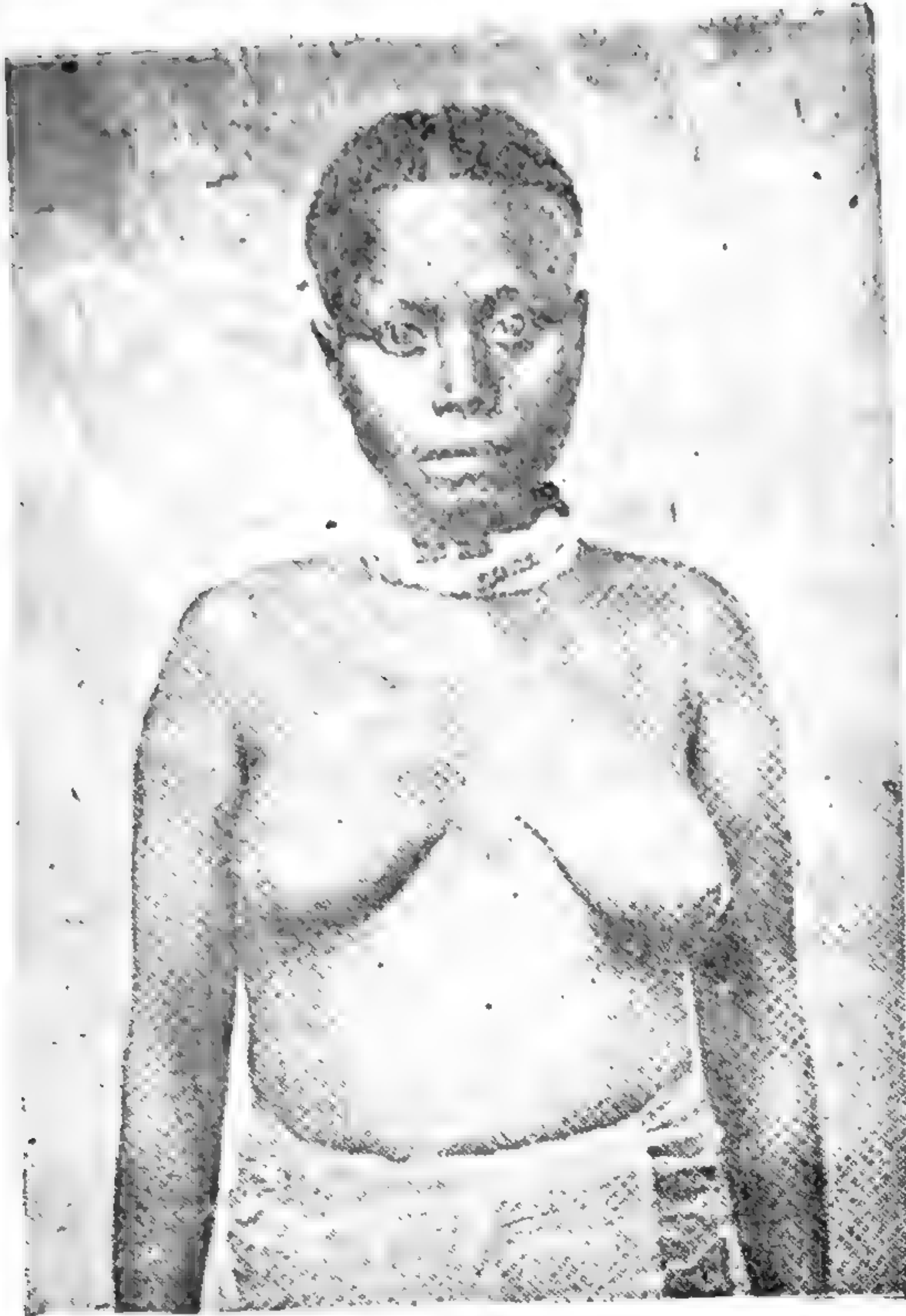
Ibid, p. 17 (١٣)

Ibid, p. 81. (١٤)

هذا ويجدر بنا أن نشير إلى أن ذلك النقص الشديد الذي ظهر في عدد السكان
بجزيرة الاندمان الكبرى لم يظهر في جزيرة الاندمان الصغرى . وذلك لأنهم
كانوا نادراً ما يتصلون بمستنعمرة المجرمين وبقبائل جزيرة الاندمان الكبرى .
وبذلك قدر لهم أن يتقوا شر تلك الأمراض والأوبئة التي جلبها معه المستعمر
الأوروبي .

ولا شك أن هبوط عدد السكان بجزيرة الاندمان الكبرى كان له أثره الكبير
في تغيير أسلوب حياتهم *mode of life* . كما أن الخدمات التي أقامتها الحكومة
لهم في *Port Blair* ، كان لها أثرها في هذه الناحية أيضاً (١٥) .

فقد أخذ الأهالي يفقدون من كافة أنحاء جزيرة الاندمان الكبرى إلى *Port Blair*
إما طلباً للعلاج في المستشفى أو للإقامة بالدار *Home* . كما بدأت السلطات
بالجزيرة أيضاً في توزيع الأرض والسكر والشاي والخبز وبعض الأدوات
المصنوعة من الحديد . ولقد كان نتيجة لذلك أن الأهالي أصبحوا يتنقلون في
أرجاء الجزيرة بعد أن كانت كل قبيلة عادة لا تميل إلى مغادرة المنطقة الخاصة بها .
أما سكان جزيرة الاندمان الصغرى ، فإن التغير في أسلوب حياتهم كان ضئيلاً
نظراً لعدم الاتصال بالمستنعمرة وبالقبايل في جزيرة الاندمان الكبرى كما سبق
وذكرنا من قبل (١٦) .



صورة رقم ١١/
امرأة متزوجة

Ibid, p. 19. (١٥)

Ibid, p. 20. (١٦)

ثانيا - ملاحظات عن كيفية إجراء البحث

١ - مدة الدراسة الحقلية : أجرى هذا البحث في الفترة من سنة ١٩٠٦ حتى سنة ١٩٠٨ . وقد قدمت نتائج الدراسة كرسالة *thesis* إلى جامعة كبريدج . ثم قام راد كليف براون بعد ذلك بإعادة كتابة تقرير البحث من جديد (١٧) . وقد نشر في سنة ١٩٢٢ ، أى في نفس السنة التى نشر فيها مالىنوسكى أول كتاب له عن جزر التروبريانند (١٨) .

٢ - قراءة ماكتب عن المنطقة : يذكر راد كليف براون أنه أطلع على كتابات الرحالة العرب وماركوپولو عن جزر الاندمان (١٩) . كما أنه قد استفاد كثيراً من كتابات البريطانيين الذين أقاموا بالمنطقة مثل مستر مان ومستر پورتمان (٢٠) . فالمستر مان *Mr. E. H. Man* كان ضابطاً بمسيرة المجرمين في پورت بليز لمدة سنوات . كما أنه أيضاً مشرفاً على دار الاندمانيين *The Andamanese Home* لمدة أربعة أعوام . وقد درس مستر مان خلال إقامته هناك لغة إحدى القبائل . كما أنه درس أيضاً عادات بعض القبائل ، وقد نشرت نتائج تلك الدراسة فى مجلة *The Journal of the Anthropological Institute* سنة ١٨٨٢ .

Ibid, p. vii. (١٧)

Argonauts of The Western Pacific. (١٨)

Radcliffe-Brown, Ibid, p. 7 (١٩)

Ibid, p. p. 20-21 (٢٠)

أما المستر پورتمان Mr. M. V. Portman فقد قضى عدة سنوات بالجزر ونشر عدة أبحاث عن لغات الاندمايين سنة ١٨٩٨ وكذلك عن تاريخ العلاقات بين سكان جزر الاندمان وبريطانيا سنة ١٨٩٩ . وعلاوة على ما تقدم ، فقد قام مستر پورتمان بأخذ كثير من الصور الفوتوغرافية للأهالي . وقد أودعت مجموعة ممتازة من هذه الصور الفوتوغرافية في المتحف البريطاني The British Museum.

٣ - ومجلة التخاطب مع الأهالي : لم يذكر راد كليف براون صراحة اللغة التي كان يستخدمها في حديثه مع القبائل المختلفة بالجزر . ويبدو لنا أنه كان يعرف لغات بعض القبائل فاستخدمها في مخاطبة أفرادها . بينما كانت هناك لغات لقبائل أخرى لم يتمكن من دراستها ، ومن ثم فقد اعتمد على المترجمين ، فهو مثلاً يذكر أنه قد اعتمد على أحد المترجمين عند حديثه مع أحد المسنين من الأهالي (٢١) .

٤ - الإقامة بالمنطقة : أقام راد كليف براون بجزر الاندمان مدة سنتين (سنة ١٩٠٦ - ١٩٠٨) . وفي أثناء تلك الفترة ، كان يختلط بالأهالي ويلاحظ عاداتهم ، كما أنه قد اعتمد على المخبرين أيضاً . ففي الفصل الرابع الخاص بالأساطير ، نجد أنه قد اعتمد اعتماداً يكاد يكون كلياً على المخبرين للحصول على الأساطير (٢٢) . كذلك نجد أنه قد اعتمد كلية على المخبرين عندما أراد

(٢١) Ibid, p. 176 . وفي صفحة ١٨٢ من نفس المرجع نحمده بغير إل وجود

مترجم كان يقوم بترجمة أقوال المخبرين له .

Ibid, p. 188. (٢٢)

أن يتعرف على التنظيم الاجتماعي الذي كان موجوداً بالجزر قبل مجيء الاستعمار الأوروبي (٢٣) .

٥ - نشر نتائج الدراسة : نشر كتاب « سكان جزر الاندمان The Andaman Islanders » ، لأول مرة سنة ١٩٢٢ ، أي بعد مرور أربعة عشر عاماً على انتهاء راد كليف براون من الدراسة الحقلية في جزر الاندمان . ويبرر المؤلف ذلك التأخير في نشر نتائج البحث بانشغاله فترة من الزمن في بحث حقل آخر كان يقوم به في غرب استراليا (٢٤) .

ويشتمل الكتاب على مقدمة وستة فصول . أما المقدمة فإنها تحتوي على دراسة للجزر من حيث الموقع الجغرافي والبيئة الطبيعية والسكان والاستعمار الأوروبي وما أحدثته من تغير في منطقة البحث . وفي الفصل الأول يتحدث المؤلف عن « التنظيم الاجتماعي » . وقد قدم لنا في البداية صورة للتنظيم الاجتماعي Social organization الذي كان موجوداً بالجزر قبل مجيء الاستعمار الأوروبي إليها . كما درس في هذا الفصل أيضاً الجريمة والملكية والقرابة والزواج . ويشتمل الفصل الثاني على دراسة للعادات الشعائرية Ceremonial Customs مثل عملية تشريط الجسم the operation of scarification وحفلات التأهيل initiation Ceremonies والموت وشعائر الجنازات والبكاء والرقص والغناء .

ويتناول الفصل الثالث بالدراسة المعتقدات الدينية والسحرية . أما الفصل الرابع فقد عرض فيه المؤلف للأساطير . وقد خصص المؤلف الفصل الخامس

Ibid, p. 32. (٢٣)

Ibid, p. vii (٢٤)

لتفسير بعض المعتقدات والامادات التي سبق وقام بوصفها في الفصلين الثاني (الامادات الشامرية) والثالث (المعتقدات الدينية والسحرية). لم يهتم المؤلف في هذا الفصل بدراسة أصل الامادات *the origin of the Customs* ولكنه درس وظيفتها الاجتماعية في الوقت الحاضر. أما الفصل السادس، فهو يحتوي على تفسير للأساطير التي سبق وقدمها في الفصل الرابع.

° ° °

وفيما يلي بعض الملاحظات عن وجهة نظر راد كليف براون بالنسبة للطريقة الأنثروبولوجية:

١ - الفصل بين الوصف والتفسير: كان ريفرز في كتابه عن التوردا ينصل بين الوصف والتفسير. وقد تأثر راد كليف براون بطريقة أستاذه ريفرز عندما كان يكتب نتائج بحثه عن جزر الاندمان. فقد خصص بعض الفصول - كما رأينا - لوصف الحقائق، ثم أتبعها بعد ذلك بفصلين لتفسير الحقائق التي قام بوصفها في الفصول السابقة.

٢ - رفض استخدام التاريخ الظني (٢٠): أوضح راد كليف براون موقفه صراحة بالنسبة للتركيبات الافتراضية *the hypothetical reconstructions of the past* وهو يؤكد أن التاريخ الظني لا يمكن أن يعطينا أية نتائج ذات أهمية حقيقية تساعدنا على فهم الحياة الانسانية والثقافية (٢٦). ويلاحظ أن مالمينوسكي يتفق مع راد كليف براون بالنسبة لنقد استخدام التاريخ الظني.

Ibid, p. 229 (٢٠)

Ibid, p. vii. (٢٦)

٣ - عدم دراسة الجنس: لم يتم راد كليف براون بدراسة أفكار الاندمايين المتعلقة بالجنس Sex، وبذلك وكما يقول هو نفسه، فقد ترك فراغاً كبيراً في الكتاب نتيجة لذلك. فالاهالي كانوا يبدون حياء شديداً عند حديثهم مع المستوطنين من البيض، ويحرصون على تجنب أية إشارة إلى المسائل الجنسية Sexual matters. كما يعترف صراحة أنه - أثناء إقامته بالجزر - لم يستطع أن يتبين مدى الأهمية البالغة لمعرفة أفكار الشعوب البدائية عن المسائل الجنسية لفهم عاداتهم.

وسوف نرى، في الفصول التالية، أن كثيراً من علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية قد أبدوا اهتماماً زائداً بدراسة سوسيولوجيا الجنس في المجتمعات البدائية. ومن هؤلاء العلماء نذكر ب. مالمينوسكي في كتابه *The Sexual Life of Savages* وريموند فيرت في كتابه *We, The Tikopia*.

٤ - التعرف على أحدث النظريات: يدعو راد كليف براون الباحثين الحقلين أن يكونوا دائماً على معرفة بأحدث النظريات في علم الاجتماع (٢٧). وهو يشير إلى البعض من الباحثين الذين يتوجهون لإجراء بحوثهم العقلية دون أن يكونوا على علم بأحدث النظريات؛ وتكون النتيجة أنهم قد يهملون تسجيل بعض النقاط التي تهم المشتغلون بالنظرية السوسيولوجية.

ثالثا - عرض لبعض نتائج الدراسة

١ - الزواج (٢٨)

عندما يلاحظ والدي الفتى أنه متعلق بفتاة معينة ، فإنهم يأخذون على عاتقهم إتمام زواجه بها . وهم يبدون بإيقاد رسول إلى أسرة الفتاة لمناقشتها في هذا الموضوع .

وبعد أن يصل الطرفان إلى اتفاق في هذا الشأن يتبادل الأسرتان الهدايا ، كما يتم تحديد ليلة الزفاف . وفيما يلي وصف لهذه الحفلة في جزيرة الاندمان الكبرى : يقوم الأهالي بإيقاد المشاعل في ساحة الرقص حتى يستطيع أفراد الجماعة مشاهدة الحفلة . وتجلس العروس على سجادة في طرف الساحة ، كما يجلس بالقرب منها أهلها وصديقاتها . أما العريس فإنه يجلس بين أهله وأصدقائه في الطرف الآخر من الساحة .

ثم يهض أحد الرجال ، وهو يكون عادة من المسنين الذين يحظون باحترام كبير من جانب أفراد الجماعة ، ويخاطب العروس مذكرا إياها بما يجب عليها نحو زوجها ، إنها يجب أن تكون صالحة ووفية لزوجها ، كما يجب عليها كذلك أن تراقب زوجها حتى لا يجري وراء غيرها من النساء . ثم يتجه الرجل المسن بعد ذلك إلى العريس ويوجه إليه عدة نصائح ، تماما كما فعل مع الزوجة .

وبعد ذلك يمسك بيد العريس ويقوده ليجلس بجوار عروسه . وعندئذ يبكي الأهالي والأصدقاء بصوت مرتفع (٢٩) ، كما يبدو الحجل الشديد على العروسين .

ibid, p.p. 70—74. (٢٨)

(٢٩) من دراسته لجمعية الأنديين ، يجلس راد كليف براون إلى الدول بأن بكاء

وفي تلك اللحظة يكون خجل العريس شديدا لدرجة أنه كثيرا ما يحاول الفرار من جانب عروسه ، إلا أن أهله وأصدقاءه سرعان ما يمسكون به ويمنعونه من القيام بذلك . وبعد مرور بضعة دقائق يأخذ الرجل المسن يد العريس ويضعها حول عنق العروس ، كما يأخذ يد العروس ويضعها حول عنق العريس . وبعد مرور عدة دقائق يقترب الرجل المسن من العريس ويحملها . يجلس على حجر عروسه عدة دقائق ثم تنتهي الحفلة بعد ذلك . ويتجه العروسان ، وهما في حالة من الخجل الشديد إلى الكوخ الجديد الذي تم إعداده لهما بمناسبة زواجهما . وفي اليوم التالي لحفلة الزفاف ، يقوم أصدقاء العروسين بتزيينهما بالطين الأبيض ، كما أنهم يقدمون لهما الهدايا والطعام خلال الأيام الأولى للحياة الزوجية .

ويذكر راد كليف براون أن الانحلال الخلقي بين المتزوجات ، وقت إجراء البحث ، كان شائعا جدا ، كما أن أفراد المجتمع أنفسهم لا يبدون اهتماما كبيرا لذلك . فإذا اكتشف الزوج أن زوجته على علاقة برجل آخر ، فإنه يتشاجر معها ، لكنه لا يلبث أن يصفح عنها بعد ذلك . ونحن عند دراستنا لهذه الظاهرة ، أي ظاهرة الانحلال الخلقي ، يجب أن نأخذ في الاعتبار الدور الخطير الذي قامت به مستعمرة المجرمين في إفساد أخلاق الأهالي .

== الأقارب والأصدقاء ، في عهد من للناسبات ، إنما يعتبر جزءا جوهريا من شعائرهم . فعندما يموت أحد الأهالي ، فإن أهله وأصدقائه يكونون . وعندما يقومون باستخراج نظام للتولي من القبر ، في نهاية فترة الحداد ، فإنهم يكونون أيضا ، وهم يكونون كذلك أثناء حفلة الراس التي تقام بمناسبة انتهاء فترة الحداد . وفي حفلات الزواج ، يبكي الأقارب وأصدقاء العروسين . وعندما يتقابل صديقان أو قريبان — كانا قد افترقا من بعضهما لعدة أسابيع — فإن أحدهما يجلس على حجر الأخر ، كما يعاود كل منهما ربة الأخر بلواحة ويخترطان في البكاء لمدة دليتين أو ثلاث دقائق حتى يحل بهما التعب .

ويرى راد كليف براون أن الفرد ، في كل هذه المناسبات ، يبكي بكاء حقيقيا real weeping . وهو يذكر أنه — ذات مرة — طلب من بعض الأهالي أن يفسروا له ذلك فإذ كان منهم إلا أن جلسوا على الأرض وبكوا بصوت عال ، كما أنهم مرت الدموع من عيونهم

بغزارة . انظر : ibid. p.p. 116-117.

٢ - الموت وشعائر الجنائز (٢٠)

تعتقد القبائل التي تعيش في جزيرة الاندمان الكبرى أن الأرواح the spirits التي تعيش في الغابات والبحار هي التي تسبب المرض للإنسان .

وعندما يموت أحد من الأهالي ، فإن خبر الوفاة سرعان ما ينتشر وتتجمع النسوة حول الجثة ويبكين بصوت مرتفع . حتى إذا ما حل بهن الإعياء من شدة البكاء ، فإنهن ينصرفن من الكوخ . ثم يدخل الرجال ويجلسون حول الجثة وينخرطون في البكاء . ويقوم جميع البالغين من أفراد المجتمع بتلطيف أجسامهم بنوع معين من الطين ، كما يضع أقارب المتوفى وأصدقاؤه المخلصون بعضاً من الطين فوق رؤوسهم .

وإذا توفي أحد أفراد الجماعة وهو في ريعان الشباب ، بعد مرض قصير ، فإن أقاربه وأصدقاؤه ينتابهم الغضب الشديد من جراء ذلك . وهم يعبرون عن ذلك بطرق شتى . فالبعض منهم يطلق سهامه في كافة الاتجاهات . كما يقوم البعض الآخر بتوجيه اللعنات إلى الأرواح التي يعتقدون أنها السبب في وفاة صديقتهم . وفي إحدى القرى بلغ الغضب بالأهالي أشده ل وفاة قريب لهم ، فقاموا بقطع إحدى أشجار جوز الهند التي كانت تنمو في قريتهم .

ويذكر راد كليف براون أن العادة قد جرت عندهم على دفن الميت في نفس اليوم الذي تحدث فيه الوفاة . وإذا أجل الدفن أصبحت اليوم التالي ، فإن جميع أفراد الجماعة يجب أن يظلوا مستيقظين طول الليل يكون ويترنمون الترانيم الحزينة .



صورة رقم ١٣

امرأة تضع الطين على جبهتها
علامة على الحزن

صورة رقم ١٢

امرأة متزوجة ، وقد ظهرت آثار
تشريط الجلد على جسمها



صورة رقم ١٤
فتاة تلبس جمجمة اختها .

ذلك أنهم يعتقدون أن الترازيم تطرد الأرواح التي سببت الوفاة من المنطقة .

ولإعداد الجثة للدفن تقوم بعض النسوة بنزع جميع الحلل منها . كما يحلقن شعر الرأس ويزين الجسم بعمل خطوط رفيعة من الطين الأبيض وخطوط من طلاء أحمر اللون (١٩) . ثم تثني الساقان والذراعان بحيث تكون الركبتان تحت الذقن . كما تكون قبضتا اليدين ملاصقتين لحدى المتوفى . وبعد ذلك تلف الجثة في حصيرة ، ثم تربط الحصيرة بقطع من الحبال . ولكن قبل أن تربط الحبال يقوم أقارب المتوفى وأصدقاؤه بإلقاء نظرة أخيرة عليه .

ثم يقوم أفراد الجماعة بحمل الجثة بحيث تكون مدلاة فوق ظهره ويسير ودمه جميع أقارب المتوفى وأصدقاؤه إلى المكان الذي اختير للدفن . ويلاحظ أن النساء في جزر الاندمان لا يسمح لهن بالاشتراك في دفن الموتي .

وهناك طريقتان للدفن :

أ - الدفن في الأرض

ب - الدفن فوق الأشجار

ويذكر رادكليف براون أن طريقة الدفن فوق الأشجار لا تحدث إلا إذا كان المتوفى شابا أو فتاة في مقتبل العمر . وبالنسبة للدفن في الأرض ، فقد جرت العادة ألا يستخدم القبر إلا مرة واحدة فقط . كما يلاحظ كذلك أنه لا توجد هناك مناطق مخصصة لدفن الموتي . والطريقة المتبعة في الدفن في الأرض هي كما يلي :

(٢٩) لاحظ مالينوسكي أيضا أن الإمالى في جزر الغروب يابند يقومون بتزيين جثث موتاهم . كما أنهم يقومون أيضا باستخراج بعض العظام من الجثة لاستخدامها في أغراض مختلفة . فالجثة تستخدم كوعاء ، أما العظام التي تأتي زوجة المتوفى تلبسه حول رجليها . انظر :

B Malinowski, *The Sexual Life of Savages* (London.

1959), p. 133.

تخفر حجرة يتراوح عمقها بين ثلاثة وأربعة أقدام . ثم تقطع الجبال المربوطة وتوضع الجثة في القبر على جانبها الأيمن وفي اتجاه الشرق . ويستعد الأهالي أنهم إذا لم يراعوا ذلك فإن الشمس سوف تقطع عن الشروق ويتم الكون الظلام . ويضع الأهالي تحت رأس المتوفى قطعة من الخشب ، كما توضع قطعتان من الخشب أيضا عند جانبيه . وفي بعض الأحيان يضعون في القبر أيضا بعض ممتلكات المتوفى مثل عقده وحزامه . وبعد ذلك يهيل الأهالي التراب فوق الجثة ، ثم يوقدون نارا بجوار القبر . كما يضعون هناك إناء به ماء .

وبعد الانتهاء من دفن الميت ، يعود الأهالي إلى معسكرهم لياخذوا ممتلكاتهم منه ، ثم يجرولونه إلى منطقة أخرى حتى تنتهي فترة الحداد ، وفي أثناء تلك الفترة يستمر أهل المتوفى في تلطيح أجسادهم بالطين ويمتنعون عن الرقص واستخدام الطلاء الأحمر للزينة . كما أنهم يمتنعون أيضا عن أكل بعض الأطعمة مثل الترسمة ولحم الخنزير وأنواع معينة من الأسماك . وتستمر فترة الحداد عدة شهور ، وإن كانت مدتها تختلف من حالة إلى أخرى . وفي جميع الأحوال يجب أن تكون الفترة كافية حتى يتحلل الجسد كلية ولا يبقى من الجثة إلا العظام فقط .

وتتلخص إجراءات إنهاء فترة الحداد فيما يلي :

أ - حفر القبر وإخراج عظام الميت منه .

ب - إقامة حفلة رقص يشترك فيها جميع أهل المتوفى .

ويجب على الأشخاص الذين يقومون بإخراج العظام أن يلبسوا أجسادهم بالطين . وبعد إخراجها من القبر يقوم الأهالي بغسلها في البحر ثم يعودون بها إلى معسكرهم . وعندما يصلون إلى القرية تستقبلهم النسوة بالبكاء والمويل .

وبعد ذلك يقوم أهل المتوفى بتزيين الجمجمة the skull والعظم الفكي jaw bone بطلاء أحمر وطين أبيض ، كما يعمل لكل منها رباط حتى يمكن أن تلبس حول الرقبة إما من الأمام أو من الخلف . والصورة رقم ١٤ تبين إحدى الفتيات وهي تلبس جمجمة أختها حول عنقها . أما بقية العظام الأخرى ، فإنها تغطي بالموين الأحمر والأبيض وتحفظ في داخل الكوخ . ومن فوائده هذه العظام أنها تستخدم الوقاية من الأمراض وكذلك لعلاجها . فثلا إذا مرض أحد الأهالي بعدداع فإنه يضع بعض هذه العظام فوق رأسه .

وبعد إخراج العظام من القبر وتزيينها ، تقام حفلة رقص في المساء . وفي هذا الاحتفال ينزل أهل المتوفى الطين من فوق أجسادهم ، ثم يطلونها بالموين الأحمر والأبيض . ويستمر الأهالي في الغناء والرقص حتى مطلع الفجر . وبعد الانتهاء من هذه الحفلة يتحلل أهل المتوفى من كل المحرمات الخاصة بفترة الحداد .

٣ — الأساطير (٣٠)

يوجد لدى سكان جزر الاندمان مجموعة من الأساطير legends ، وهم يرددونها وينقلونها من مكان إلى مكان ومن زمن إلى زمن . ولقد قام راد كليف براون بتسجيل بعض هذه الأساطير التي رواها له المخبرون من الأهالي . وهو يذكر أنه قد صادفته عدة صعاب أثناء قيامه بهذه العملية . ومن الصعوبات التي كانت تحول بينه وبين تقديم رواية واضحة أن الأسطورة الواحدة يكون لها أكثر من رواية version ، وكل رواية تختلف قليلا عن الرواية الأخرى . وإلى حد ما ، تكون هذه الاختلافات محلية . فكل قبيلة لها أساطيرها الخاصة بها بل إن أقسام القبيلة الواحدة قد يكون لها أساطير مختلفة أيضاً . وعلاوة على هذه الاختلافات المحلية . فهناك أيضاً الاختلافات الفردية . فإذا قام اثنان من قبيلة واحدة برواية إحدى الأساطير ، فإن كلمات كل منها تختلف عن كلمات الآخر ، كما أننا نجد ، إلى حد ما ، أن كل منها يرتب وقائع القصة بطريقة تختلف طريقة الآخر .

ومن دراسة راد كليف براون للأساطير الاندمانية ، نجد أنها تدور حول موضوعات مختلفة ، نذكر منها :

— أصل الجنس البشري .

— أصل الشمس .

— كيفية حصول الأسلاف الأولين على النار .

— الموت .

— الليل .

— الوحوش والطيور والأسماك .

— تشريط جلد الإنسان Scarifying the skin .

هذا ويهمنا أن نشير إلى أن الأسطورة الاندمانية تنقسم بالميل إلى المبالغة تارة وإلى الإعجاز تارة أخرى ، كما أنها في كثير من الأحيان تتخذ أبطالها من الحيوانات والطيور .

وسوف نعرض فيما يلي لبعض الأساطير عن أصل الجنس البشري والحيوانات والطيور الأسماك والجريمة والصخور .

١ — أساطير عن أصل الجنس البشري :

تقول إحدى الروايات : ، كان الإنسان الأول يسمى Jutpu . وقد ولد في داخل عقلة غابة هندية كبيرة bamboo ، تماماً كما يخرج الطائر من البيضة . فلقد انشقت الغابة وخرج منها طفل صغير . وعندما أمطرت السماء بنى لنفسه كوخاً صغيراً وعاش فيه كما أنه صنع لنفسه أقواساً وسهاماً صغيرة . وكلما كبر الطفل بنى كوخاً أكبر كما صنع أيضاً أقواساً وسهاماً أكبر . وذات يوم عثر على قطعة من الصوان ، فقام بتشريط جلده بها .

ولما كان Jutpu وحيداً ويعيش بمفرده ، فقد أخذ بعضاً من الطين من عش للنمل الأبيض وصبه على هيئة امرأة ، وبعد قليل دبّت الحياة في التمثال وأصبح امرأة فعلاً . فقام Jutpu بالزواج منها وسماها Kot .

كما صنع Jutpa بعد ذلك أشخاصا آخرين من الطين . وهؤلاء هم أجداد
الانديمانيين . ولقد علم Jutpa كيفية صناعة القوارب والاقوس
والسهام وكذلك صيد الحيوانات والأسماك .

كما قامت Kot ، زوجة Jutpa ، بتعليم النعام كيفية صنع السلال وشباك
الصيد والحصير والأحزمة وكذلك كيفية استخدام الطين لتزيين الجسم .

كما يوجد لدى بعض القبائل روايات مختلفة لأسطورة تذكر أن المونيتور
ليزرد the monitor lizard وهو نوع من السحالي ، هو الجد الأعلى
the progenitor لكل الانديمانيين . أما كيف نشأ المونيتور ليزرد نفسه ،
فإن جميع الروايات المختلفة للأسطورة لم تتعرض لذلك :

وفي يوم من الأيام ، عندما كان سير مونيتور ليزرد Sir Monitor lizard
أعزى ، توجه إلى الغابة لصيد الخنازير . ثم تسلق شجرة ، إلا أنه لم يلبث أن
لُزق فيها ولم يستطع الخلاص منها . فحتمت إليه قطة وخلصته من الشجرة
وساعدته على النزول إلى الأرض . فقام سير مونيتور ليزرد بالزواج من القطة
وأنجب منها عددا من الأطفال . وهؤلاء الأطفال هم الأسلاف الأولون .

وتبين الأسطورة التالية أيضا كيفية حصول سير مونيتور ليزرد على زوجة .
وكان سير مونيتور ليزرد هو الجد الأول لكل الانديمانيين . وفي البداية لم
يكن لديه زوجة . وذات يوم ، بينما كان يقوم بصيد الأسماك وجد قطعة من الخشب
الأسود . فأخذها معه إلى كوخة ، ووضعها على منصة فوق النار . ثم جلس
بحوار النار وبدأ يضع نفسه سهما . ونظرا إلى أنه كان مكبا على عمله ، فإنه
لم يلاحظ ما كان يحدث بجانبه في ذلك الوقت . وبعد قليل سمع شخصا يضحك
فنظر أمامه . لقد تحولت قطعة الخشب إلى امرأة !! . فنهض سير مونيتور ليزرد

من مكانه وأزاحها من فوق المنصة وجلس بحوارها . وبعد ذلك تم الزواج بينهما
وأنجبا كثيرا من الأطفال .

كما تبين هذه الأسطورة أيضا نشأة المرأة الأولى في مجتمع الانديمان وزواج
سير مونيتور ليزرد :

وفي بداية الأمر كان كل الموجودين بالجزر رجالا فقط ، ولم يكن هناك
نساء . وذات يوم حضر إلى المنطقة رجل يسمى Kolotai ليعيش فيها .
فأمسك به سير مونيتور ليزرد وقطع أعضائه التاسلية ، وحوله إلى امرأة .
ثم تزوجها بعد ذلك وأنجب منها عددا من الأطفال . هؤلاء الأطفال هم
الآجداد الأولون .

ب - أساطير عن نشأة الحيوانات والأسماك والطيور :

تبين الأسطورة التالية نشأة الطيور والأسماك :

و ذات مرة ، غضب « سير پرون Sir Prawn » (الجبرى) وقذف التيران
على الناس (الأجداد) فتحولوا جميعا إلى طيور وأسماك . وقد طارت الطيور
إلى الغابة ، أما الأسماك فإنها قفزت إلى البحر .

والرواية التالية تشبه الرواية السابقة إلى حد كبير :

و بينما كان الناس نياما ، حضر Sir Sea-eagle وألقى عليهم التيران
فهبوا مذعورين من نومهم وجروا في اتجاهات مختلفة . فأما الذين جروا إلى
البحر فقد تحولوا إلى أسماك ، وأما الذين أتجهوا إلى الغابة فقد تحولوا
إلى طيور .

كما تبين هذه الأسطورة أيضاً نشأ الحيوانات والطيور :

وفي أيام السلف الأوائل توجه Sir Tree-lizard (Kolwot) إلى اجتماع كبير عقد في الجزر. فقرر أن يقيم حفلة رافضة كبرى ودعا الحضورها جميع الناس الموجودين بالبلاد. وفي أثناء تلك الحفلة ، رقص Kolwot كثيراً حتى بدأ يتعب . وحيث أنه كانت لديه قوة بدنية خارقة ، فقد انتاب الناس الرعب وحاولوا أن يمسكوا بذراعيه . إلا أنه غضب منهم ودفعهم بشدة بعيداً عنه . فسقط بعضهم في الماء ، وهزلاً تحولوا إلى أسماك . أما الباقون فقد سقطوا فوق عنة جزر وتحولوا إلى طيور وحيوانات . وأخيراً حضر Berep (نوع من الكوربا) وأمسك بذراعيه حتى هدأت ثورته .

ب - أسطورة عن وقوع أول جريمة قتل :

كان Sir Crow (الغراب) هو أول من ظهر من الأندمانيين . وقد عاش مع زوجته Lady Dove (الحمامة) . وكان له صديق غير متزوج يدعى Sir Hawk (الصقر) . ولقد كان ذلك الصديق يحسد Sir Crow على زوجته ، وقرر أن يأخذها منه . ولما علم Sir Crow بذلك غضب غضباً شديداً وذهب إلى الغابة واختبأ هناك . وبعد قليل شاهد Sir Hawk يسير مع زوجته في الطريق فأمسك Sir Crow قوسه وسهامه وقتلها .

د - أسطورة عن كيفية تكوين الصخور القريبة من سطح البحر :

وفي يوم من الأيام خرج الإله من بلدهم في قاربين وذهبوا ليصلطادوا الترسة . وبينما كان الرجال غائبين عن البلدة ، قامت نساؤهم بإيقاد نار كبيرة في فترة المساء . ولقد كان نتيجة لذلك أن القاربين وجميع الصيادين قد تحولوا إلى حجارة . وهكذا تكونت الصخور القريبة من سطح الماء والموجودة هناك الآن . .

٤ - الملكية في جزر الاندمان

تقوم الحياة الاقتصادية على فكرة الملكية الفردية *private property* ، وإن كانت في الواقع تقترب من نوع من الشيوعية *Communism* . والأرض *land* هي الشيء الوحيد المشاع بين أفراد الجماعة المحلية . بمعنى أن جميع أراضي الصيد الخاصة بالجماعة المحلية ملك للجماعة كلها ؛ وكل فرد من الجماعة له حق الصيد في أي جزء من هذه الأرض .

ويوجد في جزر الاندمان نوع من الملكية خاص بالشجر . فإذا شاهد أحد الرجال شجرة في الغابة تصلح لبناء قارب له ، فإنه يصفها لأفراد الجماعة ويحدد موقعها ، ثم يخبرهم برغبته في استخدامها لصناعة قارب له . وتعتبر الشجرة ، إعتباراً من هذا الوقت ، ملكاً له . وقد تمر عدة سنوات دون أن ينتفع بها ؛ ومع ذلك فإن أحداً من أفراد الجماعة لا يستطيع أن يقطعها للاستفادة بها قبل الحصول على إذن منه بذلك .

ويعتبر الطعام ملكية فردية ، ويخص الشخص (ذكراً كان أو أنثى) الذي حصل عليه . فإذا ماسد أحد الرجال سهمه نحو خنزير ، فإن الخنزير يكون ملكاً . كذلك تعتبر الترس ، أو السمكة الكبيرة ملكاً للشخص الذي صادها بحريته أو بصنارته . وإذا تساق أحد الرجال شجرة وأحضر قرصاً من الشهد ، فإن القرص يعتبر ملكاً له . وإذا قامت امرأة بصيد الجبري بواسطة شبكتها فإنه يكون ملكاً لها .

وإذا صنع الرجل لنفسه سلاحاً ، فإنه يعتبر ملكاً له . وهو حر يعترف فيه كينما يشاء .

هذا ويهمننا أن نشير هنا كذلك إلى أن الزوج لا يستطيع أن يتصرف في الملكية الشخصية لزوجته دون أن يحصل منها على إذن بذلك .

ورغماً من أن كل الملكية المنقولة تعتبر ملكية فردية ، إلا أن سكان جزر الاندمان لديهم عادات تجمعهم يقتربون من الشيوعية . ومن هذه العادات نذكر عادة تبادل الهدايا بصفة مستمرة فيما بينهم . فمثلاً إذا التقى صديقان ، بعد غياب طويل ، فإن أول شيء يقرمان به هو تبادل الهدايا فيما بينهما . وحتى في الحياة اليومية العادية للقريبة ، نجد أن هناك تبادل مستمر للهدايا بين الأهالي . كما أننا نجد أن الفتى (أو الفتاة) قد يقدم شيئاً ما ، إلى أحد المسنين ، دون أن يأخذ منه شيئاً آخر مقابل ذلك (أو حتى يتوقع ذلك) . ولكن بين الانداد في السن ، نجد أن الشخص الذي يقدم هدية ، يتوقع أن يحصل على شيء مساو تماماً في القيمة من الشخص الذي تسلم هديته . ويرى الأهالي أن الشخص الذي يرفض طلباً لأحد الأفراد يعتبر خارجاً على الآداب الحسنة للجماعة .

ورغماً من أن الطعام *food* يعتبر ملكية فردية ، كما سبق وأشرنا من قبل ، إلا أن أفراد المجتمع يرون أن الشخص الذي يوجد لديه طعام يجب عليه أن يقدمه إلى الأشخاص الذين ليس لديهم طعام . فالرجل المتزوج يحتفظ لنفسه بما يكفيه من الطعام ، ثم يقوم بتوزيع ما يتبقى بعد ذلك على أصدقائه . وإذا ما اصطاد أحد الفتيان العزاب خنزيراً فإنه ينبغي عليه أن يقدم أحسن الأجزاء إلى المسنين من أفراد الجماعة . إن سكان جزر الاندمان يقدررون الكرم

generosity وهم يعتبرون ذلك من أسمى الفضائل وأنبها (٣) .



صورة رقم ١٥/
ب. مالينوسكي

إفصيل السارد سكان جزر التروبريان برونسلاو مالينوسكي

مقدمة عن حياته ومؤلفاته :

ولد برونسلاو كاسبار مالينوسكي في سنة ١٨٨٤ بمدينة وكراتو Graew ، في بولندا (١) . وكان أبوه من طبقة النبلاء ويعمل أستاذا بالجامعة . وفي سنة ١٩٠٨ حصل مالينوسكي على درجة الدكتوراه في الطبيعة والرياضيات (٢) .

غير أنه ما لبث أن قرر أن يغير مجرى حياته، فترك دراسة الطبيعة والرياضيات واتجه لدراسة الأنثروبولوجيا . وهو نفسه يذكر لنا أن قراءته لكتاب « سير جيمس فريزر Sir James Frazer ، الفصح الذهبي The Golden Bough » كانت من أهم العوامل التي أثرت في حياته وجعلته يتجه لدراسة

A. Kardiner and E. Preble, *They Studied Man* (A Mentor (١) Book, ١٩٦٣), p. 141.

Ibid. (٢)

الأنثروبولوجيا.

ورغم أن الإعجاب الشديد الذي كان يديه مالنوسكي نحو كتابات فريرز ، إلا أنه لم يوجه لدراسة الأنثروبولوجيا ، من المكتبة *From the library* ، كما كان يفعل فريرز .

وفي سنة ١٩١٠ توجه مالنوسكي إلى إنجلترا للدراسة في مدرسة لندن للاقتصاد ، *The London School of Economics* وقد قضى هناك أربع سنوات دأبا على البحث والدراسة في ذلك الميدان الجديد . وفي جامعة لندن تلقى مالنوسكي تدريسه في الأنثروبولوجيا على يد الأستاذ سلجمان Seligman الذي كان يعتبر أعظم باحث حتى *Field worker* في ذلك الحين . كما تلقى مالنوسكي كذلك في لندن على يد وستر مارك *Westmarck* ، ريفرز *Rivers* ، هوبهوس *Hobhouse* (٢) .

وفي سنة ١٩١٤ سافر مالنوسكي إلى أستراليا. إلا أن الحرب العالمية الأولى مالبثت أن نشبت ، وكان لذلك أثره الكبير في تقرير مجرى حياته العلمية . فقد قامت الحكومة الأسترالية باعتقاله حيث أنه كان نمساوي الجنسية . لكن مالنوسكي ، بدلا من أن يستكين للراحة ، تقدم للسلطات هناك بطلب منها أن تسمح له بالقيام بأبحاثه الحقلية . وبالفعل تمت له الموافقة على طلبه ؛ بل إن الحكومة الأسترالية ساهمت أيضا في التمويل الخاص بالبحث . وقد بقي

مالينوسكى في استراليا مدة ستة سنوات (١٩١٤ - ١٩٢٠) وقام خلالها بدراسة المشهورة عن سكان جزر التروبريانند (١).

وفي سنة ١٩١٩ تزوج مالينوسكى في مدينة ملبورن من ، إلى روسالين ماسون Elsie Rosaline Mason ، وكان أبوها أستاذا للكيمياء بالجامعة في استراليا . وبمسند زواجها بفترة قصيرة ، غادرا استراليا وأقاما في ، كنارى أيلاندس Canary Islands ، مدة سنة طلبا للراحة . ذلك أن مالينوسكى قد مرض مرضا شديدا في استراليا عندما بلغه خبر وفاة والدته التي كان يحبها حبا شديدا (٢).

وفي سنة ١٩٢٤ عين مالينوسكى في جامعة لندن ليقوم بتدريس الأنثروبولوجيا الاجتماعية . وبعد ذلك بمدة سنوات (سنة ١٩٢٧) شغل مالينوسكى أول كرمى ينشأ للأنثروبولوجيا في جامعة لندن (٣).

وقد قام مالينوسكى بزيارة الولايات المتحدة عدة مرات (سنة ١٩٢٦ ، ١٩٣٣ ، ١٩٣٦ ، ١٩٣٨) ودرس في عدة جامعات بها . وقد ذاع صيته في الدوائر العلمية هناك .

وفي مايو سنة ١٩٢٤ توجه مالينوسكى إلى جنوب إفريقيا لحضور أحد المؤتمرات العلمية هناك . ثم قام بعد ذلك بجولة في جنوب وشرق إفريقيا

- B. Mallinowski, *Argonauts Of The Western Pacific* (٤)
(New York, E. P. Dutton & Co - Inc., 1961), p. XiX,
Kardiner & Preble, p. 142; (٥)
R. Firth (Ed.), *Men And Culture*, (Routledge & Kegan Paul, London, 1968), p. 4. (٦)

استغرقت خمسة شهور درس خلالها قبائل المورازي ، البمبا ، الشاجا ، الماساي ، الماراجولي (٧) .

وجدير بالذكر أن مالينوسكى قد حصل على الجنسية البريطانية قبل نشوب الحرب العالمية الثانية (٨) .

وفي أثناء زيارته الأخيرة للولايات المتحدة ، نشبت الحرب العالمية الثانية ، فقرر مالينوسكى تأجيل العودة إلى إنجلترا والبقاء للتدريس في جامعة يال Yale ، (٩) . وفي خلال عامي ١٩٤٠ و ١٩٤١ قام مالينوسكى بإجراء دراسة حقلية عن الزابوتيك zapotec ، في المكسيك . وقد بلغت جملة الفترات التي قضاها هناك ، لإجراء تلك الدراسة الحقلية ، ثمانية شهور تقريبا .

وفي مايو سنة ١٩٤٢ توفي مالينوسكى فجأة في نيويورك بالولايات المتحدة بسبب نوبة قلبية (١٠) .

هذا ويهنا أن نشير هنا إلى أن كتب مالينوسكى كانت متنوعة من التداول في ألمانيا ، نظرا للعداء الشديد الذي كان يبديه نحو النازية .

كما يهنا أن نشير هنا كذلك إلى أن مالينوسكى كان على صلة ، لعدة سنوات ، بالمعهد الدولي للغات والثقافات الإفريقية of the International Institute of African Languages and Cultures .

وجدير بالذكر أن ذلك المعهد قد بذل جهودا كبيرة للمساعدة في إجراء

Ibid (٧)

Ibid, p. 13 (٨)

Kardiner & Breble, p. 143. (٩)

Ibid. (١٠)

البحوث عن مشكلات الاستعمار والتغير الثقافي في إفريقيا (١١) .
ومن تلاميذه نذكر : ريموند فيرث ، لوسى مير ، س . في بادل ، أ .
ريشاردز ، برستيان ، شاپيرا . يقول ريتشاردز :
« لقد بدأ مالينوسكي يحاضر في جامعة لندن سنة ١٩٢٤ . وكنت أنا
والاستاذ فيرث — الذي يشغل الآن كرسي الأستاذية الذي كان يشغله
مالينوسكي في لندن — أول تلميذين يدرسان الأنثروبولوجيا على يديه ، في ذلك
العام . وفيما بين عام ١٩٢٤ وعام ١٩٣٠ تلمذ على يديه معظم الأنثروبولوجيين
الاجتماعيين الآخرين الذين يشغلون الآن كراسي الأستاذية في بريطانيا العظمى
والدومينيون . ونستطيع أن نقول بحق أن الدراسات الحقلية Field Studies
السامية في ميدان الأنثروبولوجيا الحديثة تدور — بطريق مباشر أو غير مباشر —
إلى تعليمه ؛ فهو كان يؤكد ويصر على أننا لا نستطيع أن نفهم الحياة الاجتماعية
لأي شعب إنساني إلا إذا قمنا بدراستها دراسة مركزة ؛ كما أنه كان يؤكد أيضا
أن القيام بدراسة حقلية مركزة واحدة على الأقل في مجتمع إنساني يعتبر جزءا ضروريا
من تدريب الأنثروبولوجي الاجتماعي » (١٢) .

B. Malinowski, *The Dynamics of Culture Change*, (١١)
(New Haven, Yale University Press, 1945). p. p.
VI - VII.

E. E. Evans-Pritchard, *Social Anthropology and* (١٢)
Other Essays, (The Free Press, New York, 1956),
p.p. 74 - 75.



صورة رقم ١٩

فتاتان جيلانيان من جزر التروبريداند

أولا — لمحة عن جزر التروبرياند

تقع هذه المجموعة من الجزر شرق غينيا الجديدة (١٣). وهي تتكون من عدد من الجزر المرجانية تحيط بمستنقع كبير. وتربة الأرض خصبة، كما أن المستنقع غنى بالأسماك. ومن ثم فإن الأهالي يشتغلون بالزراعة وصيد الأسماك كما أنهم يشتغلون بالتجارة كذلك.

ويعيش الأهالي في مجموعة من القرى. وتتكون كل قرية من عدد من الأكواخ يستخدم بعضها لسكن الأهالي، بينما يستخدم البعض الآخر كمخازن لليام *yam*. وفيما يلي وصف موجز لإحدى القرى (١٤). (شكل رقم ١). يوجد في وسط القرية ساحة كبيرة ومستديرة تحيط بها حلقة *ring* من الأكواخ يستخدمها الأهالي لحزن اليام. كما يوجد أيضا خارج هذه الدائرة من مخازن اليام دائرة أخرى من الأكواخ يسكن فيها أهالي القرية. والمسافة التي بين الدائرتين تكون شوارعاً دائرياً (١٥). ويستخدم الأهالي الساحة الموجودة في وسط القرية للاحتفالات العامة، أما الشوارع الدائرية، فإن الأهالي يقضون فيه أغلب أوقاتهم. فالنساء تعد الطعام هناك. وتتناول الأسر طعامها فيه أيضاً. كما يشاهد الأهالي وهم جالسون يتجاذبون أطراف الحديث مع جيرانهم.

B. Malinowskj, *Argonauts of The Western Pacific*, (١٣)
P. xvi.

(١٤) القرية التي نعلمها هنا هي قرية «أوماراكانا» *Omarakana*

B. Malinowski, *The Sexual Life of Savages* (London, (١٥)
1939), p. 8.

وتسكن في كل كوخ أسرة تتكون من الزوج والزوجة والأطفال الصغار ،
أما البالغون فإنهم يقيمون عادة في دور العزاب (١٦) . وبالنسبة لحكام القرى
والأفراد من ذوي المكانة المالية ، فإنهم يبنون لأنفسهم أكواخا خاصة بهم
علاوة على الأكواخ الخاصة بزوجاتهم .

وأرضية المسكن من الطين ؛ أما الأثاث فإنه غاية في البساطة . فهو يتكون
من عدد من الأسرة مصنوعة من الخشب ، وعدد من الأرفف لتضع عليها
الأسرة شبك الصيد وأواني طهي الطعام وغير ذلك من الأدوات المنزلية (١٧) .
وفي العادة لا يستخدم الأهالي مساكنهم إلا البيت بها ليلا أو للاحتماء بداخلها
في ساعات سقوط الأمطار .

ومن الناحية الفيزيائية يتم سكان تلك الجزر بالبشرة السمراء (١٨) والشعر
المجعد . وأما بالنسبة لللباس ، فهم شبه عراة .

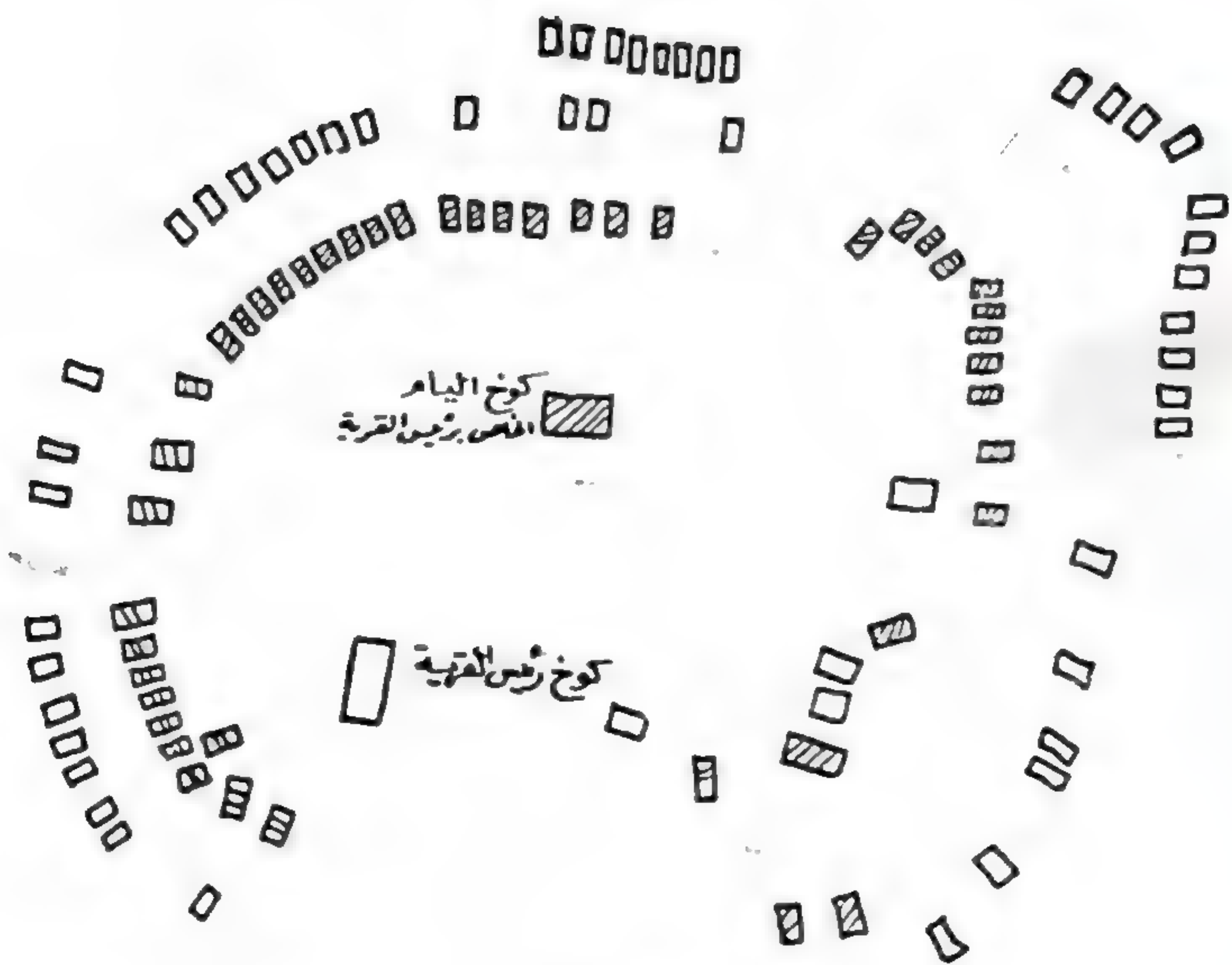
وبالنسبة لنظام الأسرة ، فإن النظام السائد هناك هو النظام الأمومي (١٩) .
فالطفل ينتمى إلى عشيرة أمه ؛ وأما من حيث الميراث فإنه يرث خاله . والواقع
أن علاقة الابن بأبيه *same* تألفت النظر حقاً . فالأهالي لا يعترفون بوجود أية
علاقة فيسيولوجية بين الأب وابنه ومن ثم فإنهم يرون أنه لا توجد علاقة قرابة
بينها . وبالرغم من ذلك فإن الأب يعيش مع أبنائه في معيشة واحدة ويرعاهم
في حالات المرض كما أنه يتقدم في ساعات الخطر .

ibid, p. 61. (١٦)

ibid, p. 18. (١٧)

Argonauts p. 18 (١٨)

ibid, p. 71. (١٩)



شكل رقم ٧
قرية أوماراكانا

والعلاقات الجنسية تبدأ بين الجنسين في سن مبكرة ، ومن ثم فإنه لا يوجد عذارى virgins بالمجتمع (٢٠) .

ويلعب الساحر دوراً هاماً في حياة التروبرياالدين . فهو ضروري للزراعة والحماية للأطفال وكذلك في حالات الحب أيضاً . وعلاوة على ما تقدم فإن الساحر له أهميته في صناعة السفن ، فهو لازم ليجعل السفينة سريعة وفي أمان . كذلك يعتقد الأهالي أن المرض والصحة والوفاة تنتج عن الساحر (٢١) . ويذكر لنا مالينوسكى أن الرؤساء يستفيدون من قوة الساحر للتغلب على أعدائهم فعندما يشك حاكم القرية في وجود مؤامرات ضده ، فإنه يسلط عليهم الساحرة للانتقام منهم .

ibid, p. 53. (٢٠)

ibid, p- 77. (٢١)

ثانيا - ملاحظات عن كيفية إجراء البحث

١ - تمويل البحث : تلقى مالينوسكى منحة مالية من مصادر مختلفة هي : جامعة لندن ، حكومة استراليا ، الأستاذ سلجمان . وهو يذكر لنا أن سلجمان قد قدم له منحة مالية قدرها مائة جنيه ، كما أنه قد أمده بآلة تصوير وفوتوغراف وأدوات لقياس الجسم البشرى (٢٢) .

٢ - قراءة ما كتب عن المنطقة : قام مالينوسكى بالاطلاع على الابحاث التى أجريت من قبل عن جزر التروبرياند . وهو يذكر لنا أنه قد استفاد بصورة خاصة من دراسات هادون وسلجمان عن المنطقة (٢٣) .

٣ - التعرف على أحدث النظريات العلمية : وعلاوة على الاطلاع على الدراسات السابقة عن المنطقة ، فإنه ينبغي على الباحث الحقل أن يكون على معرفة تامة بأحدث النظريات فى ميدان الأنثروبولوجيا الاجتماعية . فالباحث الحقل ، كما يرى مالينوسكى ، يعتمد كلية على النظريات العلمية . وهو يشير إلى أن نظريات فريزر ودوركايم وغيرهما من العلماء كانت دائما مصدر وحى وإلهام للباحثين الحقلين ، كما أنها قد قادتهم إلى الكثير من النتائج الجديدة .

٤ - رفض استخدام التاريخ الظنى : دعا مالينوسكى الباحثين إلى نبذ استخدام التاريخ الظنى . وهو فى هذه الناحية يتفق مع راد كليف براون .

٥ - دراسة الأنثروبولوجيا الفيزيائية : قبل سفر مالينوسكى إلى منطقة البحث ، قام ساحمان بتمويله بآلة تصوير وأدوات خاصة بقياس الجسم البشرى .

B. Malinowski, *Argonauts of The Western Pacific*, (٢٢)
p. XiX.

Ibid, p.p. 28-29, (٢٣)

وقد عرض لنا مالينوسكى فى تقاريره عن المنطقة عددا من الصور الفوتوتوغرافية للأهالى . إلا أننا نلاحظ أنه لم يتم تضمينها قياسا للجسم البشرى . وقد قدم لنا إشارات موجزة عن الصفات الفيزيائية للأهالى ثم أحال القارىء الذى يرغب فى المزيد من المعلومات عن هذه الناحية إلى دراسات سلجمان عن المنطقة (٢٤) .

٦ - مدة الدراسة الحقلية : قام مالينوسكى بثلاث بعثات إلى غينيا الجديدة New Guinea . أما البعثة الأولى ، فقد قام بها فى الفترة من سبتمبر سنة ١٩١٤ حتى مارس سنة ١٩١٥ ، بناء على توجيه من أستاذه سلجمان . وقد قضى تلك الفترة أساما فى جزيرة تولون Toulon Island . كما أنه قد قام خلال تلك البعثة أيضا بزيارة خاطفة إلى جزيرة وودلارك Woodlark Island .

وفى يونيو سنة ١٩١٥ غادر مالينوسكى استراليا متجها إلى جزر التروبرياند ، وقد أقام بها حتى مايو سنة ١٩١٦ . ثم عاد مالينوسكى إلى تلك الجزر مرة ثانية فى أكتوبر سنة ١٩١٧ وظل بها حتى أكتوبر سنة ١٩١٨ . وبذلك يكون مالينوسكى قد قام ببعثتين إلى جزر التروبرياند . وقد بلغت الحملة الكلية لفترة البحث الحقلى هناك عامين اثنين فقط (٢٥) .

وجدير بالذكر أن مالينوسكى كان يقضى الفترة بين كل بعثة وأخرى فى دراسة المادة التى جمعها من الميدان وكذلك فى الاطلاع على بعض الدراسات

Ibid, p. 28 (٢٤)

R. Firth, *Man And Culture*, p. 77. (٢٥)

في مجال تخصصه (١٦) .
والذي لا شك فيه أن هذه البعثات الثلاث إلى غينيا الجديدة كان لها أثرها
الكبير في حياة مالينوسكي (١٧) .

٧ - الإقامة في قرى الأهالي : يرى مالينوسكي أنه يجب على الباحث
أن يقيم في قرى الأهالي وأن يتبع قدر المستطاع عن الاختلاط بالمستوطنين
من البيض . وهو يرى أن ذلك له فوائد عديدة . فكثير من آراء البيض
كالمبشرين ورجال الإدارة والتجار تنقسم بالتحيز . ومن ثم فهي لا تفيد الباحث
في كثير من الأحيان . وغلاوة على ما تقدم فإن شعور الباحث بالعزلة سوف
يدفعه إلى الاندماج مع الأهالي وتكوين صداقات معهم ، وهذا بالتالي سوف
يجعله على معرفة وثيقة بماداتهم ومعتقداتهم .

٨ - إجراء الدراسة الحقلية بمفرده : لم يصطحب مالينوسكي فريقاً من
الباحثين عند ذهابه لإجراء البحث الحقل في جزر التروبرنايد (كما هو
الحال بالنسبة لبعثة جامعة كبرديج إلى مضائق تورييس) ، كما أنه لم يصطحب
معه زوجة (كما فعل سلجمان عند دراسته لقبائل جنوب السودان) ، وإنما
نجد أنه قد ذهب بمفرده إلى هناك (تماماً كما فعل رادكليف براون في
جزر الاندمان) . يقول مالينوسكي : (١٨)

« I did my work entirely alone »

Argonauts, p. xix (٢٦)

Robert Lowie, *The History of Ethnological Theory* (٢٧)

(George G. Harrap & Co. Ltd, London, 1937), p. 231.

Argonauts p. xvi (٢٨)



صوره رقم ١٧

بمجموعة من الأهالي أمام كوخ أحد الزعماء في قرية د أو مارا كانا ،
(على اليمين) . وقد ظهرت بالقرب منه الخيمة التي كان يقيم فيها مالينوسكي .

٩ - وسيلة التخاطب مع الأهالي : في بداية الأمر استخدم مالينوسكي في تخاطبه مع الأهالي Pidgin-Baglish إلا أنه سرعان ما تبين أن ذلك لن يمكنه من التغلغل في الحياة الاجتماعية وفهمها فهما سليما . ومن ثم فقد اتجه لدراسة لغة الأهالي ، واستخدمها في التخاطب معهم (١٩) . هذا ويهمننا أن نشير هنا إلى أن مالينوسكي قد ضمن دراسته نصروا عديدة بلغة الأهالي أنفسهم ، كما قدم الترجمة الانجليزية بجانبها .

وجدير بالذكر أن مالينوسكي يتفق مع فرايزر بواس في هذه الناحية ؛ فهو (أى بواس) يصر على ضرورة إجادة الباحث الحقل للغة المجتمع الذي يقوم بدراسته (٣٠) .

١٠ - الملاحظة وأقوال المخبرين : أشرنا من قبل إلى أن مالينوسكي قد أقام داخل قرى الأهالي أثناء فترة البحث الحقل . وقد اعتمد أساسا في جمع المعلومات على الملاحظة وتوجيه الأسئلة إلى المخبرين . وهو يحذر الباحثين الحقلين من الاعتماد فقط على أقوال المخبرين من الأهالي ، بل يجب عليهم أن يتبعوا ذلك بالملاحظة حتى يمكن التأكد من صحة أقوال المخبرين وكذلك من مدى الفارق بين أقوالهم وبين السلوك الفعلي للأفراد . إن أقوال المخبرين قد تصف لنا النمط المثالي للسلوك ، لكننا قد لا تبين لنا حقيقة السلوك الفعلي للأفراد . ومن ثم فهو ينصح بأن يجمع الباحث دائما بين الملاحظة وتوجيه الأسئلة .
وعلاوة على ما تقدم ، فهو ينصح الباحثين الحقلين أن يقوموا أحيانا بوضع آلة التصوير والكراسة والقلم جانبا ، ثم يشتركون مع الأهالي في

ibid, p. xvi (٢٩)

R. Lowie, The History Of Ethnological Theory, (٣٠)
p. 132

انشطتهم (كالألعاب والزيارات مثلا) . وهو يذكر لنا أنه كان يقوم بذلك في كثير من الأحيان (٢١) .

هذا ويهمننا أن نشير إلى أن مالينوسكي قد استحال عليه في بعض الأحيان أن يعتمد على الملاحظة كأداة لجمع البيانات ، واضطر إلى الاعتماد على أقوال المخبرين فقط . ومن الأمثلة على ذلك دراسته لحالات الانتحار (٢٢) التي حدثت في الماضي وكذلك دراسته لبعض التواحي المتعلقة بالجنس (٢٣) .

ويرى مالينوسكي أنه يجب على الباحث أن يذكر لنا صراحة أى البيانات حصل عليها عن طريق الملاحظة وأياها قد حصل عليه عن طريق المخبرين (٢٤) .

١١ — الطريقة الجنيا لوجية : كما استخدم مالينوسكي الجداول الجنيا لوجية عند دراسة مصطلحات القرابة في الأسرة ومدى انتشار بعض الظواهر بها . فمثلا نجده يقدم لنا جدولاً لجنيا لوجيا لإحدى الأسر يوضح فيه مدى انتشار ظاهرة زواج الطفل من ابنة أخت أبيه (٢٥) .

١٢ — وسائل الإيضاح : كما تدلنا الدراسة كذلك على أن مالينوسكي قد ضمن أبحاثه عن مكان جزر التروبريانند بمجموعة من الصور الفوتوغرافية والأشكال والخرائط . ولا شك أن ذلك كان له أثره الكبير في توضيحها وتدعيمها .

Argonauts. p. 21 (٢١)

Crime and Custom in Savage Society. p. 95 (٢٢)

The Sexual Life of Savages. p. 238 & p. 282 (٢٣)

Argonauts. p. 15 (٢٤)

The Sexual Life Of Savages. p. 85 (٢٥)



صورة رقم ١٨

مالينوسكي يتحدث مع أحد المخبرين

١٣ - نشر نتائج الدراسة : لم يقدم لنا مالينوسكى ، كما فعل بعض

العلماء ، نتائج دراسته عن سكان جزر التروبرياندا فى كتاب واحد . بل إنه

نشر سلسلة من الكتب عالج فى كل واحد منها موضوعا رئيسيا (مثل النظام

الاقتصادى ، الحياة الجنسية ، الجريمة . . . الخ) فى ضوء علاقته بالحياة

القبلية ككل the tribal life as a whole .

ومن هذه الكتب نذكر :

1 *Argonauts of The Western Pacific* وهذا هو أول كتاب نشره

مالينوسكى عن سكان جزر التروبرياندا . وقد ظهر لأول مرة سنة ١٩٢٢ ،

أى فى نفس السنة التى ظهر فيها كتاب رادكليف براون عن سكان جزر الاندمان .

والموضوع الرئيسى فى هذا الكتاب هو دراسة الاقتصاد فى أحد المجتمعات

البداية . ويتكون هذا الكتاب من مقدمة Introduction واثنين وعشرين

فصلا . وقد أوضح مالينوسكى فى المقدمة (وهى بعنوان *The Subject, Method*

And scope of this inquiry) منهجه الذى اتبعه فى جمع البيانات من

الميدان (٢٦) .

ويذكر اننا مالينوسكى أنه قد اعتمد — عند كتابة هذا الكتاب — على

المادة التى قام بجمعها أثناء دراسته الحقلية عن الثقافة القبلية ككل . ذلك أنه يرى

أن الجوانب المختلفة للمجتمع متشابكة بدرجة كبيرة بحيث أننا لا نستطيع أن

نفهم جانبا واحدا منها دون أن نأخذ فى الاعتبار الجوانب الأخرى . وسوف

يجد القارئ فى الكتاب بكل وضوح إشارات مستمرة للبناء الاجتماعى والسحر

والبيولوجيا. الخ ، رغم أن الموضوع الرئيسي للكتاب إنما هو موضوع

اقتصادي . economic

*The Sexual Life Of Savages in North-Western
Melanesia .*

نشر هذا الكتاب لأول مرة سنة ١٩٢٩ . ويحتوي الكتاب على أربعة عشر فصلاً تبحث في الحياة الجنسية . ومن هذه الموضوعات تذكر : العلاقة بين الجنسين ، منزلة المرأة ، الزواج ، الطلاق ، معتقدات الأهالي عن إنجاب الأطفال ، الخ ، السحر الخاص بالحب ، الأحلام ، الأساطير . . الخ .

والواقع أن هذا البحث يعتبر دراسة علمية رائدة في ميدان سوسيولوجيا الجنس *Sociology of Sex* . ولقد تبع مالتوسكي في هذه الناحية كثير من علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية . ومن هؤلاء العلماء تذكر ريموند فيرت ، شاپيرا ، مرجريت ميد (١٧) .

ونحن إذاً نقرأ مالتوسكي براد كليف براون في هذه الناحية ، فسوف نجد أن راد كليف براون يعترف لصراحة بأنه كان يسيء الحظ لأنه لم يتمكن من دراسة الحياة الجنسية عند الأهالي في جزر الاندمان . وهو يمل ذلك بنسب محزنة . والأهالي هناك ، مثلاً ، كانوا يبدون حياة شديدة عند حديثهم مع الرجل الأبيض في هذه الناحية . كما أن راد كليف براون لم يستطع —

R. Firth: *We, The Tikopia* (1936) ; 1-(٢٧)
Schapera, *Married Life in An African Tribe*
(1939) ; M. Wead. *Sex And Temperament In
Three Primitive Societies* (1950)



صورة رقم ١٩
مالتوسكي وصحة بحيرة من الأطفال

أثناء إقامته بالجزر أن يقين مدى الأهمية البالغة لمعرفة أفكار الشعوب البدائية
عن المعائل الجنسية .

Crime and Custom in Savage Society - ٢

نشر هذا الكتاب لأول مرة سنة ١٩٢٦ . ويتكون هذا الكتاب من
قسمين رئيسيين . أما القسم الأول فقد خصصه المؤلف لدراسة القانون البدائي
Primitive law والنظام order . أما القسم الثاني ، فقد خصصه لدراسة الجريمة
والعقاب Punishment في ذلك المجتمع .

Coral Gardens and Their Magic - ٤

يتكون هذا الكتاب من جزئين . وقد ظهر لأول مرة سنة ١٩٣٥ . وقد
اهتم مالمينوسكي في هذا الكتاب بدراسة زراعة الحدائق والسحر .

ثالثا - عرض لبعض نتائج الدراسة

(١)

الانتحار

هناك وسائل مختلفة يلجأ إليها المنتحرون في جزر التروبرياندا . ومن هذه الوسائل نذكر : القفز من فوق قمم النخيل ، تعاطي السم الذي يستخرجه الأهالي من مرارة أنواع معينة من السمك ، تناول نباتات سامة . والسم الذي يستخرج من مرارة السمك لاشفاء منه ؛ في حين أن النباتات السامة ليست مميته ، ويمكن علاجها بتعاطي مواد مميته . ويذكر لنا مالىنوسكى أن النباتات السامة كثيرا ما تستخدم في حالات الخصام بين العشاق وكذلك في حالات المنازعات الزوجية .

وبينما أن نشير هنا بشئ من الإيجاز إلى بعض الأمثلة لحالات الانتحار في ذلك المجتمع :

الحالة رقم ١ : ويحكى أن فتاة ، تدعى Bomawaku ، كانت مخطوبة لأحد الشبان هناك . لكنها كانت ، في نفس الوقت ، تعشق شابا من نفس عشيرتها clan . وكانت تلك الفتاة تلتقي بعشيقها في بيت للعزاب دون أن تكثر بخطيبها . وذات يوم اكتشف خطيبها حقيقة الأمر ، فقام بسبها وإهانتها أمام الناس . وعلى أثر ذلك ارتدت الفتاة أبى ثيابها وحليها وصعدت إلى قمة نخلة ، وهى تبكى بحزن وتصرخ بصوت مرتفع . ثم ألقت بنفسها من ذلك الارتفاع الشاهق وسرعان ما لقيت حتفها (٢٨) .

الحالة رقم ٢ : كان Mwakenawa رجلا يتمتع بمكانة عالية في المجتمع ، كما أنه كان مشهورا بتدرااته السحرية الحارقة . كما يحكى عنه أيضا أنه كان متزوجا بعدة زوجات . غير أنه كان يحب إحدى زوجاته (وكانت تدعى iowa) حببا شديدا . وذات يوم نشب خلاف حاد بينه وبين تلك الزوجة ، فقام بسبها بعبارات قاسية لا يحوز أن توجه من زوج إلى زوجته . ولم تحمل الزوجة ذلك ، فصعدت على الفور إلى قمة نخلة وانتحرت انتقاما لكرامتها . وفي اليوم التالى - وبينما كان الأهالي يكون حول جثة الزوجة المنتحرة - انتحر الزوج كذلك حزنا على موت زوجته . وقد وضع الأهالي جثته بجوار جثتها وأخذوا يكوئنها معا (٢٩) .

الحالة رقم ٣ : اتهم رجل زوجته بالزنى . فصعدت على الفور إلى قمة نخلة وانتحرت . ونتيجة لذلك فقد انتحر الزوج (٣٠) .

الحالة رقم ٤ : اتهمت زوجة زوجها بالزنى ، فانتحر الزوج بواسطة السم (٣١) .

الحالة رقم ٥ : غادرت زوجة أحد الزعماء بيتها وهى غاضبة وتوجهت إلى قريتها . وعندما وصلت إلى هناك طلب منها أقاربها مصادرة القرية والعودة ثانية إلى زوجها . كما أنهم أيضا هددوها باستخدام القوة لإرغامها على ذلك . ولم تحمل الزوجة ذلك الموقف من جانب أقاربها فتسلقت نخلة وانتحرت (٣٢) .

Ibid, p.p. 95-96 (٢٩)

Ibid, p. 96 (٣٠)

Ibid, (٣١)

Ibid, p. 97 (٣٢)

الحالة رقم ٦ : سافر أحد الزعماء في رحلة طويلة بعيدا عن القرية التي تعيش فيها زوجاته . وقد انتهرت إحدى الزوجات (وكانت تدعى Bogonela) فرصة غياب زوجها وأخذت تستقبل عشيقها في كوخها . غير أن الزوجة الأكبر سنا للزعماء اكتشفت تلك العلاقة وأخذت تراقب الزوجة العاشقة . وذات ليلة سمعت (أى الزوجة الأكبر سنا) صوتا في داخل كوخ الزوجة العاشقة ؛ فتوجهت إلى هناك وضبطت العاشقين معا . وسرعان ما انتهرت الفضيحة في كل أرجاء القرية ؛ كما حضرت الكثيرات من النسوة من أقارب الزوج الغائب وقن بسبها وإهانتها علانية . وعلى أثر ذلك ، تصرفت الزوجة المذنبه طبقا للعادات السائدة في ذلك المجتمع . لقد ارتدت أحسن ملابسها ، كما تزينت بكل ما تملك من حلى ثم تسلمت إلى قبة نخلة عالية توجد في مكان بوسط القرية . وسرعان ما تجمع الكثير من الناس في ذلك المكان . كما وقفت ابنتها الصغيرة تحت النخلة وهي تبكي وتصرخ . وبعد أن أوصت الزوجة المذنبه الزوجة الأكبر سنا برعاية ابنتها الصغيرة بعد وفاتها ألقت بنفسها من فوق قبة النخلة فأتت على الفور (١٢) .

وهناك دوافع مختلفة للالتحار في جزر التروبريانند ، نذكر منها : نكاح المحارم incest ، المنازعات العائلية ، الزنى adultery ، التكفير عن خطيئة ، سوء المعاملة .

(٢)

دار العزاب

في حديثه عن العلاقات الجنسية في مرحلة ما قبل الزواج ، نجد أن مالينوسكى قد تناول بالدراسة بشيء من التفصيل دار العزاب Bukumatula ، وما تقوم به من دور في الحياة الاجتماعية عند التروبرياندين . فهو يذكر لنا أن كل قرية بها عدد من الدور الخاصة بالعزاب . ويختلف هذا العدد من قرية إلى أخرى . فقرية أو مارا كاني ، كان بها خمسة دور للعزاب وقت إجرام البحث ؛ أما قرية د كاساني ، فكان بها أربعة دور فقط . ويذكر لنا مالينوسكى أن عدد هذا النوع من المساكن قد تضاعف في الوقت الحالى نتيجة لتأثير البعثات التبشيرية على الأهالى (١٣) .

ولكن لماذا تقام بيوت العزاب ؟ في مرحلة ما قبل الزواج توجد علاقات غرامية بين الفتيان والفتيات . ورغبة في تمكين الفتى من مقابلة فتاته لإشباع رغباتهما الجنسية في خلوة ، فقد أقيم في كل قرية عدد من منازل العزاب لتحقيق ذلك الغرض .

ويخصص كل منزل لعدد من العشاق يختلف عددهم من مسكن إلى آخر ، فقد يكون هناك زوجان أو ثلاثة أو أربعة أزواج من العشاق .

(١٤) يذكر لنا مالينوسكى أن دور العزاب في قرية أو مارا كاني تقع في الحفرة الداخلية المحيطة بالساحة والتي تضم أيضا غارزات البام والمساكن الخاصة برئيس القرية وأتباعه . كما أنه يجمع كذلك إلى أن البعض من الأعداء قد تمهوا وأخبروا إلى إقامة بيوت العزاب في الحفرة الخارجية التي تضم مساكن الأهالى .

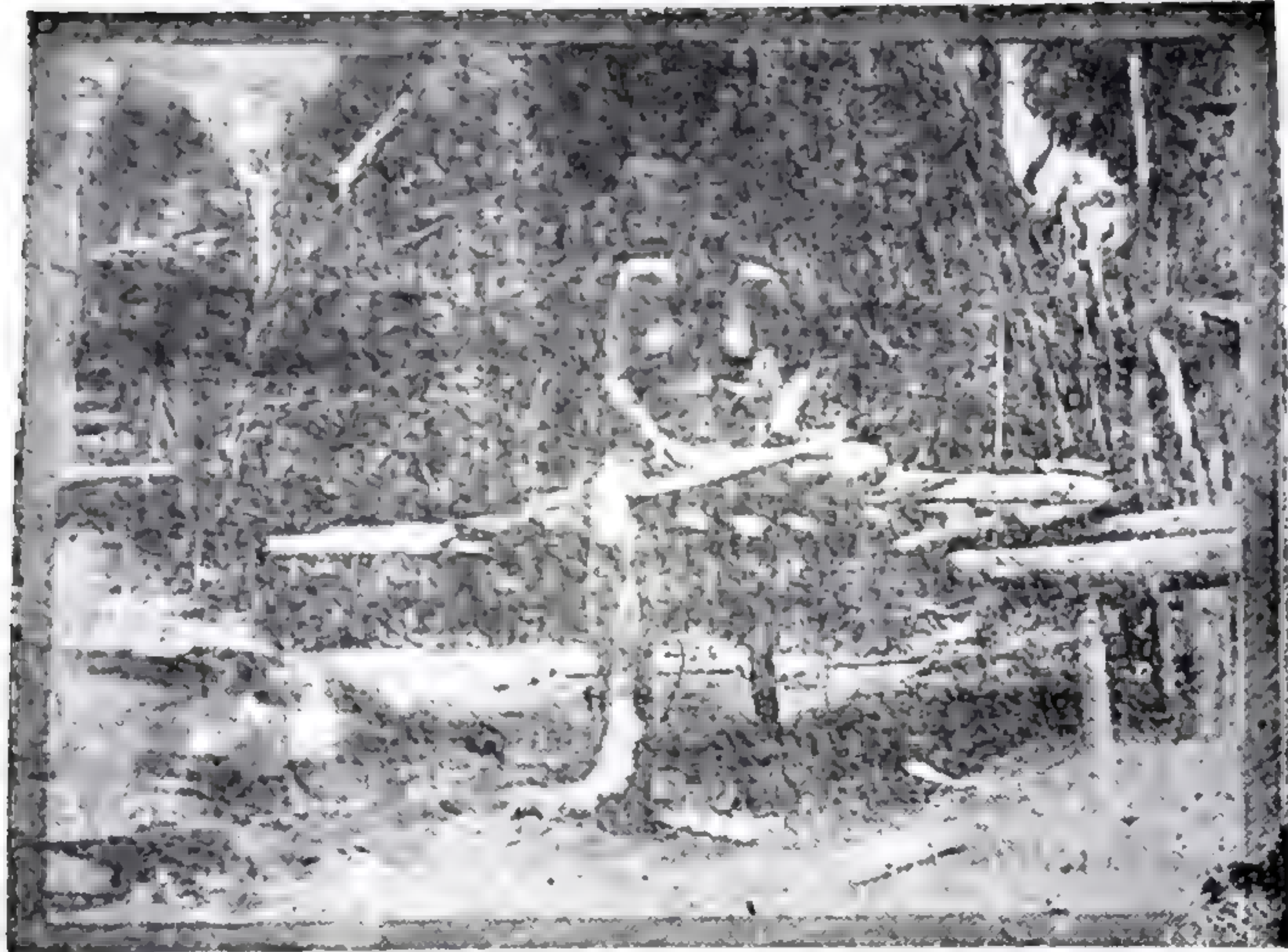
والتنظيم الداخلي للدار بسيط للغاية . فاللائات يتكون من عدد من الأسرة
مغطاة بنوع من الحصيد . ويختص كل قى وقتساء بسرير معين للنوم عليه
بصفة منتظمة .

وإذا حدث وفص العاشقان علاقتهما الغرامية ، فإن الفتاة هى التى تهجر
دار العزاب وتبحث لها عن عشيق جديد تقضى معه وقتها وفى دار خاصة به .

وأما بالنسبة للملكية الدار ، فهى فى العادة تكون للجماعة التى تقيم فيها .
وقد يبدو لأول وهلة أن العلاقات السائدة داخل الدار هى نوع من الزواج
الجماعى Group Marriage . ولكن الدراسة ، كما يرى مالىنوسكى ، تبين عدم
صحة ذلك . فكل قى يختص بفتاة معينة . وهم لا يتبادلون الفتيات فيما بينهم ، كما
أنهم كذلك لا يجذبون قيام الفتى بملاطفة عشيقة زميله بالدار أو محاولة الصيد
فى أرض الغير . . ويذكر مالىنوسكى أن هناك نوع من الاتفاق بين المقيمين
بالدار على احترام الحقوق الجنسية الخاصة بالغير ، كما أنه لا يجوز كلية مراقبة
الغير وهم فى لحظة غرام مع فتياتهم .

وبما تجدر الإشارة إليه أيضا فى هذا المجال أن الصلة بين الفتى والفتاة داخل
الدار إنما هى صلة غرامية بحتة . فالحب هو الذى جمع بينهما ، وهما يتقابلان
بالدار لقضاء بعض الوقت وإشباع الغريزة الجنسية . وكثيرا ما تتطور هذه
العلاقات إلى مزيد من الارتباط بين العاشقين ، فيقررا فى النهاية الاتفاق
على الزواج .

وإذا ما اتفق الفتى مع فتاته على الزواج ، فإنه يجب عليه ألا يتناول
معه أى طعام على الإطلاق . ذلك أن مثل هذا العمل ، فى نظر الأهالى ، يعتبر



صورة رقم / ٢٠
فتاة تجلس أمام دار للعزاب

تحقيرا للفتاة ، كما أنه يعتبر أيضا خروجا على الآداب (١٥) ١١

ومن طريف ما رواه لنا مالىنوسكى عن العشاق في ذلك المجتمع أن الفتى إذا خرج مع فتاته في نزوة خلوية ، فإنهما يسليان أنفسهما بجمع الأصدا ف وقطف الزهور وتدخين التبغ . كذلك يقوم الفتى ، بتفلية ، شعر عشيقته وأكل ما قد يستخرجه من القمل ١١ كما تقوم الفتاة أيضا بتفلية شعر حبیبها وأكل ما قد تعثر عليه من قمل . ولا يرى الأهالي أية غضاضة في ممارسة هذه الم عادة ١١ وعلى العكس من ذلك ، فهم يرون أنها تدخل السرور في نفوس العاشقين ١١ (١٦) .

(٣)

الزواج والطلاق

بالرغم من الحرية التي يتمتع بها الشباب في ممارسة العلاقات الجنسية ، كما سبق وأوضحنا من قبل عند حديثنا عن دار العزاب ، إلا أنهم بصفة عامة يميلون إلى الزواج وتكوين أسرة خاصة بهم .

هذا وتدلتنا الدراسة على أن هناك عوامل اجتماعية واقتصادية وعاطفية تلعب دورها في هذه الناحية . فالفرد في جزر التروبريان لا يحظى بالمكانة الكاملة Full Status في الحياة الاجتماعية إلا إذا كان متزوجا . والواقع أنه لا يوجد هناك من البالغين من يعيش بلا زواج إلا إذا كان المرء أبلها idiot أو أبرصا أو عليلا لا يرجى شفاؤه أو كان من الأراامل الطاعنين في السن . وإذا ما هجرت الزوجة بيتها ، وفقد الزوج الأمل في استردادها فإنه سرعان ما يبحث له عن زوجة جديدة . وإذا ما توفيت الزوجة فإن الزوج ، بعد انتهاء فترة الحداد ، سرعان ما يتزوج مرة أخرى . ولا يختلف الأمر بالنسبة للمرأة في هذه الناحية ، فهي في حالة الطلاق أو وفاة الزوج تبحث لنفسها عن شريك جديد لحياتها .

كما يعتبر الجانب الاقتصادي من أهم العوامل التي تدفع الشباب إلى الزواج ، حيث أن القانون القبلي يلزم أسرة الفتاة أن تقدم منحة اقتصادية للزوج كل عام . وعلاوة على ما تقدم ، فهناك أيضا الميل الطبيعي من ناحية الرجل ليكون له بيت مستقل وأسرة خاصة به وأطفال يعيشون في كنفه .

وهناك أيضا الإخلاص والحب للمرأة التي أحبها الرجل وقضى معها وقتا من



صورة رقم ٢١/
امرأة تغطي رأس زوجها

حياته . فذلك يدفعه إلى العمل على الارتباط بها والعيش معها تحت سقف واحد . ولا بد للفق الذي يريد الزواج أن يحصل على موافقة أسرة الفتاة قبل الزواج . وفي بعض الأحيان ترفض الأسرة طلب الفتي إما لأنه ينتمي إلى طبقة اجتماعية أدنى من طبقتهم وإما بسبب كسله الشديد أو لأن الأسرة ترغب في تزويج ابنتها إلى شخص آخر . وفي بعض الأحوال نجد أن الفتي والفتاة يعترضان على قرار الأسرة ، فتنتقل الفتاة للإقامة في مسكن والدي الفتي ، أو يعتمد الإثنان إلى الفرار إلى قرية أخرى . ويقوم البعض من أقارب الفتي بالتوسط لدى أسرة الفتاة لعلها توافق على إتمام الزواج . وفي حالة رفض الوساطة ، فإن أسرة الفتاة تتوجه إلى المنزل الذي تقيم فيه الفتاة وتنزعها منه انتزاعاً . وكثيراً ما تحدث اشتباكات عنيفة بين أسرة الفتاة من جراء ذلك .

وفي الأحوال العادية ، وبعد أن يحصل الفتي على موافقة أسرة الفتاة، تتبادل الأسرتان الهدايا . وبعد ذلك بعدة أيام تتوجه الفتاة من تلقاء نفسها مع فتاتها إلى مسكن أسرته بدلاً من أن تتوجه إلى مسكن أسرتها (*) ، فتقيم معه هناك وتتناول معه الطعام ، وترافقه حينما سار أثناء النهار ، وعندئذ ينتشر الخبر لقد تزوج الفتي فتاته .

وعلاوة على الطريقة السابقة للزواج ، فهناك أيضاً الزواج عن طريق الخطوبة في مرحلة الطفولة المبكرة *infant betrothal* . وإذا كانت الطريقة التي تحدثنا عنها من قبل تقوم على حرية الاختيار والتجربة والعلاقات القوية التي تمت على مر

(*) بهمننا أن نغير إلى أن الزواج في جزر التروبرياندهم دون أية احتفالات ، بعكس ما هو متبع عندنا في مجتمعنا المصري . وبالنسبة لإقامة الفتي والفتاة ، فافهموا بهيمان بعضاً من الروايات مع والدي الفتي ، ثم يتنقلان بعد ذلك إلى كوخ مستقل .

الأيام بين الفتى والفتاة ، فإن الزواج القائم على الخطبة في مرحلة الطفولة يختلف كل الاختلاف . فهو يعتمد على الاتفاق الذي يتم عادة بين الأسرتين . وبعد أن يتم الزواج ، فإنه يجب على أسرة الفتاة أن تقدم للزوج منحة اقتصادية بصفة منتظمة كل عام . ويستمر تقديمها طالما أن الزوجة تعيش مع زوجها . ويتوقف حجم هذه المنحة على مكانة *the status* الشريكين من الناحية الاجتماعية . إلا أنها بصفة عامة ينبغي ألا تقل عن نصف ما تمتلكه أسرة متوسطة في خلال عام .

وإذا كان الزوج يتلقى منحة اقتصادية من أسرة زوجته كل عام ، فإنه ينبغي عليه هو أيضاً أن يقدم المنح الاقتصادية لأسر أخواته المزوجات بصفة منتظمة في كل عام . ومن أجل ذلك ، فإن البعض من الفتيان يضمنون في الاعتبار عدد الإخوة الذكور للزوجة إذا ما فكر في الإقبال على الزواج فكلما كثر عددهم كلما زادت المنح الاقتصادية التي تقدم له .

وعلاوة على المنح الاقتصادية ، فإن أسرة الزوجة تقدم للزوج العديد من الخدمات في مختلف المناسبات . فهي تساعد عندما يريد أن يصنع لنفسه قارباً أو عندما يريد أن يبنى لنفسه مسكناً جديداً . كما أنهم يساهمون بمجهودهم معه في الإعداد عند سفره لصيد الأسماك . وفي حالة مرض الزوج فإن أسرة الزوجة تقوم بالمصير على حياته ليلا ونهاراً لحمايته من شرور السحرة *Sorcerers* . وبالإضافة إلى ما تقدم فهم يقفون بجواره في حالات الخطر يشدون أزره ضد أعدائه .

وهنا نتعامل : ما هي الأسباب القانونية والاجتماعية التي تدفع المرء إلى أن يقدم هذه المنح الاقتصادية بانتظام في كل عام ؟ يرى مالينوسكي أن ذلك مرده

ولا شك إلى العادات القبلية *tribal Customs* السائدة وكذلك إلى الاعتراز أو التباهي . إذ لا يوجد عند التروبريانديين أية عقوبات محددة *definite punishments* توقع على الفرد في حالة عدم قيامه بتأدية ذلك . وكل ما في الأمر أن المجتمع يحقر ذلك الشخص ويزدرجه .

ويذكر لنا مالينوسكي أن الزواج المونوجامي *monogamy* هو النمط الشائع في ذلك المجتمع . ولكن يوجد إلى جانب ذلك نظام تعدد الزوجات *polygamy* الذي ينتشر بين الرؤساء وكذلك الأشخاص ذوي الأهمية في المجتمع كالسحرة المشهورين مثلاً .

وبالنسبة للطلاق ، فإنه لا يعتبر أمراً نادراً في مجتمع التروبريانديين . وهو يرجع إلى أسباب مختلفة نذكر منها : سوء المعاملة ، الخيانة الزوجية ، وقسوة الزوج أو الزوجة في غرام شخص آخر ، كسل الزوج ، الغيرة ، الكره ، فقد الرجل عمله ، والمشاجرات بين أسرة الزوج وأسرة الزوجة .

والإجراءات الخاصة بالطلاق غاية في البساطة . فالزوجة تغادر منزل زوجها ومعها ممتلكاتها الشخصية وتوجه إلى منزل أمها أو إلى منزل إحدى قريباتها وتقيم هناك . وفي خلال إقامتها هناك تتمتع الزوجة بالحرية الكاملة في إشباع رغباتها الجنسية . ويحاول الزوج من جانبه استمالة زوجته وإقناعها للعودة إليه مرة ثانية ؛ وهي قد توافق أو قد ترفض العودة نهائياً . هذا ويشير مالينوسكي إلى أن الزوجة بعد انفصالها عن زوجها وبصفة خاصة إذا كانت لا تزال شابة تعود مرة أخرى إلى سابق حياتها التي كانت تحياها قبل الزواج ، فتغشى دور المزاج لإشباع رغباتها الجنسية مع أحد الشبان هناك . وكثيراً ما تنتهي العلاقة داخل الدار إلى زواج جديد .

هذا ويهمننا أن نشير إلى أن الأطفال في حالة الطلاق يهجرون المنزل مع أمهم ويقيمون في مسكن قريب لهم من ناحية الأم (١٧)

(٤)

الموت وشعائر الجنائز (١٨)

عند وفاة الزوج ، فإن الزوجة تحزن عليه كثيراً ، ولا تغادر منزلها إلا بعد مرور قره طويلة من الحداد. هذا ويشير مالينوسكى إلى أن التفرقة تبدو واضحة بين أقارب المتوفى من ناحية الأم وبين زوجته وأطفاله وأصهاره وأصدقائه من ناحية أخرى من حيث كيفية التعبير عن حزنهم على المتوفى. فالأقارب من ناحية الأم يتمتعون كلية عن لمس جثة المتوفى أو حتى الاقتراب منها لأن ذلك في نظرهم محرم عليهم. كما أنه لا يسمع لهم أن يقرموا بنسل الجثة أو تزويقها أو تهشيكها أو دفنها. وهم يعتقدون أن مجرد الاقتراب من الجثة أو لمسها يؤدي أو لا محالة إلى إصابتهم بالملل الخطيرة وموتهم. كما ينبغي عليهم كذلك ألا يظهر حزنهم عليه بارتداء زى معين أو بتزيين أجسامهم ، وإنما يكتفون بالبكاء تعبيراً عن حزنهم وألمهم. أما الزوجة والأطفال وأقارب الزوجة وأصدقاء المتوفى ، فإنهم يعبرون عن حزنهم بالولولة بصوت مرتفع ، ويصبغ أجسامهم بالمحباب Soot كما أنهم يحلقون شعر الرأس كذلك .

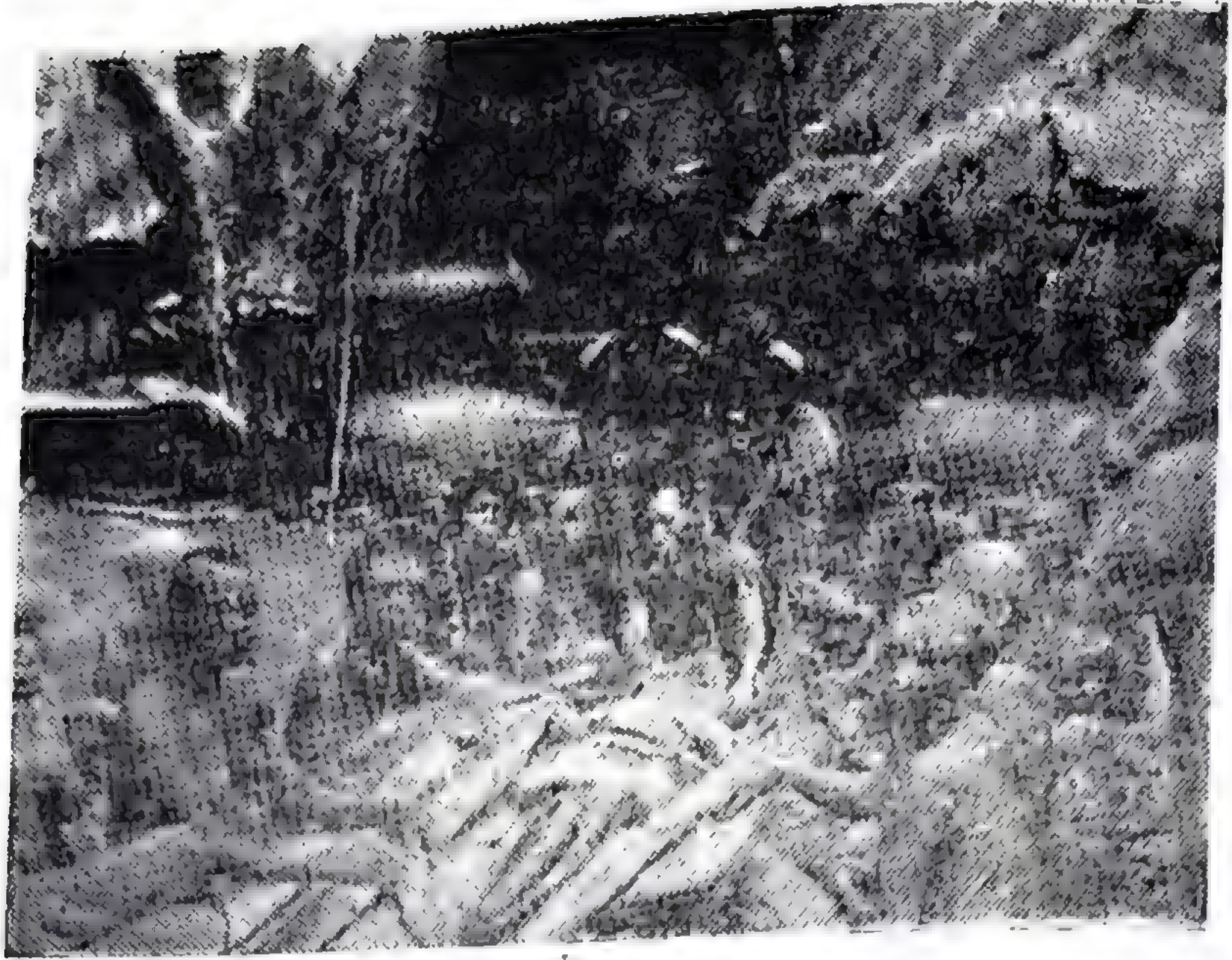
وبعد حدوث الوفاة يقوم الأهل باتخاذ الخطوات التالية لدفن الجثة :

تغسل الجثة وتنقش بعض الخطوط على الوجه ، ثم تزين بالعديد من الحلل كالأساور والمعقود . وبعد ذلك تسد فتحات الجسم بألياف من القشرة الخارجية لجوز الهند . كما تربط الساقان معا وكذلك يربط الذراعان إلى الجانبين .



صورة رقم ٢٢

جثة فتاة جميلة ماتت فجأة . وقد وقف زوجها ليسندها حتى يتمكن مالينوسكى من تصويرها .



صورة رقم/٢٣

جثة امرأة بعد إخراجها من القبر

بفرض فحصها لاكتشاف أية علامات خاصة بالسم

وبعد ذلك توضع الجثة على ركب عدد من النساء اللاتي يجلسن على أرضية الكوخ ، أما الزوج فإنه يجلس معهن ليمسك برأسها . وتقوم النساء بتشريك الجثة ويمسسن عليها بأيديهن ويطبطين ويحركن الرأس والأطراف . وتستمر النساء في تحريك الجثة والعمل على جعلها تتلوى مع إيقاع نواحين وعويلهن الذي لا ينقطع .

ويعتلى الكوخ بالنائمين الذين يترنمون الترانيم الحزينة . وتهمر الدموع مدراراً من أعينهن ، كما يتدفق المخاط من أنوفهن . أما خارج الكوخ ، فإن البعض من النساء يقمن بالرقص وهن يمسكن في أيديهن بعضاً من مخلفات المتوفى . وفي خلال ذلك يقوم أبناء المتوفى بحفر قبر له خارج القرية . وبعد مرور عدة ساعات على الوفاة توضع الجثة في القبر بعد لفها بالحصير . ثم يغطى القبر بعد ذلك بكتل من الخشب . وتجلس الزوجة فوق هذه الكتل من الخشب لتسهر على الجثة . ويجلس معها كذلك ابنتها وإخوتها وقريباتها وصديقاتها وأقربائها . كما يتجمع هنا أيضاً عدد كبير من الأهالي .

وعند غروب الشمس في اليوم التالي للدفن تستخرج الجثة من القبر، ويقوم الأهالي بنحسها ليتبينوا وجود أية علامات خاصة بالسحر (١٩). والصورة رقم ٢٣ تبين لنا جثة امرأة وقد أخرجت من قبرها وقت غروب الشمس بعد دفنها في اليوم السابق .

وفي اليوم التالي ، وقبل طلوع النهار ، يستخرج أبناء المتوفى الجثة من القبر

(١٩) بعد دفن الجثة بفترة تتراوح بين ١٢ ، ٢٤ ساعة ، وبالضبط عند أول غروب الشمس بعد الدفن ، يفتح اللبر ويستخرج الجثة . ثم يقوم الأهالي بنحسها وفحصها بفحص اكتشاف ما قد يوجد فيها من علامات السحر . لا إذا وجدت خنوش على

مرة ثانية ، ويقومون باستخراج بعض العظام منها ، ثم تدفن الجثة ثانية بعد ذلك . وهم يحتفظون لأنفسهم بعض العظام ويقومون بتوزيع البعض الآخر على أقاربهم . ويرى الأهل أن عملية استئصال عظام الموتى والاحتفاظ بها كخلفات إنما هي نوع من التقوى والورع والاحترام الزائد لشخص المتوفى . وهم يقومون بذلك عن طيب خاطر بالرغم من أن الجثة تكون قد بدأت في التعفن .

وتوزع العظام على الزوجة والأقارب ، وهم يستخدمونها في أغراض مختلفة . فالزوجة تأخذ الجمجمة *the skull* لتستخدمها كوعاء ، أما العظم الفكى *the jaw bone* فإنها تضعه حول رقبتها كحليّة *ornament* وبالنسبة للأقارب من ناحية الزوجة وأقارب وأصدقاء المتوفى ، فإنهم يأخذون أظافره وأسنانه وشعره ويحملونها كنوع من الزينة . أما أقارب المتوفى من ناحية الأم ، فإن استخدام عظام المتوفى محرم عليهم تحريماً باتاً *strictly tabooed* . وإذا لم يبق هؤلاء الأقارب من جانبهم بمراعاة ذلك ، فإنهم يمتدّون أن بطونهم سوف تنتفخ ، وربما أدى ذلك إلى موتهم .



صورة رقم/٢٤

أرملة في فترة الحداد . ويلاحظ أنها قد حطت شعر رأسها وصبغت وجهها بالهباب . أما الصدر فهو مغطى بمجموعة كبيرة من الخرز الأسود . كما يتدل على صدرها أيضاً العظم الفكى لزوجها المتوفى .

كنى القول ، فذلك يبنى أن المتوفى قد ارتكب جريمة الزنا مع إحدى النساء الأحرار الذي أنار غضب أحد الرؤساء أو السرة شاه ، فاستنم السرة لثقة . كذلك إذا وجد عدد كبير من القمل على الجثة ، فإن سناء أيضاً أن المتوفى قد ارتكب جريمة الزنا مع إحدى النساء . ومما هو جدير بالذكر أن الحكومة قد أصدرت أوامرها بمنع ممارسة هذه العادة ، إلا أن الأهل لا زالوا يمارسونها مرة واحدة خاصة في القرى البعيدة .



صورة رقم ٢٥/
العظم الفكى للزوج
بعد تزيينه

(٥)

العلاقة بين عالم الأرواح وإنجاب الأطفال

يمتقد التروبريانديون أن هناك علاقة وثيقة بين عالم الأرواح spirit world وعملية إنجاب الأطفال . ومن أجل ذلك فقد قام مالاينوسكي بدراسة رحلة الروح بعد خروجها من الجسد وعلاقة ذلك بالأحياء من سكان الجزر . فالأهالي يعتقدون أن الروح تتجه بعد الموت إلى جزيرة الموتى The Island Of the Dead والتي يطلقون عليها اسم « توما Tuma » . وفي تلك الجزيرة تحيا الروح حياة سعيدة وشبيهة بحياتنا الدنيا ؛ وإن كانت تتسم بأنها أكثر سعادة .

لكن الروح قد تضيق بهذه السعادة الدائمة وترغب في العودة إلى الجزر مرة ثانية . وفي هذه الحالة فإن عمر روح الشخص المتوفى يصغر بحيث تصبح الروح طفلة « spirit-child » . وهذه الأرواح الأطفال أو الصغيرة جداً في السن spirit-children هي المصدر الوحيد للحياة بالنسبة للبشرية . فالروح تعود مرة ثانية إلى جزر التروبرياند وتدخل في رحم المرأة . لكنها لا تتجه إلى أى امرأة ، بل إلى رحم امرأة تكون من نفس العشيرة الخاصة بالزوج .

ولكن كيف تتسلل أرواح الأسلاف إلى رحم المرأة ؟ يقول أحد المخبرين من أهل الجزر : « إن النمتاة العذراء لا تحمل لأنه لا يوجد طريق مفتوح أمام الأرواح لتدخل . ولكن حينما تتسع فتحة رحم المرأة ، فإن الروح يمكن أن تتسلل إلى الداخل » . وهكذا يتبين لنا أن التروبريانديين يمتقدون أن الحمل ينتج

من دخول أرواح الأسلاف في رحم المرأة ، وأن الزواج والمعاشرة الجنسية هما الوسيلة الوحيدة التي يمكن بها إزالة العوائق التي تعترض سبيل تلك الأرواح دون أن يكون لهما هما نفسيهما دخل في عملية الإنجاب . وبعبارة أخرى ، يعتقد الإلهامي أنه لا توجد صلة بيولوجية بين الأب والابن (٥٠) .

(٥٠) يعتقد الإلهامي كذلك أن إناث الحيوانات تحمل من تلقاء نفسها دون حاجة إلى التزاوج مع الذكور من الحيوانات .

ويذكر لنا مالبوسكي أن هناك نوعان من الخنازير بالجزر . ويشيخ النوع الأول منها في الذكر مع الإلهامي . أما النوع الثاني فهو من النوع البري الذي يعيش في الغابات ، وبالنسبة للخنازير التي تعيش في القرية ، فإن الإلهامي يقومون بخصي الذكور منها حتى تحتفظ بقوتها . أما الإناث فإن الإلهامي يدمونها ويجول في أطراف القرية ولدى الثغابات حيث تكون لديها الفرصة مهيأة لتزاوج مع الذكور من الخنازير البرية . وبذلك تكون جميع الخنازير التي تلد إناث خنازير القرية من دل خنازير الغابة . وحيثما ذكر مالبوسكي هذه الحقيقة للإلهامي عارضوها بشدة وأكدوا أنه خنازير الغابة لا تدخل لها في حل الإناث ، حيث أن إناث الحيوانات تحمل من تلقاء نفسها .

ومما رواه مالبوسكي في هذا الشأن أيضا أن أحد التجار اليونانيين قد أحضر إلى الجزر سلالة ممتازة من الخنازير . وقد تلفت الإلهامي إلى الحصول عليها ، فكانوا يفترون الخنزير الواحد منها مقابل خمسة من الخنازير التي يربونها في قراهم . إلا أنهم بعد حصولهم على هذا النوع الممتاز من الخنازير ، لم يفكروا على الإطلاق في إحضار ذكور من الخنازير من نفس السلالة لتزاوج معها . وملاوة على ما تقدم ، فقد قام الكثير من الإلهامي بخصي الذكور من هذه السلالة . وحينما لفت نظرهم أحد التجار من البيض ، وأوضح لهم خطأ ذلك على مستوى السلالة ، فإنهم لم يحاولوا فهم ما قاله لهم ، واستمروا في خصي الذكور من هذه السلالة الممتازة .

ومما هو جدير بالملاحظة في هذه الحجة أيضا أن الإلهامي يعتقدون أن إناث الحيوانات تحمل من تلقاء نفسها وليس بسبب الأرواح كما هو الحال بالنسبة للمرأة .

ويذكر لنا مالبوسكي أن اتجاه الإلهامي نحو أطناهم يقدم لنا شاهداً جديداً على إثبات جلالهم بالعلاقة الفسيولوجية بين الأب وإبنه . فالزوج الذي يهافر بعيداً عن زوجته لمدة عامين مثلاً ، ثم يعود بعد ذلك ليحدها قد أنجبت له طفلاً أو طفلين يتהל وجهه فرحاً وبشراً لدى سماعه الخبر ، ولا يمكن أن يقول في خاطره أبداً أن يدهها بالزنا مع رجل آخر (٥١) .

لم يكن راغبا في بداية الامر في قبوله عضوا بها . إلا أنه مالبث أن غير رأيه ووافق على إضافته إلى أعضاء البعثة إزاء الإلحاح الشديد من جانب سلجمان . ومن الموضوعات التي اهتم سلجمان بدراستها أثناء إقامة البعثة هناك نذكر : الامراض بالمنطقة ووسائل العلاج التي كان يستخدمها الاهالي ، العادات الخاصة بالبلوغ عند المرأة في الجزر الغربية لمضايق توريس .

وفي سنة ١٩٠٥ تزوج سلجمان ، برنداز ، سلجمان Brenda Z. Seligman التي كانت متخصصة في علم الحيوان .

وفي خلال عامي ١٩٠٧ ، ١٩٠٨ درس سلجمان وزوجته ، الفيداس the Veddas ، في سيلان .

وفي سنة ١٩٠٩ توجه سلجمان وزوجته بناء على طلب من حكومة السودان لدراسة قبائل جنوب السودان . وتحقيقا لذلك الغرض ، فقد قاما بثلاث بعثات expeditions خلال الفترة من سنة ١٩٠٩ حتى سنة ١٩٢٢ . ونظرا للرض الشديد الذي ألم بسلجمان ، فقد عهدت حكومة السودان إلى إيفانز بريتشارد E. E. Evans — Pritchard (وهو أحد تلاميذ سلجمان) القيام بمواصلة الدراسة الحقلية في جنوب السودان . فدرس قبائل الأزاندي (١٩٢٦-١٩٣٠) وقبائل النوير (١٩٣٠ - ١٩٣٦) . وهذا ويمنا أن نشير هنا إلى أن سلجمان وزوجته - في كتابهما الذي نشر عن قبائل جنوب السودان (١٩٣٢) - قد اعتمدا كثيرا على نتائج أبحاث إيفانز بريتشارد هناك (٢) (الأزاندي والنوير) . والذي

C.G. Seligman and B Z Seligman, *Pagan Tribes* (٧) of *The Nileotic Sudan*. (London, 1932). p. xili.

الفصل السابع

قبائل جنوب السودان

ش . ج . سلجمان

لمحة عن حياته ومؤلفاته :

ش . ج . سلجمان Charles Gabriel Seligman هو أحد رواد الأنثروبولوجيا في بريطانيا . وقد ولد في لندن ١٨٧٣ . وفي بداية حياته درس الطب ، وتخصص لفترة من الزمن في الأبحاث الباثولوجية (١) .

وفي سنة ١٨٩٨ تحول سلجمان إلى ميدان الأنثروبولوجيا وانضم إلى بعثة جامعة كمبردج الأنثروبولوجية إلى مضايق توريس (١٨٩٨ — ١٨٩٩)

the Cambridge Anthropological Expedition to Torres Straits

ويذكر لنا أ . هادون A. Haddon . رئيس البعثة - أن سلجمان قد تقدم بطلبه للانضمام للبعثة بعد أن تم اختيار جميع أفرادها ، ومن ثم فإنه - أي هادون -

Encyclopaedia Britannica Vol. 20 (1968), p. 192. (١)

لا شك فيه أن دراسة ساجمان وزوجته عن قبائل جنوب السودان تعبير من الدراسات الأنثروبولوجية الهامة في إفريقية . يقول إيمانز بريتشارد وريموند فيرت و ب . مالبينوسكي وشابيرا في « المقدمة Preface » التي كتبوها لكتاب « مقالات مهداة إلى ش . ج . ساجمان » (٢) :

« No administrator or theoretical Worker on the cultures of Africa could do without *Pagan Tribes Of The Nilotic Sudan* »
وعلاوة على الأبحاث الحقلية، فقد قام ساجمان بتدريس الأنثولوجيا في مدرسة لندن للاقتصاد والعلوم السياسية . ومن تلاميذه نذكر : ب مالبينوسكي (١) ، إ . إ . إيمانز بريتشارد (٥) ، ماير فورتنس (٦) ، س . ف . نادل (٧) . وقد ظل ساجمان يعمل في مدرسة لندن من سنة ١٩١٠ حتى تقاعده سنة ١٩٣٤ (٨) .

E. E. Evans-Pritchard and associates (Ed.). *Essays* (٢)
Presented to C. G. Seligman. (London, 1934). p. ix
Abram Kardiner & Preble. *They Studied Man*. (١)
p. 142.

E.E. - Evans Pritchard. *Witchcraft, Oracles and* (٥)
Magic Among the Azande, (Oxford, 1937). p. vii
M. Fortes. *The Dynamics of Clanship Among the* (٦)
Tallensi. (the Oxford University Press, 1945), p. xiv.
S. F. Nadel. *A Black Byzantium*. (the Oxford Cla (٧)
rendon Press, 1946), p. xli.

(٨) تنذير الجمهور ساجمان ، واعترايا بنضله ، نشرت جامعة من علماء الأنثروبولوجيا في سنة ١٩٣٤ كتابا بعنوان « دراسات مهداة إلى ش . ج . ساجمان » . ومن الذين شاركوا في إعداد ذلك الكتاب نذكر : إيمانز بريتشارد ، ريموند فيرت ، ب مالبينوسكي ، شابيرا ، وسفرمارك . أنظر :

E.E. Evans-Pritchard and associates (Ed.). *Essays Presented to C. G. Seligman*, (London, 1934).



صورة رقم / ٢٦

ش . ج . ساجمان (١٨٧٣ - ١٩٤٠)

وفي سنة ١٩٣٨، كان ساجمان، أستاذًا زائرًا، visiting Professor، في جامعة
يال Yale University، بالولايات المتحدة. وفي سنة ١٩٤٠ توفي ساجمان
في أكسفورد.

ومن مؤلفات ساجمان نذكر:

The Melanesians of British New Guinea (1910) ; *The
Veddhas* (with B. Z. Seligman), (1911) ; *Pagan Tribes of the
Nilotic Sudan* (with Brenda Z. Seligman) , (1932).

أولاً - ملاحظات عن كيفية إجراء البحث

١ - الفرض من البحث : يذكر ساجمان وزوجته أن قبائل جنوب السودان لها عاداتها وتقاليدها وأديانها ولغاتها المختلفة ، وأنه لا بد للحاكم من أن يتعرف على كل ذلك بطريقة علمية . ورغبة من الحكومة في تحقيق هذا الهدف ، فقد اقترح *Sir James Currie* ، مدير التعليم بحكومة السودان في ذلك الحين ، القيام بإجراء دراسة أنثروبولوجية عن القبائل الوثنية في جنوب السودان . وقد عملت الحكومة إلى ساجمان وزوجته القيام بتلك الدراسة ، وقدمت لهما كل ما يلزم من تمويل لإجراء البحث .

٢ - مجال البحث : بلغت مساحة السودان وقت إجراء البحث ، حوالي مليون ميل مربع ، كما بلغت المسافة من أقصى الشمال حتى أقصى الجنوب حوالي ١٢٠٠ ميل تقريباً . وبالنسبة للعرض فإن أكبر عرض من الشرق إلى الغرب قد بلغ ١٠٠٠ ميل تقريباً . وينقسم السودان إلى قسمين رئيسيين :

أ - السودان الشمالي : وسكان هذه المنطقة يدينون بالدين الإسلامي ويتحدثون اللغة العربية ، كما أن الكثير منهم يرجعون بنسبهم إلى أصل عربي .

ب - السودان الجنوبي . ويختلف سكان هذه المنطقة عن أهل الشمال اختلافاً كبيراً من ناحية اللغة والعادات والدين . والمنطقة التي شملها البحث تنحصر ما بين خط عرض ١٢ شمالاً وخط عرض ٤ شمال خط الاستواء . ومن القبائل التي درسها ساجمان وزوجته نذكر الشيلوك *The Shilluk* ، الدنكا *The Dinka* ، النوير *The Naer* ، الباري *The Bari* ، اللوتوكو *The Lotuko* ، النوبا *The Nuba* ، دارفور *Darfur* ، الأزاندي *The Azande* .

٣ - خطة الدراسة : كانت الخطة العامة التي اتبعها المؤلفان لعرض البيانات في الكتاب (بالنسبة للقبائل التي أمكن جمع معلومات كافية عنها) هي تقسيم المعلومات إلى خمسة أقسام رئيسية هي :

أ - تنظيم الحياة العامة *Regulation of public life* .

ب - القرابة والحياة الأسرية والزواج

kinship, family life and marriage

ج - الدين *Religion*

د - إنزال المطر *Rain-making*

هـ - الموت وشعائر الجنازات *Death and funeral rites* .

وأما بالنسبة للقبائل التي لم يمكن جمع بيانات كافية عنها ، فقد كانت المعلومات كلها تكتب تحت عنوان واحد فقط . فمثلاً بالنسبة لقبائل ددار فونج *Darfung* ، نلاحظ أن المعلومات كلها تحت عنوان واحد دارفونج *Darfung* ولم يتم المؤلفان بتقسيمها إلى خمسة أقسام ، كما هو الحال مثلاً بالنسبة لقبائل الدنكا أو النوير .

ويذكر لنا المؤلفان أنهما قد أبديا اهتماماً خاصاً بدراسة المعتقدات الدينية ، ذلك أننا لا نستطيع - بأية حال من الأحوال - أن نفهم أي جانب من جوانب الحياة القبلية في تلك المنطقة دون فهم سليم للمعتقدات الدينية .

كما نلاحظ كذلك أنهما قد اهتمتا بدراسة الخصائص الطبيعية للأهالي ، فكانا يقومان بقياسهم وأخذ صور فوتوغرافية لهم .

هذا ويقرر المؤلفان أنهما لم يتمكنوا من دراسة بعض الجوانب الهامة الخاصة بالسحر . ذلك أن مثل هذه الدراسة تحتاج ولا شك إلى معرفة عامة بلغة المجتمع المراد دراسته .

٤ - مدة الدراسة الحقلية : قام ساجمان وزوجته بثلاث بعثات تنقلا خلالها في ربوع تلك المنطقة في الفترة من سنة ١٩٠٩ حتى سنة ١٩٢٢ . وبالنسبة للبعثة الأولى ، فقد كانت في عامي ١٩٠٩ و ١٩١٠ وكانت من الشمال إلى الجنوب على طول نهر النيل . وفي خلال تلك البعثة زارا منطقة النوبا أيضا . أما البعثة الثانية ، فقد تمت في عامي ١٩١١ و ١٩١٢ ؛ وكانت أساسا من الشرق إلى الغرب . ولم يتمكن ساجمان وزوجته من القيام بالبعثة الثالثة (١٩٢١-١٩٢٢) إلا بعد مرور عدة سنوات ؛ وقد درسا خلالها قبائل الباري واللوتوكو .

ونظرا للمرض الشديد الذي ألم بساجمان في السنوات التالية ، فإنها لم يتمكنوا من مواصلة أبحاثهما في جنوب السودان ، وعهد إلى إيفانز بريشارد القيام بذلك كما سبق وأشرنا من قبل .

٥ - وسائل جمع البيانات : اعتمد المؤلفان على وسائل كثيرة لجمع المادة من الميدان ، وسوف نشير إليها بشيء من الإيجاز :

١ - قراءة ما كتب عن المنطقة : فها قد استفادا كثيرا من الاطلاع على المذكرات التي كتبها المبشرون والإداريون والعسكريون الذين أقاموا بمنطقة البحث . كما يعتبر إيفانز بريشارد من المصادر الهامة التي تم الاعتماد عليها .

٢ - الملاحظة وتوجيه الأسئلة : زار المؤلفان غالبية المناطق في الجنوب ، واعتمدا أساسا على الملاحظة وتوجيه الأسئلة

٣ - الاستعانة بالمخبرين : وبالنسبة للحالات الماضية التي كان يستحيل فيها القيام بالملاحظة ، كان المؤلفان يعتمدان على المفسرين من الأهالي ممن لهم خبرة بالموضوع المراد بحثه . ومثلا نلاحظ أنهما قد استعانوا بأحد صانعي الأمطار



حينما أراد الحصول على معلومات عن كيفية قتل صانع الأمطار (٩) . وكذلك نلاحظ أنهما قد تقابلا مع صانع الأمطار عند اللوتوكو وتحدثا معه كثيرا للحصول على بيانات عن كيفية إقامة الشعائر الخاصة بإنزال المطر عندهم (١٠) .

٥ - الطريقة الجنيالوجية . كما اعتمدا كذلك على هذه الطريقة، وهما يؤكدان لنا مدى أهميتها بالنسبة لدراسة تلك المجتمعات : ولقد استخدمنا الطريقة الجنيالوجية كلما أمكن ذلك ؛ وانضحت لنا أهميتها الكبرى . ومع ذلك فإننا قد امتنعنا عن نشر سلاسل الأنساب genealogies في هذا الكتاب ، إلا إذا كان ذلك أمرا ضروريا لتوضيح بعض النقاط الخاصة (١١) .

٥ - الذكرات والاحصاءات : استعان المؤلفان كذلك بذكرات المبشرين والموظفين بحكومة السودان وكذلك بالسجلات الإحصائية التي كانت موجودة في ذلك الحين . فهما مثلاً قد رجعا إلى تعداد أجرى سنة ١٩٠٣ عن الشيلوك عند حديثهما عن عدد المكان والماشية (١٢) .

و - الصور الفوتوغرافية والخرائط : وبالنسبة لوسائل الإيضاح ، فإنه نلاحظ أن التقرير قد دعم بعدد كبير من الصور الفوتوغرافية والأشكال والخرائط .

Ibid, p. 197 (٩)

Ibid. p. 328. (١٠)

Ibid, p. XII. (١١)

Ibid. p. 37. (١٢)

١-أنا - عرض لبعض نتائج البحث

أشرنا من قبل ، عند حديثنا عن خطة الدراسة بالنسبة للبحوث التي جمعت عنها معلومات وافية ، أن ساجمان وزوجته كانا يقسمان المادة إلى خمسة أقسام تحت العناوين الآتية : تنظيم الحياة العامة ، القرابة والحياة الأسرية والزواج ، الدين ، إززال المطر ، الموت وشماثر الجنائزات .

وسوف نعرض في الصفحات التالية للدراسة عن قبائل الدنكا *The Dinka* كشأن يوضح ذلك (١٣) :

١- تنظيم الحياة العامة : ينقسم الدنكاويون إلى عدة قبائل مستقلة لكل منها إقليتها الخاص بها . كما تنقسم كل قبيلة إلى عدة عشائر . ويوجد في إقليم كل قبيلة عدة قرى متفرقة . ولا يوجد لدى قبائل الدنكا شخص له السلطة الروحية والزمنية على جميع القبائل ، كما هو الحال بالنسبة للباك عند قبائل الشيلوك . وإنما يوجد في كل قبيلة صانع الأمطار *ban bish* ، الذي يعتبر أهم شخص فيها . فهو الرئيس الديني للقبيلة ، كما أنه لديه سلطات دينوية واسعة . وهناك أيضا الرئيس المسئول عن الماشية *ban wus* . ويختص بقيادة القبيلة أثناء الحروب ، كما أنه هو المسئول عن تقسيم المراعى وتوجيه تحركات الأهالي إليها في المناطق المختلفة الخاصة بالقبيلة . وبالنسبة للغة ، فإن القبائل تتكلم لهجات مختلفة لغة مشتركة .



صورة رقم / ٢٧

رجل من قبائل الازاندى ومعه بعض زوجاته

وتألف الطواطم *totems* عند الدنكا من حيوانات ونباتات وأشياء طبيعية .
والطواطم الحيوانية أكثر انتشاراً من الطواطم النباتية ؛ أما الطواطم غير
الحية فهي نادرة .

ومن الطواطم الحيوانية نذكر الثعبان والفيل والتمساح وفرس النهر والأسد
والنمر وابن آوى .

ومن الطيور نذكر البومة والحدأة والباشون .

ومن الطواطم النباتية نذكر الخيزران وأنواع معينة من الأعشاب والأشجار
والنخيل تنمو عندهم في بلادهم . وأما بالنسبة للطواطم غير الحية ، فهناك النار
والسحب والمطر .

ولكن ماهى حقيقة الصلة بين الحيوان الطوطم والعشيرة؟ يذكر لنا المؤلفان
أن الأهالى لديهم معتقدات كثيرة فى هذا الشأن . فهناك عشائر تعتقد أن الصلة
بينها وبين الحيوان الطوطم قد نتجت عن ميثاق بين الحيوان الطوطم وأحد
الأجداد . ومن الأمثلة على ذلك عشيرة *Luai* . فأفراد هذه العشيرة يتخذون
التمساح طوطمهم . وهم يرددون الأسطورة التالية لتفسير صلاتهم بالتمساح (١٤):

« منذ زمن بعيد وجد *Luai* أيضا لأحد التماسيح . فأخذه معه فى قارب به واتجه
به إلى كوخه حيث دفنه فى أرضية الكوخ . وذات ليلة ، فقس البيض وخرجت
منه التماسيح الصغار . وعندئذ حضرت التمساح الأم وقادت صغارها إلى النهر .
لكنها قبل خروجها من الكوخ خاطبت *Luai* قائلة : أرجو ألا تلحقوا الذى
بنا ، ونحن بدورنا لن نؤذيكم . كما ينبغي عليكم أن تحزنوا إذا رأيتكم شخصا
يقتل أحدا منا . »

وهناك عشائر أخرى تعتقد أن الجد الأكبر العشيرة كان توأماً للحيوان الطوطم . فثلا يعتقد أفراد عشيرة Yical أن مؤسس العشيرة كان توأماً للأسد . ونظراً لوجود تلك الصلة القوية بين أفراد العشيرة وفصيلة الحيوان الطوطم ، فإنه ينعين عليهم ألا يلمحوا به أنى كما ينبغي أن يظهروا له الاحترام بتق الطرق . فأفراد العشيرة التي تتخذ نوعاً من الشجر طوطماً لها يعتقدون أن الرجل الذي يجرؤ على قطع الشجر الطوطم سوف يموت لأمهالة . وإذا حدث وألقى أحد أفراد العشيرة خشبها في النار ، فإن المعلن سوف يدخل في عينيه ويؤذى إلى إصابته بالمس . وقد جرت العادة عند أفراد عشيرة الأسد أن يذبحوا له إحدى الأغنام ويتركوها عارج القرية ، ثم يتهبون ليحضر الأسد ويأكل اللحم الذي قسموه له .

٢ - الترابية والحياة الأسرية والزوج : قبل أن يختطف الرجل فتاته التي يريد الزواج بها ، يجب عليه أن يحصل على موافقة رفاقه في طبقة العمر ، ثم يرافقونه عند ذهابه إلى منزل والد الفتاة لخطبتها .

ويتكون المهر bride . wealth عند العشائر التي تشغل بالرعي من عدد من الماشية . أما عند العشائر التي تشغل بصناعة الحديد فإنه يتكون من قطع من الحديد .

وليس من الضروري أن يؤجل الفتى زواجه حتى يتم تسديد المهر كله . ولكن يمكن الاتحاق عليه ودفع جزء منه ، ثم يسدد الباقي بعد إتمام الزواج . وفيما يلي بيان بالمهر الذي تقدمه أحد أفراد الدنكا إلى زوجته ، مع ملاحظة أن أفراد

العشيرة التي ينتمي إليها هذا الفتى يشتهرون بالفقر ولا يملكون إلا القليل من الماشية :

عدد

- ١ بقرة أسمها Ayang وممها ابنتها .
- ١ عجلة بقر (شبة) أسمها Nalith .
- ٢ شاه .

وعلاوة على ما تقدم فإن العريس قد قدم أيضاً حريتين أصيد فرس النهر وثلاث صفائح من السمن وكميات كبيرة من الاسماك .

هذا ويهمننا أن نشير إلى أن الفتى قد حصل على هذا المهر من أقاربه . فلقد قدم له والده البقرة Ayang والشبة Nalith ، كما ساهم كذلك في دفع باقي المهر عدد من أقاربه .

وبعد دفع المهر إلى أسرة الفتاة ، فقد تم توزيعه بين أفرادها . فالأم أخذت البقرة Ayang . أما الأب فقد أخذ ابنتها ، كما أخذ ابن شقيق والد العروس الشبة Nalith .

وهكذا يتضح لنا أن الفرد لكي يتزوج لابد أن يعتمد على أقاربه للحصول على المهر ؛ ذلك أن بقاء الفتى دون زواج بسبب عدم المقدرة على دفع المهر أمر يسئ إلى جميع أفراد العشيرة .

وفي العادة تنحصر أسباب الطلاق عند الدنكا في العقم وعدم الوفاء للزوج وعدم مقدرة الزوجة على طهي الطعام جيداً . ولا يعتبر زنا الزوجة مبرراً

للطلاق ؛ فالزاني يجب عليه أن يدفع للزوج غرامة تتراوح بين خمسة وثمانية رموس من الماشية .

وعندما تغادر الزوجة منزل أمرتها لتعيش في منزل زوجها ، فإن أمها تعطيها حلة ومحركين للحساء وعدد من الملائق .

وفي أثناء فترة الحمل والرضاعة تمتنع المرأة عن أكل أنواع معينة من الطعام كعدايس مثل لحم الجاموس وأنواع معينة من السحالي . كما يحرم عليها كذلك أكل لحم الميتة ، علماً بأن ذلك ليس محرماً في مجتمع الدنكا . وإذا لم تراعى المرأة هذه القواعد ، فإن طفلها قد يموت بسبب ذلك .

وبالنسبة لتسمية الأطفال ، فقد جرت العادة على أن يسمى الأهالي أطفالهم بأسماء الأجداد وأقارب الأب وأقارب الأم . وهم لا يسمون الطفل عقب ولادته مباشرة وإنما يتركونه بلا تسمية حتى يبدأ يمشي . وتوضح لنا دراسة سلاسل الانساب أن كثيراً من الأطفال قد سموا بأسماء تدل على حوادث وقعت وقت تسميتهم . فتلاسمى أحد الأطفال باسم Alwot ، ومعناه مطير وبارد ، وذلك لأنه واد في فصل الأمطار أثناء انتقال الأسرة إلى القرية الخاصة بفصل الأمطار . ومن مظاهر التغير بالمنطقة (وقت إجراء البحث) أن الحتان Circumcision قد أخذ ينتشر بين بعض العشائر هناك . ولا شك أنهم قد تعلموا ذلك من العرب خلال السنوات القليلة الماضية (١٥) .

(١٥) يذكر ملحان أن الحتان له بدأ ينتشر أيضاً في بلاد الأزندي وكذلك عند قبائل البونوم الناجمة للأزندي . ولعل إجراء هذه العملية عند الأزندي يجب على الأب أن يستعير أحد العرائين . وعادة يتم الحتان في سن تتراوح بين ٩ و ١٤ سنة . انظر : Seligman; Ibid p. p. 518 - 519.



صورة رقم / ٢٨
رجلان من قبائل الشيلوك



صورة رقم / ٢٩
مساكن الدنكا في فصل الأمطار . ويلاحظ أنها قد أقيمت على ركائز من خشب الأشجار .

(٣)

الدين

يرى ساجمان أن قبائل الدنكا والنوير تعتبر أكثر قبائل جنوب السودان تدينا . والدنكا يعبدون إلهها يوجد في السماء يدعى « Nhialic » . وهو الذى خلق العالم ونظم الكون ، كما أنه هو الذى يرسل الأمطار ، من مكان الأمطار في السماء . .

ويعتقد الدنكا أيضاً في وجود كائن روحى آخر يسمى دنجديت « Dengdit » وهو يلى « Nhialic » في المكانة . وهناك أيضاً أرواح الأسلاف *ancestral spirits* التى يقدسها الأهالى ويعتبرونها جزءاً أساسياً من ديانتهم .

وبالنسبة للصلاة *prayer* فإنه لا توجد لديهم مجموعة محددة من النماذج أو الصيغ ، وإنما هم يتنهلون إلى الله في عبارات عادية بسيطة كي يجيب لهم حاجتهم .

ويقدم الأهالى القرابين إلى دنجديت ، عند أحد الأضرحة *shrines* التى تنتشر في مختلف أرجاء بلاد الدنكا . ويتكون الضريح من ثلاثة أكواخ ، ويعتقد الأهالى أن أحدها هو مقام أو منزل دنجديت . . وتحتوى الأضرحة على أشياء مقدسة مثل الحراب والدروع والأواني . . الخ . ويعتقد الأهالى أن دنجديت ، هو الذى أحضر كل هذه الأشياء عندما هبط إلى الأرض منذ زمن بعيد . ولا تفتح أبواب الأضرحة إلا نادراً كما أنه لا يسمح لأحد بدخولها إلا لخدام الضريح فقط . . حينما يرغب أحد الأهالى في تحقيق إحدى الأمنيات ، كأن يرزق طفلاً مثلاً ، فإنه يأخذ معه قرباناً من الماشية ويطلب من دنجديت ،

أن يحققها له . وقد جرت العادة على أنه لا يجوز لأى فرد أن يذبح القربان إلا إذا حضره دينجيت ، في المنام لأحد خدام الضريح وأمره بقبولها . وقبل أن يغادر مقدم القربان المكان يقوم أحد الخدام بأخذ مقدار من التراب من المنطقة المحيطة بالضريح ويخلطه بالزيت ، ثم يدعك به جسم مقدم القربان .

ويعتقد الاهالى أن كل إنسان يوجد بداخله روح *« aliep »* وعند الوفاة تغفر الروح من الجسد ، لكنها تظل قريبة من مسكن المتوفى أو من المكان الذى دفن فيه فترة من الزمن . ويرى الاهالى أن الأرواح التى تحوم حول مساكنهم هى التى تسبب الأحلام . فقد تحضر روح الاب أو الأم أو أحد الأجداد فى المنام وتطلب طعاماً . وفى هذه الحالة يصنع الطعام (من دقيق مزوج بالسمن) ويوضع فى إناء ثم يترك فى أحد أركان الكوخ حتى المساء . وعندئذ يقوم الرجل بأكل الطعام إما بمفرده أو بالاشتراك مع أحد أفراد عشيرته . وإذا لم يتم المرء بتلبية طلب الأرواح ، فإنها قد تسبب المرض له أو لزوجته أو لأولاده .

ولكن إذا كانت الأرواح فى حالة غضبها ، ترسل الأمراض وسوء الحظ إلى الأحياء من الأقارب ، فإنها هى التى تحميمهم من الكوارث وتقدم لهم المساعدات فى أوقات المحن والشدائد . فإذا ما تقدم رجل لصيد أحد أفراس النهر ، فإنه يتوسل إلى أرواح أجداده أن تساعد . وهم يعتقدون أن الروح تسمع النداء وتهب لنجدة فتدخل فى جسده وتعمده بالقوة اللازمة . وبعد انتهاء العملية يزوال الخطر ، تسارع الروح بالخروج من الجسد .

ونظراً لأن الاهالى يعتقدون أن الأرواح هى التى تسبب المرض لهم ، فإن الوسيلة الوحيدة للعلاج عندهم هى تقديم الذبائح قرباناً لدينجيت أو لأرواح

أسلافهم . ويوجد فى بلاد الدنكا أفراد من الجنسين لديهم القدرة على رؤية الأرواح والاتصال بها ، وهم يطلقون عليهم *« tiei »* . ويمزوا الاهالى ما لدى هؤلاء الأفراد من قوى إلى حلول أرواح الأسلاف فى جسد . وهذه المهنة ، فى العادة ، تكون وراثية . فعند وفاة أحد من يخرج الروح من جسده (روح السلف الحالى فى جسده) وتخل فى جسد أحد من أقاربه يحدده هو شخصياً قبيل وفاته . ومن مظاهر حلول روح أحد الأسلاف فى جسم الانسان الإصابة بالارتجاف وفقدان الوعى فى بعض الأحيان . ويلاجأ الاهالى إلى هؤلاء الأفراد لتشخيص الأمراض وعلاجها . وتناخص طريقة العلاج فى تحديد الروح التى سببت المرض أولاً ، ثم تحديد خطوات العلاج الذى ينحصر أساساً فى تقديم القرابين من الماشية . وعلاوة على علاج المرضى ، فإن الاهالى قد يتصدونهم للاستشارة فى حالات ضياع الماشية وكذلك بالنسبة لما قد يمرضهم من مشكلات فى حياتهم اليومية .

(٤)

إنزال المطر

تعتقد قبائل الدنكا أن صانع الأمطار *« ben bith »* لديه الحكمة وبعد النظر أكثر من غيره من أفراد القبيلة (١٦) . وهم يرجعون ذلك إلى حلول روح

(١٦) من دراسة سلجمان لصانع الأمطار عند الدنكا ، نلاحظ أن جميع صنّاع الأمطار الذين أشار اليهم كانوا جميعاً من الذكور . وبهذهنا أن نوضح أن ذلك لا يبنى أن هذه الوظيفة قاصرة على الرجال فقط . فعند قبائل الأوتوكو ، كما ذكر سلجمان نفسه ، نجد أن كثيراً من صنّاع الأمطار كانوا من النساء *Women rain — makers* .

أظهر سلجمان : Ibid. p. p. 326 — 327

أحد الأسلاف العظام the spirit of a great ancestor في جسده. كما
يؤمنون أيضاً أن صانع الأمطار Rain - maker ، لديه قدرات عديدة. فهو
يستطيع أن يشفي المرضى إذا ما حرك إحدى حرايه المقدسة فوق رؤوسهم. وهو
القادر على أن يهلك أعداءه إذا ما صب عليهم اللعنات. وعلاوة على ما تقدم
فهو الذي يستطيع أن يزل الأمطار إذا ما اشتد الجفاف. ففي شهر أبريل تقريباً من
كل عام يتجه إليه الأهالي ويرجونه أن يتوسل إلى الروح الخاصة بالمطر لريو
Lerpio ، لكي ترسل لهم الأمطار. وفي بعض الأحيان يرفض صانع الأمطار
طلبهم بحجة أن الروح الخاصة بالمطر لن تستجيب لدعائه. وفي أحيان أخرى
يطلب منها ضحية، ويخبرهم أنه سوف يقوم بالدعاء لطلب الأمطار
بعد ذبحها.

ويعتقد الأهالي أو الروح الخاصة بالمطر لريو ، تقيم بصفة دائمة في الضريح

الحاس بالمطر rain - shrine .

ويحتوى الضريح على حربة مقدسة يطلقون عليها اسم لريو، أيضاً. ويوجد
أمام الضريح عمود مصنوع من الخشب أو الأبنوس يضع عليه الأهالي قرون
الثيران التي يذبحونها قربانا لروح المطر .

وتقام الطقوس الدينية الخاصة بانزال المطر حول الضريح . ففي الصباح
يحضر الأهالي ثورين ويقوم صانع الأمطار بمسحها باليدورامر تين حول الضريح .
ثم يربطهما بعد ذلك في العمود المقام أمام الضريح . ويدق الأهالي الطبول كما
يرقص الرجال والنساء والأولاد والبنات حول الضريح . ويظل الأمر كذلك
حتى يقبل الثوران ، وعندئذ يراحم الناس ليأخذ كل منهم قدراً من البول



صورة رقم / ٣٠
صانعة الأمطار عند اللوتوكو (إلى اليسار) ومعهما إحدى النساء



صورة رقم/ ٣٢
رجل من قبائل الباري وهو
يرتدي حلة القرص



صورة رقم/ ٣١
فتاه من قبائل الباري

ويدلك به جسده . وبعد ذلك ينصرف الحاضرون ما عدا المسنون منهم . ثم يقوم صانع الأمطار بقتل الثورين بحربة . وأثناء إعداد الذبيحة يترنم الحاضرون : ياسلطانا لريو ، لقد أحضرنا لك قربانا . ونحن نرجو أن تشملنا برضاك وتعمل على إنزال الأمطار لنا .

ويقوم الأهالي بجمع دم الضحية في وعاء ثم يطهى على النار ليأكله المسنون من أفراد العشيرة . كما يطهى لحم الضحية أيضاً ، ويأكل الأهالي جزءاً منه ويضعون الجزء الباقي داخل ضريح المطر . وأما القرون فإنها تعلق على العمود الموجود أمام الضريح .

(٥)

الموت وشعائر الجنازات

تختلف طريقة دفن الموتى من عشيرة إلى أخرى ، بل ومن شخص إلى آخر .

فعند البور Bor يحفر إخوة المتوفى قبراً له خارج الكوخ ، وبالذات على يمين باب الكوخ . ثم يقومون بحمل الجثة ويضعونها في القبر على جانبها الأيمن . وهم عادة يضعون تحتها وفوقها بعض جلود الحيوان ، ثم يهيلون عليها التراب بعد ذلك .

هذا بالنسبة لعامة الشعب عندهم ، أما إذا كان المتوفى من الرؤساء ، فإن الأشخاص الذين يحفرون القبر يظلون فوقه أو بالقرب منه مدة ثمانية أيام .

ويذبح أهل المتوفى لهم بقرة يأكلون منها طوال هذه الفترة . ويجب على أهل الميت أن يمتنعوا عن شرب اللبن خلال فترة الحداد .

وعند السيك Cic ، يتم دفن الموتي من الرجال خارج الكوخ سواء على يمين الباب أو على يساره ، في حين أن المرأة تدفن داخل الكوخ (١٧) . أما الرئيس المعشول عن الماشية ban wut ، فإنه يدفن في حظيرة الماشية . وينثر الأهالي الرماد وروث الماشية فوق قبره ، كما أنهم يصبون اللبن عليه أيضاً .

عند وفاة أحد أفراد العشيرة ، فإن إخوته ، بالاشتراك مع بعض أفراد العشيرة ، يقومون بحفر قبر له . وتوضع الجثة على جانبها الأيمن وبمحيث تكون يد المتوفى اليمنى تحت رأسه . ويضع أهل المتوفى جلد أحد الحيوانات تحت الجثة ، كما يضمرون أيضاً قطعة من فروة الغنم فوق أذنه لمنع التراب من الدخول فيها .

(١٧) يهمن أن نذكر إلى أن مادة دفن الموت داخل المنازل توجد أيضاً عند الأزاندي في جنوب السودان وكذلك عند سكان جزيرة بيكوبيا فيند. الأزاندي يحفر الأهالي قبرا للموتى داخل المنزل يتراوح عمقه بين ٦ و ٧ أقدام ، ثم توضع الجثة فيه وبجانبها قطع من القندود وخواتم وسكاكين . وبعد ذلك يمال عليها التراب . وفي حالة وفاة الزوجة فإن الزوج يهجر المسكن ويذهب ليقم مع أحد أقاربه . كما أن الزوجة إذا تولى زوجها تهجر المسكن كذلك .

انظر : Selligman, Ibid, p. p. 534, 535.

وعند سكان بيكوبيا Tikopia يدفن الأهالي موتاهم داخل مساكنهم . وهم يضمون مكاناً معيناً بداخلها دفن الموتى من الأسرة يطلقون عليه اسم «أناهايو» ولديهم لا يهجرون منازلهم بعد حدوث الوفاة ، كما هو الحال عند الأزاندي . انظر :

Raymond Firth, W., The Tikopia, (London 1957)

p p. 76 - 77.



صورة رقم ٢٣
بجودة من الرجال من قبائل الباري

ويتجمع أقارب المتوفى حول القبر يعبرون عن حزنهم لمصابهم . ومن مظاهر الحزن عندهم أنهم يضعون التراب فوق رؤوسهم ويرفعون أصواتهم بالمويل . ويظل والد المتوفى وإخوته حول القبر مدة أربعة أيام ليلاً ونهاراً . وفي خلال تلك الفترة يمتنعون عن شرب اللبن والاقتراب من البقر . وبعد انتهاء هذه الفترة يقومون بالاستحمام ويحل لهم شرب اللبن بعد ذلك .

وهذا ويهمنا أن نشير إلى أن الأهالي قد اعتادوا أن يضحوا قلة الماء ، التي كان يشرب منها المتوفى أثناء حياته ، مقلوبة فوق القبر . كما جرت العادة كذلك على وضع حراجه وعصيه فوق القبر لمدة أربعة أيام ، ثم يقومون بعد ذلك بتوزيعها على أقاربه من الذكور .



صورة رقم / ٣٤
نائب أحد الأمراء يمسك سكيناً في يده

الفصل الثامن قبائل الأمانى إ.إ. إيفانز برتشارد

لمحة عن حياته ومؤلفاته :

ولد إيفانز برتشارد سنة ١٩٠٢ (١) . وبعد أن حصل على درجته الجامعية الأولى من جامعة أكسفورد ، توجه إلى جامعة لندن لدراسة الأنثروبولوجيا الاجتماعية . وقد تلمذ هناك على مالفوسكى ؛ كما اتصل أيضاً بساجان ونشأت بينهما صداقة وطيدة . ولا شك أن حياته العلمية قد تأثرت إلى حد بعيد نتيجة لتلك الصلة القوية التي نشأت بينه وبين أستاذه ساجان ؛ فهو يعتبر المستول الأول عن توجيهه لدراسة قبائل جنوب السودان في الفترة من سنة ١٩٢٦ حتى سنة ١٩١٦ .

وفي سنة ١٩٣١ حضر إيفانز برتشارد إلى مصر وقام بتدريس علم الاجتماع بالجامعة المصرية بالقاهرة (١٩٣١ — ١٩٣٤) . وقد تعلم اللغة العربية خلال إقامته بالقاهرة ، كما درس تاريخ العرب أيضاً .

(١) البيانات المذكورة هنا من تاريخ ميلاد الأستاذ إيفانز برتشارد وكذلك من الجامعات التي درس بها قد حصلت عليها من خطابه الذي أرسله إلى بتاريخ ٣٠ مايو ١٩٦٨ .

وفي سنة ١٩٤٢ عينته الحكومة البريطانية في وظيفة سياسية في برقة ، وقضى
هناك مدة عامين زار خلالها كثيرا من المناطق وتعرف على أحوال البدو . كما
أهتم أيضا خلال تلك الفترة بدراسة تاريخ السنوسيين ؛ وقد نشرت نتائج
الدراسة في سنة ١٩٤٩ .

هذا ويهمننا أن نشير كذلك إلى أن الاستاذ يمتاز بريتشارد قد مارس التدريس
بالجامعات فترة طويلة من الزمن .

ومن مؤلفاته نذكر :

*Witchcraft, Oracles And Magic Among The Azande; The
Nuer . A Description of The Modes of Livelihood And
Political Institutions of A Nilotic People; Kinship And
Marriage Among The Nuer; Nuer Religion; Social Anth-
ropology and Other Essays; African Political Systems
(Edited with M. Fortes);*

أولا - لمحة عن منطقة الأزاندى

يعيش الأزاندى the Azande (نيام نيام Nyam-Nyam) في أقصى جنوب السودان. وتسم المنطقة التي يعيشون فيها بوجرد الأعشاب الطويلة (السفانا) والغابات، كما ترتفع درجة الحرارة وتسقط الأمطار في أغلب شهور السنة. ويكثر هناك ذباب «تسى تسي» الذى يسبب مرض النسوم Sleeping sickness. والمهنة الأساسية عندهم هي الزراعة، وهم يتبعون في زراعتهم طريقة الزراعة المنقلة Shifting agriculture. ومن الظواهر الغريبة في حياة الأزاندى عدم وجود الماشية Cattle عندهم (١)؛ فمن المعلوم أن الزراعة ترتبط دائما بتربية الماشية في معظم الحضارات. ومن النباتات التي توجد هناك نذكر الذرة والبطاطا والقول السوداني والموز. ويحرص الأهالي على تربية الدجاج في مساكنهم وبصفة خاصة لأغراض تتعلق بالعين الشريرة (٢).

وقد اشتهر الأزاندى بمهارتهم في الصناعة، ويوجد بينهم صناع مهرة في الحداثة وصناعة الفخار والنقش على الخشب. ومن ناحية الملبس فهم أنصاف (٣) عراة.

ويذكر ليفانز پريتشارد - اعتماداً على خبرته الشخصية وكذلك بناء على أقوال غيره من الإنجليز الذين يعيشون بالمنطقة - أن الأزاندى يتسمون بالمرح والوداعة ودعامة الخلق والكرم. كما يذكر أيضاً أنهم يستطيعون التكيف بسهولة مع الظروف

E. E. Evans-Pritchard, *Witchcraft, Oracles, And (٢) Magic Among The Azande* (Oxford, 1937), p. 17.

Ibid, p. 281. (٣)

(١) في عام ١٩٥٤ زار الأستاذ الدكتور على أحمد موسى (أستاذ الأثروبولوجيا
الإحصاء بجامعة الإسكندرية سابقاً) منطقة الأزاندى، وهدموا من هناك التي محاصرة



صورة رقم / ٣٥
رجل أعمى



صورة رقم/٣٦
ولد من الأزاندي

التي قد تطرأ على حياتهم، وأن يقلدوا سلوك غيرهم ممن يرون أنهم أسرى منهم من الناحية الثقافية (٥).

وفي الماضي كان الأزاندي يعيشون في مساكن غير متقاربة، ومن ثم فإنهم لم يعرفوا نظام الحياة القروية قبيل دخول الحكم المصري الانجليزي. لكن الحكومة قد أجبرت الكثيرين على التجمع والسكن في مستعمرات أقامتها لهم (٦).

وتتكون الأسرة من الزوج والزوجة (أو الزوجات) والاطفال. ويلاحظ أن المسنين يتمتعون بمكانة عالية، كما يلاحظ كذلك أن مكانة المرأة أدنى كثيراً من مكانة الرجل. وينتشر هناك نظام تعدد الزوجات وبصفة خاصة بين الرؤساء.

ومن الناحية الطبقية. ينقسم مجتمع الأزاندي إلى ثلاث طبقات *classes* هي: طبقة الأفونجارا *Avongara* وهي أعلى طبقة بالمجتمع، ثم طبقة الألبامو *Ambamo*، ثم طبقة الأورو *Auro*، وطبقة الأفونجارا طبقة مغلقة؛ فالمرتبة الاجتماعية بالنسبة لأفرادها ترجع إلى عامل المولد *birth* فقط. وتنفرد هذه الطبقة بالحكم في البلاد، ويتسم أفرادها بميلهم إلى التعالي والمحافظة على القديم، كما أنهم يحتقرون رعاياهم ويكرهون غزاتهم الأوربيين. وعلاوة على ما تقدم، فإنهم يحتقرون العمل لإنتاج الطعام، وهم يعتمدون على الشعب *Commoners*

من الأزاندي وعرض هذا من الصور الفوتوغرافية لهم. وقد اتضح لنا أن الكثير من الأهالي لازالوا أنصاف عراة بالرغم من إدخال زراعة القطن بالثقافة. انظر:

على أحمد عيسى: نتائج بعثة جامعة الاسكندرية إلى مجتمع الأزاندي « أيام أيام ». المحاضرة

السابقة من المحاضرات العامة لى العام الجامعى ١٩٥٦/٥٥، ص ١٥.

(٥) Evans—Pritchard, op. cit. p. 13.

(٦) *Ibid*, p. p. 14-15

للحصول على ضروريات الحياة. ويذكر إيفانز بريتشارد أن الرجل الإنجليزي الذي يعيش في بلاد الأزاندي يستطيع أن يميز بسهولة بين الفرد من طبقة الأفونجارا وغيره من عامة الشعب وذلك بملاحظة طريقة المشي وطريقة الحديث وتعبيرات الوجه والأيدي التي لم تعود الكدح سعيا وراء الرزق . ويعتقد الأزاندي في تأثير العين الشريرة وقدره العرافين والسحرة ؛ ويمكن ملاحظة ذلك بسهولة أثناء حياتهم اليومية .

هذا ويهمننا أن نشير هنا إلى أن إيفانز بريتشارد لم يغفل دراسة التطور الذي طرأ على حياة الأزاندي نتيجة لدخول الحكم المصري الإنجليزي هناك سنة ١٩٠٥ عندما قتل آخر ملوكهم على يد القوات الحكومية . فطبقة الأفونجارا قد قل نفوذها بانتهاء حكم ملوكهم . كما أن القوانين الجديدة لا تعترف بالعين الشريرة witchcraft ولا بالعرافين Oracles ، هذا فضلا عن أنها لا تسمح بالأنخذ بالثأر بسبب العين الشريرة . ولقد أثر الحكم الجديد أيضا على الأسلوب التقليدي لحياتهم . فالحكومة قد منعت الأهالي من عبور حدود السودان سواء بغرض التجارة أو لزيارة الأقارب ، كما أجبر الكثير منهم على هجر مساكنهم المتباعدة عن بعضها والانتقال إلى المستعمرات Settlements التي أقامتها الحكومة لهم .



صورة رقم / ٢٧

رجل يقف أمام مسكنه ومعه اثنتان من زوجاته

ثانياً - ملاحظات عن كيفية إجراء البحث

١ - تمويل البحث: قدمت حكومة السودان الجانب الأكبر من نفقات البعثات، كما حصل إيفانز پریتشارد أيضاً على منحة من الجمعية الملكية The Royal Society. وعلاوة على مساهمة الحكومة في نفقات البعثات، فإنها قد ساهمت في نشر نتائج البحث أيضاً (٧).

٢ - الغرض من البحث: يشير ساجمان Seligman في مقدمته (٨) التي كتبها لكتاب Witchcraft, Oracles And magic Among The Azande أن إيفانز پریتشارد قد تلمذ على يديه في جامعة لندن. كما يشير كذلك إلى أنه يعتبر المسئول الأول عن توجيهه لدراسة قبائل السودان الجنوبي. فعندما اشتد به المرض، اقترح على الحكومة أن تعهد إلى إيفانز پریتشارد بمواصلة تلك الأبحاث هناك. وقد وافقت الحكومة على ذلك الاقتراح. وبذلك قدر له أن يتجه إلى السودان وأن يعمل هناك لمدة عشر سنوات خلال الفترة من سنة ١٩٢٦ حتى سنة ١٩٣٦.

٣ - مدة الدراسة الحقلية: أجرى هذا البحث في الفترة من سنة ١٩٢٦ حتى سنة ١٩٣٠. وقد بلغت جملة الشهور التي قضاها هناك خلال تلك المدة عشرون شهراً فقط. ويلاحظ أنه كان يقضى الفترة بين كل بعثة وأخرى في تحليل المادة التي جمعها من الميدان واستشارة العلماء للاستفادة بآرائهم. ومن العلماء الذين

Ibid, p. vii (٧)

Ibid, p p. xv-xxv. (٨)

استشارهم تذكر ساجان وشابيرا Sel apera وفورتس Fortes (٩) . ويذكر
إيفانز بريشارد أن الحكومة قد قدمت له كافة التسهيلات اللازمة ومنحته حرية
التنقل بين أرجاء المنطقة في أي وقت يشاء . كما أنه يذكر بالفضل أيضاً رجال
الإدارة وأعضاء البعثات التبشيرية the mission staff لما قدموه من
مساعدات (١٠) .

٤ - وسائل جمع البيانات : يذكر إيفانز بريشارد أنه قد اعتمد كثيراً
على القاموس الذي أعده الأب Lagie والأب Van den plas عن لغة
الازاندي (١١) . كما يذكر أيضاً أنه اطلع على المقالات التي نشرها الأب Lagie في
مجلة Sudan Notes and Records عن العرافين والمعدات المتعلقة بالولادة .
وعلاوة على ما تقدم ، فقد اطلع على ما كتبه الرحالة والعسكريون عن المنطقة
واستفاد منها (١٢) .

كما أقام إيفانز بريشارد بمنطقة البحث مدة عشرين شهراً استخديم خلالها لغة
الازاندي أنفسهم واعتمد على الملاحظة وتوجيه الأسئلة لجمع البيانات . وفي كثير
من الأحيان نجد أنه كان يلجأ إلى الملاحظة بالمشاركة حتى يتمكن من التعرف على

(٩) Ibid, p. viii.

(١٠) Ibid, p. vii

(١١) Ibid, p. 5.

(١٢) من كتب الرحالة التي رجع إليها واستفاد منها لذكر :

Wilhelm Junker, Travels in Africa during the years
1879-1883.



صورة رقم ٣٨/

أول مخبر لإيفانز بريشارد في بلاد الازاندي

بعض جوانب حياتهم الاجتماعية بطريقة سليمة . فهو مثلاً يذكر أنه قد وجد أن أفضل طريقة لملاحظة عملية استشارة السهم ، هي القيام بنفس العمليات التي يقوم بها الأهالي في هذا الشأن . ومن ثم فإنه كان دائماً يحتفظ عنده في مسكنه بكميات من السهم العراف لاستشاراته الخاصة وكذلك من أجل جيرانه الذين كانوا كثيراً ما يحضرون إلى مسكنه ومعهم الدجاج لاستشارة السهم العراف فيما يتعلق بمشاكلهم التي تواجههم في حياتهم . وبذلك كانت لديه الفرصة مهيأة لأن يرى مثل هذه العملية وهي تجري أمامه في مسكنه عديداً من المرات . وفي أثناء ملاحظة عملية الاستشارة ، كان يسأل الأهالي عن النقاط التي قد تكون غامضة بالنسبة له (١٣) .

وبالنسبة لدراسة الحالات الماضية والتي لم يعد لها وجود وقت إجراء البحث فقد رجع اينمانز بريتشارد إلى المسنين من الأهالي للحصول على بيانات عنها . كذلك نجد أنه قد اعتمد على المخبرين informants لدراسة الموضوعات التي تعذر عليه شخصياً ملاحظتها وقت إجراء البحث . ومن الأمثلة على ذلك دراسته لطريقة جمع السهم العراف في الكونغو البلجيكي . فهو يذكر أنه كان ينوي أن يسافر إلى الكونغو لملاحظة ذلك بنفسه ، إلا أن المرض الشديد الذي أصابه ، قد حال دون إتمام ذلك (١٤) . ومن ثم فقد اعتمد على أقوال المخبرين من الأهالي . هذا ويهمننا أن نشير إلى أنه كان يعتمد على المخبرين من ذوى الخبرة الطويلة بالموضوعات التي يرغب في الاستفسار عنها . فمثلاً نجده يحصل على

Ibid, p.p 269 - 270 . (١٣)

Ibid, p. 270 (١٤)

معلومات عن الرحلات التي يقوم بها الاهالي لجمع البنجي ، من الكونغو البلجيكي من خبر له خبرة طويلة بإعداد مثل هذه الرحلات (١٠) .

كما لا يفوتنا أن نشير هنا أيضاً إلى أن إيفانز يرتشارد كان يحرص دائماً على أن يبين للقارئ مصدر البيانات التي ذكرها في الكتاب : رواية شاهد عيان — خبر سمعه من أحد المخبرين — ملاحظة الباحث شخصياً . فمثلاً عند حديثه عن حفظ السم العراف في أمكنة بعيدة في الغابات نجده يقول :

« إنني لم أر أبداً سما للعراف تحت أي ستر Shelter في الغابة ، لكن المخبرين ذكروا لي أن الاهالي عادة يحفظونه بهذه الطريقة » .

(E.—p Azande p. 288)

٥ — نشر نتائج الدراسة . أشرنا من قبل إلى أن سلجمان لم يتمكن من مواصلة أبحاثه في جنوب السودان ، ومن ثم فقد وجه تليذه إيفانز يرتشارد لاستكمالها . وقد استفاد سلجمان من المادة التي جمعتها إيفانز يرتشارد عن الأزاندي ؛ واعتمد عليها اعتماداً يكاد يكون كلياً في كتابه عن قبائل جنوب السودان (١٦) .

كما نشر إيفانز يرتشارد كذلك عدداً من المقالات عن جوانب مختلفة للحياة الاجتماعية عند الأزاندي في عدد من المجلات نذكر منها (١٧) :

*American Anthropologist; Sudan Notes and Records;
Journal of The Royal Anthropological Institute; Africa.*

Ibid, p. 273, (١٠)

C. G. Seligman, *Pagan Tribes of The Nilotic Sudan*, (١٦)

(London, 1982) . p.p 495 - 536

Evans — Pritchard, op. cit p. 4. (١٧)

ثم ظهر كتاب :

Witchcraft, Oracles And Magic Among The Azande

في عام ١٩٢٧ ؛ أي بعد مرور عشرة سنوات على بداية البحث الحقل في منطقة الأزاندي (١٨) . وهو يرجع هذا التأخير في نشر نتائج البحث إلى انشغاله في دراسة قبائل النوير عقب عودته من منطقة الأزاندي، هذا علاوة على اشتغاله بالتدريس في الجامعة المصرية بالقاهرة عدة سنوات . وهذا الكتاب يعرض لمعتقدات الأزاندي فيما يتعلق بالعين الشريرة والعرافة والسحر . ويحتوي على مقدمة كتبها سلجمان ومقدمة للدوافع وأربعة أبواب هي : العين الشريرة ، الطيب الساحر ، العرافة والسحر . وتنقسم المقدمة التي كتبها إيفانز يرتشارد إلى ثلاثة فصول . أما الفصل الأول فقد خصص لبيان الطريقة التي اتبعها المؤلف في كتابة هذا الكتاب عن الأزاندي (١٩) .

ويحتوي الفصل الثاني على دراسة لبعض المصطلحات التي استخدمت في الكتاب والمعنى المقصود بالنسبة لكل كلمة (٢٠) . ويشتمل الفصل الثالث (٢١) « An Outline of Zande Culture » ، وصف موجز لثقافة الأزاندي على دراسة البيئة الطبيعية والحياة الأسرية والمهن والطبقات الاجتماعية . كما تعرض المؤلف في هذا الفصل أيضاً إلى التغير الاجتماعي الذي حدث بالمنطقة ، وأوضح أن دراسة التاريخ تعتبر أمراً مهماً في الدراسات الأنثروولوجية .

Ibid, p. I (١٨)

Ibid, p. p. 1—7 (١٩)

Ibid, p.p. 8—12. (٢٠)

Ibid, p.p. 13—20 (٢١)

، وإذا كنت لم أجد في هذا الكتاب اهتماما خاصا بدراسة تاريخ الأزاندي ، فإن ذلك لا يرجع إطلاقا إلى أنني أعتقد في عدم أهميته ، Zande history بل لائق أرى أن دراسة تاريخ الأزاندي أمر بالغ الأهمية بحيث أرى أن أكتب في تسجيله بالتفصيل في مكان آخر . .

(E P ; Azande, p. 19).

ولا شك أن إجماع إيفانز بريتشارد نحو استخدام التاريخ في دراسة المجتمعات المعاصرة يعتبر معارضة صريحة لاستاذة مالنوسكي الذي دعا الباحثين إلى نبذ استخدام التاريخ كلية .

كما يجب أن نشير كذلك إلى أن إيفانز بريتشارد لم يضمن كتابه دراسة عن الصفات الفيزيائية للأهالي . واكتفى بتقديم عدد من الصور الفوتوغرافية . فهو يعتقد ، أن الصور الفوتوغرافية لعدد من الأزاندي تعتبر كافية لأن تعطي القارى فكرة عن شكلهم (٢٢) . .

ثالثا - عرض لبعض نتائج الدراسة

١ - العين الشريرة ظاهرة عضوية وراثية (٢٣) : يعتقد الأزاندي - كما هو الحال عند كثير من شعوب وسط وغرب إفريقيا - أن بعض الناس لديهم القدرة على إصابة الآخرين بالضرر بواسطة العين الشريرة Witchcraft . كما يرون أيضا أن العين الشريرة هي مادة توجد داخل أجسام أصحابها ويطلقون على هذه المادة اسم « مانجو » mango . .

ويذكر إيفانز بريتشارد أنه شخصيا لم ير هذه المادة ، المانجو ، خلال إقامته في بلاد الأزاندي . ولكن البعض من الأهالي قد ذكروا له أنه عبارة عن انتفاخ يعضى ضارب إلى السواد ويوجد بداخله أشياء صغيرة . كما ذكر له أشخاص آخرون من الأزاندي أن المانجو لونه أحمر ويحتوى على بذور القرع والسهم وبعض النباتات . ويعتقد إيفانز بريتشارد أن المانجو هو الامعاء الدقيقة ، بينما يرى بعض الكتاب الذين كتبوا عن الأزاندي أن المانجو هو المرارة . ويحدد الأهالي موقع المانجو عند طرف الكبد ، وترجع معرفتهم بموقع هذه المادة إلى أنهم كانوا في الماضي يشرحون جثث الموتى .

ويعتقد الأزاندي أن العين الشريرة تورث من الآباء إلى الأبناء ومن الأم إلى بناتها . فأبناء الرجل الشرير male witch يرثون العين الشريرة في حين أن بناته لا يرثنها . أما المرأة الشريرة female witch فإن بناتها يرثن العين الشريرة في حين أن أولادها لا يرثونها .

وحيث أن الأهالي يعتقدون أن المانجو هو جزء من جسم الإنسان ، فإنه

ينمو ويكبر كلما كبر الإنسان وتقدم به العمر . وبعبارة أخرى يرى الازاندى أن المانجو عند الطفل يكون صغيراً حين أنه يكون كبيراً عند المسنين . ولهذا السبب فإنهم لا يهتمون بالأطفال باستخدام عيونهم الشريرة لصغر المانجو وعدم قدرته على إصابة الآخرين بالضرر . أما المسنون فإن الأهالي يرهبونه ويتوقعون الشر من ناحيتهم نظراً لأن المانجو عديم يكون كبيراً .

ويرى إيفانز بريتشارد أن هناك صلة قوية بين العين الشريرة والنظام الطبقي عند الازاندى . فالفرد من عامة الشعب لا يمكن أن يتجاسر على اتهام أحد من طبقة الأفونجارا الأرستقراطية ، حيث أن ذلك معناه أنه يتهم الملك والأمراء بأنهم لديهم العين الشريرة أيضاً . وعلاوة على أفراد طبقة الأفونجارا ، فإن تهمة تسليط العين الشريرة لا توجه أيضاً إلى حكام الأقاليم ونواب الحكام وقادة الفرق العسكرية اللهم إلا إذا كان الأمير نفسه هو الذى يرغب فى ذلك .

ويعتقد الأهالي أن المانجو ، لما ، روح *mabisimo* ، وهذه الروح هي التي تخرج من المانجو وتوجه إلى الضحية ليلاً أو نهاراً لتسبب لها الضرر .

وهم يرون أيضاً أن العين الشريرة تحتاج من جانب صاحبها إلى التوجيه الواعي لتحديد مكان الضحية . ومن ثم فإن الرجل الشرير ينبغي عليه قبل أن يفكر فى تسليط عينه الشريرة أن يحدد لها الضحية وكذلك طريق الوصول إليها . وإلا فإنها سوف تبحث عنه فى منزله ثم تعود دون أن تفعل شيئاً . ولهذا السبب نجد أن المرضى من الازاندى يتركون مساكنهم مؤقتاً ويهربون سرا إلى مخبأ فى داخل الغابة ، لا يعلم بمكانه أحد سوى زوجته وأولاده ، وذلك بغرض تضليل العين الشريرة .



صورة رقم / ٢٩
رجل من الازاندى

كما يعتقد الازاندى كذلك أن مدى range قوة العين الشريرة ليس بعيداً، ونتيجة لذلك فإن الرجل الشرير لا يستطيع أن يسبب الضرر لشخص آخر يقيم في مكان بعيد، ومن ثم فإننا نجد أن الزوجة إذا مرضت أثناء زيارتها لمسكن والديها، فإن أسرتها تبحث عن الجاني في منطقة ممكن الوالدين، وليس في منطقة ممكن الزوج. كما أننا نجد كذلك أن الشخص الذى يرغب في المعثر إلى إحدى الجهات ينادر ممكنه سراً قبيل الفجر. ذلك أنه يعتقد أن أصحاب العين الشريرة في ذلك الوقت يكونوا في سبات عميق، ومن ثم فإنهم لن يروونه. وعندما يستيقظون من نومهم ويعلمون برحيله، فإنهم لا يستطيعون إيداءه نظراً لبعده عن مرمى عيونهم الشريرة.

ولهذا السبب أيضاً فإن الازاندى لا يحبون السكنى متقاربين؛ فكل مسكن تفصله عن المسكن الآخر مساحة شاسعة من الأرض المزروعة والغابات. ويذكر إيفالز پريتشارد أن الحكومة عندما طلبت من الأهالى أن يقيموا في معسكرات على جانب الطريق حتى يمكن مراقبة مرض النوم بينهم، فإن الشك قد داخلهم من جراء ذلك وفضل الكثير منهم الفرار إلى الكونغو البلجيكي على أن يسكنوا متقاربين.

٢ - السم العراف في الحياة البومية عند الازاندى^(٢٤) : تنشر طريقة التنبؤ بوضع السم في منقار الدجاجة عند الازاندى؛ وتعتبر بلادهم هي المنطقة الوحيدة في السودان التي تعرف هذه الطريقة. والسم الذى يستخدمه الازاندى في هذه العملية هو عبارة عن مسحوق أحمر اللون يصنع من نبات متسلق ينمو في غابات الكونغو البلجيكي.

ومن دراسة إيفانز برينشارد يتضح لنا أن السم العراف والذي يسمونه « بنجي » Berga يستشار في مناسبات عديدة عند الأزاندي . ومن هذه المناسبات نذكر :
— أثناء فترة الحمل : فيما يتعلق بمكان ولادة الطفل وكذلك بالنسبة لسلامة الزوجة أثناء الولادة .

- قبل ظهور الابن .
- قبل أن يزوج الرجل ابنته .
- قبل أن يرسل الرجل ابنه ليكون خادماً في بلاط أحد الأمراء .
- في حالات الزنا .
- قبل السمر لجمع السم العراف من الغابات .
- في حالة مرض أحد أفراد الأسرة : هل سيموت المريض ؟ ومن هو صاحب العين الشريرة ؟
- قبل تبادل الأخوة الدموية Blood—brotherhood
- قبل القيام بالأسفار الطويلة
- قبل الخروج للصيد .
- عندما يريد أحد من عامة الشعب أن يختار قطعة من الأرض لبناء مسكن له .
- قبل قبول العمل مع أحد من الأوربيين .
- قبل أن يتوجه الرجل إلى الحرب .
- قبل أن يعلن الأمير الحرب على أعدائه .
- قبل أن ينسحق الأمير قواته ، وقبل أن يحدد الوقت والمكان الخاص بالهجوم .
- قبل أن يعين الأمير حكام الأقاليم وكذلك عند تعيين الموظفين أيضا .

ويرى إيفانز برينشارد أن الرجل الأوربي الذي يعيش بين الأزاندي ينبغي عليه أن يتعرف على معتقداتهم فيما يتعلق بالعين الشريرة والسم العراف حتى يتمكن من فهم سلوكهم فيها سليماً . فهو ، في هذه الحالة ، سوف يجد جواباً شافياً لكثير من الأسئلة التي تحيره ، مثلاً : لماذا يرغب المرء في السكن بعيداً عن أقرب جاره ؟ لماذا يختار مكاناً معيناً دون غيره لبناء مسكن فيه ؟ لماذا يهجر مسكنه فجأة أحياناً ويلجأ إلى الغابات ليعيش هناك عدة أسابيع وفي ظروف غير مريحة كلية ؟ لماذا يخرج الكثير من الأهالي على القانوي ويسافرون أسفاراً طويلة يتعرضون خلالها لشتى صنوف الاخطار من أجل الحصول على السم العراف ؟ ... الخ .

٣ - جمع السم في الكونغو البلجيكي (٢٥) : سبق أن أشرنا من قبل إلى أن السم العراف يصنع من نبات متسلق ينمو في الغابات بالكونغو البلجيكي . وفي الماضي كان الأزاندي يسافرون مسافات طويلة تبلغ حوالي مائتي كيلومتراً للحصول على ذلك النبات . وفي أثناء تلك الرحلة كانوا يلاقون أشد الأخطار ، ويراعون كثيراً من المحرمات مثل الامتناع عن الاتصال الجنسي بالمرأة ، والامتناع عن أكل لحم الفيل وأكل السمك وأنواع معينة من الخضروات .

ويذكر إيفانز برينشارد أنه قد اقترح على الأهالي مراراً أن يزرعوا هذا النبات في بلادهم ، لكنهم كانوا دائماً يقابلون ذلك الاقتراح بالاستهجان حيث أنهم يعتقدون أن الشخص الذي يجرق على القيام بذلك لابد وأن يموت جميع أقاربه .

وفي الوقت الحالي ، أصدرت الحكومة أوامرها مشددة بمنع الأهالي من



صورة رقم /٤٠
فتاة تحلب البقرة

الفصل التاسع قبائل النوير إ.إ. إيفانز-بريتشارد

أولا - لمحة عن منطقة النوير

قدر إيفانز-بريتشارد عدد أفراد قبائل النوير ، وقت إجراء البحث ، بحوالي ٢٠٠٠٠ نسمة . وهو يصفهم بأنهم طوال القامة ولهم رؤوس قليلة العرض (١) narrow - headed . وقد قدم لنا عددا من الصور الفوتوغرافية توضح لنا شكلهم .

وتلعب البيئة الطبيعية دورا هاما في حياة السكان . ففي شهر مايو من كل عام تبدأ الأمطار في السقوط بمزارعة ، الأمر الذي يؤدي إلى فيضان الأنهار . حتى إذا ما جاء شهر يونيو ، تكون غالبية المناطق قد تحولت إلى مستنقعات مائية . وفي خلال فصل الأمطار يعيش النوير في قرايم التي يقيمونها فوق روافي عالية

(١) E. E. Evans-Pritchard, *The Nuer* (Oxford, 1940) p.3

لتحميهم من مياه الأمطار . وفي ذلك الفصل ، يشتغلون بزراعة الدرة ورعى الماشية . وعندما ينتهي فصل الأمطار ، يخرج الاهالي ومهم ماشيتهم يرتحلون بها من مرعى إلى آخر ، ويقيمون لهم مخيمات في كل مكان يحلون به . ويستمر الحال كذلك حتى يبدأ سقوط المطر ، وعندئذ يسارع الاهالي بالعودة إلى قراهم ثالية .

وتلعب الماشية دوراً هاماً في حياة النوير ، ويقول إيفانز پريتشارد إننا إذا أردنا أن نقدم أحسن نصيحة للباحت الذي يريد أن يفهم السلوك الإجتماعي للنوير ، فلن نجد خيراً من تلك العبارة : « قتش عن البقرة » (٢) *Cherchez la vache* . فمن ناحية التغذية نجد أن الاهالي يعتمدون على لبن الماشية ، وبصفة خاصة بالنسبة للأطفال ، ومن ثم فإنهم يقدرون قيمة البقرة تبعاً لمقدار كمية اللبن الذي تدره . والنوير مغمرون بأكل لحوم الماشية ، كما أنهم لا يحرمون أكل الميتة والدم . فإذا مات الثور أو الخروف ميتة طبيعية ، فإنهم يقومون بأكل لحومها .

ولكن كيف يحصل الاهالي على دماء الماشية ؟ يذكر إيفانز پريتشارد أن النوير — كما هو الحال عند كثير من القبائل التي تشتغل بالرعى في شرق افريقيا — يستخرجون الدم من رقاب الماشية ، ويأكلونه أثناء فصل الجفاف . وتتلخص طريقتهم في استخراج الدم فيما يلي : يقوم النوير بربط حبل حول رقبة البقرة بإحكام شديد حتى تظهر عروق الدماء بها ، وعندئذ يطعنون أحد العروق بسكين ، فتسيل منه الدماء في وعاء يعد لهذا الغرض . وعندما يمتلئ الإناء بالدم ، فإنهم ينكسون الحبل من حول رقبة البقرة ، ثم يضعون بعضاً من روث الماشية فوق الجرح ليلتئم . وبعد ذلك تقوم النساء بنخل الدم في الإناء حتى يتجمد ، ثم يقدم

للأكل بعد ذلك . وفي أحيان أخرى يترك الإمال السم - بعد استخراجه من رقة البقرة - في الإمال حتى يجف . ثم يقومون بشوائه على بعض من الحجر ، وبعد ذلك يقطعه إلى أجزاء ثم يقسم للأكل بعد ذلك (٢) .
ومن أجل الماشية نجد أن القبائل تتقاتل فيما بينها ، وتغير على جيرانها . كذلك نجد أنها وسيلتهم لدفع اللصوص ودفع الدية وتقديم القرابين للأرواح . والواقع أن الإمال لا يملكون الحديث عن الماشية في أي وقت من الأوقات . وإذا حدثت أحداث الحديث معهم في أي موضوع من الموضوعات فإن الحديث - ولا شك - سوف يترك إلى العجول والبقر والثيران (١) .

شك - سوف يترك إلى العجول والبقر والثيران (١) .
وأرض التورغنية بالحيوانات والطيور . فهناك القليل والتمرو والأسد والخمار الوحشي وفرس النهر والقردة والغزال والزراف . ومن الطيور الموجودة هناك تذكر النعام والأوز والبط . والتورير يأكلون كل الحيوانات ماعدا أكلان النعوم منها والقردة والخمار الوحشي . وهم يصطادون التمرو والخمار الوحشي لاخذ جلودها ، أما الأسود فأنهم يقتلون إذا ما أصبحت خطراً يهدد ماشيتهم .
ورغم من وفرة الحيوانات بالمنطقة ، فإنهم نادراً ما يخرجون للصيد ، وهم يفضلون بصفة عامة صيد الغزال والزراف . ويذكر ليفانز بريتشارد أن التورير ليسوا مهرة في الصيد ، وهم يحتقرون الصيد بصفة عامة لأنهم يعتقدون أن عدم وجود الماشية لدى الإنسان هو الذي يدفعه إلى الاتجاه لصيد الحيوانات . والتورير لا يأكلون من الزواحف سوى التماسح والرتسة ، كما أنهم يرون أن من العار أن يأكل المرء الذي بلغ مرحلة الرجولة لحم النعام أو الأوز أو البط . ولا يوجد عندهم من يفعل ذلك سوى الأطفال وكذلك الفقراء الذين لا يملكون ماشية . وهم لا يقسمون على ذلك إلا في أوقات التحط الشديد ، كما أنهم يأكلونها في الغابات بعيداً عن أعين الناس .



صورة رقم ٤١/

مجموعة من الرجال يبنون حظيرة للماشية

والنوير لا يربون الدجاج في منازلهم ، وهم لا يحبون أكل لحومها
وبعضها (١) .

ويتكون منزل الأسرة من كوخ (أو عدة أكوخ) وحظيرة للماشية .
والحظيرة أهمية خاصة عند النوير . فالماشية تنام فيها أثناء فصل الأمطار ، كما أن
بعض الشبان من الأسرة ينامون فيها أيضاً . ويوجد في وسطها نار موقدة ليلاً
ونهاراً لحماية الماشية من البعوض ، ومن الناحية الاجتماعية ، تعتبر الحظيرة مركزاً
للحياة الاجتماعية بالقرية . فالأهالي يقضون وقت فراغهم بها ، كما أنهم يستقبلون
فيها ضيوفهم كذلك . والواقع أن مجرد مشاهدة الحظيرة أمر له مغزاه الاجتماعي .
فإذا مر إنسان بجوار منزل الأسرة ، ولم يجد هناك حظيرة للماشية ، فإنه سوف
يستنتج فوراً إما أن الحظيرة قد تهدمت وأن الأسرة لم تقم ببنائها من جديد ،
ولما أن الأسرة فقيرة ولا تملك إلا ماشية قليلة أودعتها في حظيرة أحد الأقارب .
وبالنسبة لموقع كوخ الزوجة ، فإنه يوجد بجوار حظيرة الماشية . ويوجد
خارج الكوخ ستار ضد الريح حيث تجلس الزوجة بداخله لطهي الطعام .
وبالقرب من هذا الستار توجد حنرة في الأرض ليستريح فيها الأسرة لدق الذرة .
ويعتبر الستار مركزاً للحياة الاجتماعية بالنسبة للمرأة المتزوجة . فهناك
تستقبل صديقاتها وجاراتها ، سواء أثناء عملها أو في فترة المساء ، حيث يتبادلان
أطراف الحديث فيما بينهما . وفي حالة تعدد الزوجات ، فإن كل زوجة يكون
لها كوخ مستقل تعيش فيه مع أطفالها . وفي بعض المنازل الكبيرة يوجد كوخ
خاص بالشبان من أبناء الأسرة ليناموا فيه كما يوجد أيضاً كوخ للفتيات . أما رب
الأسرة ، فليس له كوخ خاص به ، وهو ينام في أكواخ زوجاته .
وكل زوجة لها حديقتها الخاصة بها وكذلك صومعة لتصنع فيها الغلال . وفي
بعض الأحيان يكون للزوج حديقة خاصة به ، وفي هذه الحالة يقوم بتوزيع
المحصول على زوجاته .

والزوج هو الذي يمتلك الماشية، ولكن العادة قد جرت على أن يقوم بتوزيعها على زوجاته لجرد الانتفاع بلبنها، ولكن لا يمكن حق التصرف فيها. ومن الناحية الاقتصادية، فإن الأسرة تنتج غالبية ما تحتاج اليه، كما أنها تستهلك غالبية ما تنتجه. وبالرغم من ذلك فإن هناك أعمالا تحتاج إلى التعاون بين الأقارب والأصدقاء مثل صيد الحيوانات وصيد الأسماك ورعى الماشية في فصل الجفاف. فإذا احتاج أحد الأفراد مثلا أن يحضر قناة في حديقته، فإن أقاربه وأصدقاءه يعاونونه في عمله دون أجر. أنه يقدم لهم الثريد والبيرة فقط.

والتوزيع يسرون شبه عراة أو عراة كلية. وفي بعض الأحيان قد يضع الرجل الرجل قطعة من جلد النمر فوق كتفيه. كما أن المرأة المتزوجة قد تضع قطعة من جلد الخراف أو الماعز حول خصرها.

ثانيا - ملاحظات عن كيفية إجراء البحث

خصص إيفانز پريتشارد، في بداية أول كتاب ظهر له عن النوير^(٥)، مقدمة Introductory تحدث لنا فيها عن المنطقة الجغرافية التي يعيشون فيها وعدد السكان ونظمهم السياسية. كما تحدث كذلك عن مدة الدراسة وكيفية جمع البيانات من الميدان والعقبات التي صادفته أثناء وجوده هناك. ويهمننا أن نشير إلى هذه النقاط بنسب من الإيجاز:

١ - التمويل: أجرى هذا البحث بناء على طلب من حكومة السودان في ذلك الحين، كما أنها هي التي قدمت أيضا الجانب الأكبر من التمويل اللازم للدراسة^(٦).

٢ - مدة الدراسة: سافر إيفانز پريتشارد إلى منطقة البحث عدة مرات في الفترة من سنة ١٩٣٠ حتى ١٩٣٦. وقد بلغت جملة الفترات التي قضاهم هناك سنة كاملة تقريبا. ويرى المؤلف أن هذه الفترة تعتبر غير كافية لإجراء دراسة سوسيولوجية عن مجتمع مثل مجتمع النوير، ولكنه يذكر أن المرض الشديد الذي ألم به في عامي ١٩٣٥، ١٩٣٦ هو الذي منعه من البقاء هناك وقتا أكثر من ذلك^(٧).

(٥) E. E. Evans-Pritchard, *The Nuer* (Oxford, 1940), p. 1-15.

Ibid, p. vii (٦)

Ibid, p. 14. (٧)

٣ - وسائل جمع البيانات : تدلنا الدراسة على أن إيفانز بريتشارد قد اعتمد على أكثر من أداة لجمع المادة عن النوير . فقبل سفره إلى منطقة البحث قرأ كثيراً بما كتبه كتبه البشرون والدمكريون عنها .

وحينما وصل إلى هناك ، كانت العقبة الكبرى أمامه هي عدم القدرة على التخاطب مع الأهالي بسهولة (٨) . فلم يكن يوجد هناك في ذلك الحين أحد من المترجمين ، كما أنه لم يجد أحداً بين النوير يستطيع أن يتحدث اللغة العربية . ونتيجة لكل ذلك فقد قضى كل فترة البعثة الأولى وجزءاً من البعثة الثانية في محاولة تعلم لغة الأهالي حتى يستطيع أن يستخدمها أثناء البحث الحقل . وقد تمكن فعلاً من أن يتكلم لغتهم ، فكان لذلك أثره الكبير في تفهم الكثير من جوانب الحياة الاجتماعية عند النوير .

وعلاوة على مشكلة اللغة ، فقد كان الظروف السياسية السائدة في ذلك الحين أثرها على البحث أيضاً . ففي أثناء فترة البعثة الأولى كان هناك شعور عدائي نحو الحكومة بسبب هزيمة النوير على يد القوات الحكومية ، وكذلك بسبب التدابير القاسية التي اتخذتها الحكومة بعد ذلك لتأكيد خضوعهم لها . ويذكر إيفانز بريتشارد أنه عندما كان يدخل أحد مخيمات الماشية ، فإن النوير كانوا يستقبلونه ليس فقط كشخص أجنبي بل وأيضاً كأحد أعدائهم . فالأهالي كانوا يعرضون عنه إذا اتجه نحوهم الحديث معهم (٩) . ولقد تذرع إيفانز بريتشارد بالصبر ، وأمكنه بعد ذلك أن يخلق معهم علاقات ودية وخصوصاً بعد أن تعلم لغتهم . فلقد صاروا يزورونه بصفة مستمرة ليقضوا معه الوقت . وهو نفسه يذكر أن خيمته كانت نادراً

Ibid, p. 10 (٨)

Ibid. p. 11 (٩)

ما تخلوا من الزوار من الرجال والنساء والأولاد . وكان دائماً يتناقش معهم للحصول على ما يريد من المعلومات . وعلاوة على ما تقدم ، فإن وجود مسكنه وسط مساكن الأهالي قد مكّنه من الحصول على كثير من المعلومات عن طريق الملاحظة (١٠) .

هذا ويهمننا أن نشير كذلك إلى أن إيفانز بريتشارد قد دعم تقاريره التي نشرها عن النوير بمجموعة كبيرة من الصور الفوتوغرافية والخرائط ، أما بالنسبة للإحصاءات ، فإننا نلاحظ أنها نادرة جداً .

٤ - نشر نتائج البحث : أشرنا إلى أن إيفانز بريتشارد أقام في بلاد النوير فترة تقرب من العام خلال السنوات ١٩٣٠ ، ١٩٣١ ، ١٩٣٥ ، ١٩٣٦ ، تمكن خلالها من جمع كثير من المعلومات عنهم . وقد نشرت نتائج تلك الدراسة الحقلية في عدد من الكتب والمجلات . ومن الكتب التي نشرها عن النوير نذكر :

١ - *The Nuer* (١١) : نشر هذا الكتاب لأول مرة سنة ١٩٤٠ . ويقول إيفانز بريتشارد أن دراسة النظم السياسية هي الموضوع الرئيسي في الكتاب ؛ لكننا لا نستطيع أن نتفهم تلك النظم إلا إذا دررنا البيئة وطرائق معيشتهم . ومن ثم فقد خصص الجزء الأول من الكتاب لوصف المنطقة التي يعيش فيها النوير وكيفية حصولهم على ضروريات الحياة .

Ibid, p.p. 14—15 (١٠)

E. E. Evans-Pritchard, *The Nuer : A Description of the Modes of Livelihood and Political Institutions of a Nilotic People* (Oxford, 1940).



صورة رقم ٤٢
رجل من النوير

ب - *Kinship and Marriage Among the Nuer* : وقد ظهر الكتاب سنة ١٩٥١ . ويذكر المؤلف أنه كان ينوي أن ينشر هذا الكتاب سنة ١٩٤٢ ، إلا أن نشر الحرب العالمية الثانية ، وانشغاله بمد ذلك بدراسة العنوسيين في ليبيا قد أدى إلى تأخير ظهوره . ويحتوي هذا الكتاب على خمسة فصول تبحث في الأسرة والقراية والزواج وقيود الزواج (١٢) .

ج - *Nuer Religion* (الدين عند النوير) .

ثالثا - عرض لبعض نتائج الدراسة

١ - نظام طبقات العمر (١٣)

إن كل فرد من الذكور في مجتمع النوير ، لكي ينتقل من مرحلة الصبا إلى مرحلة الرجولة يجب أن يمر بعملية قاسية . فالجبهة تقطع بواسطة سكين صغير ستة مرات بحيث يمتد القطع الواحد من الأذن اليمنى حتى الأذن اليسرى .

ويظل أثر التئام هذه الجراح واضحا مدى الحياة . ويذكر الأهالي أنهم يرون آثار هذه العملية على عظام الجماجم بعد وفاة أصحابها .

وكل قرية تقوم بهذه العملية على حدة ، وأما بالنسبة لمن الفتیان عند إجرائها فإنه يتراوح بين ١٤ و ١٦ سنة . ويتوقف تحديد سنة التكريس على مدى توافر المؤن من اللبن والذرة عند أهل الصبي . والشخص الذي يقوم بهذه العملية يجب أن تكون لديه الخبرة في هذه الناحية ، وهو يأخذ من كل صبي دحربة لصيد الأسماك ، نظير القيام بذلك .

ولابد أن تجرى العملية لعدد من الأولاد في وقت واحد ، إذ أن الأهالي يعتقدون أن إجراء العملية لصبي واحد فقط سوف يجعله وحيدا ، كما أن ذلك سوف يؤدي إلى هلاكه لاحالة ١ . وفي العادة يتراوح عدد الأولاد الذين يمرون بهذه العملية معا من ٤ إلى ١٢ ولدا . ويفضل الأهالي إجرائها في نهاية

فصل الأمطار حيث يكون لديهم الطعام الوفير ، هذا فضلا على أنهم يعتقدون أن الرياح الشمالية التي تهب في تلك الفترة من السنة لها أثرها في المساعدة على أن تدمل الجراح . وبعد إجراء العملية يعيش الفتيان معا في عزلة لفترة من الزمن تبلغ شهرين تقريبا .

وعند انتهاء هذه الفترة ، تقام الحفلات ابتهاجا بهذه المناسبة ، فتذبح القرابين وتقدم البيرة للحاضرين ، كما يقدم الاب لابنه حربة وثورا يسمى الابن باسمه . ويتم تكوين طبقة العمر تدريجيا ، ويستغرق ذلك وقتا قد يمتد إلى عدة أعوام قبل أن تبلور الطبقة كوحدة اجتماعية . وكل طبقة من طبقات العمر لها اسم ، وغالبا ما تسمى الطبقة بأسماء الاحداث الهامة التي تقع أثناء موسم التكريس . (فتلا سميت إحدى الطبقات باسم Piloal أى ، الماء الأحمر ، ، وذلك لأن البيرة التي قدمت للفتيان كان لونها يميل إلى الأحمر) (١١) .

ويذكر ليفانز بريشارد أن عدد طبقات العمر وقت إجراء البحث كان ستة فقط . وقد تميزت طبقة العمر العليا بقلّة عددها نظراً لوفاء غالبية أعضائها . والواقع أن نظام طبقات العمر يؤثر تأثيراً كبيراً في العلاقات الاجتماعية عند النوير . فعندما ينتقل الفتى إلى مرحلة الرجولة فإن واجباته العائلية تتغير كثيرا (فتلا يحرم عليه أن يحلب الماشية طوال حياته) . كما أن سلوكه يتحدد تجاه زملائه من أفراد الطبقة ، وكذلك تجاه غيره من أفراد الطبقات الأخرى . ويهمننا أن نشير في هذا المجال إلى النقاط التالية : ١ — يحرم على الفتى أن يتزوج ابنة أحد زملائه في طبقة العمر أو أن يتصل

بها جنسيا ، حيث أنها تعتبر ابنة ، ، كما أنه يعتبر أبا ، لها .

٢ — جميع أفراد الطبقة الواحدة يتعاملون فيما بينهم على قدم المساواة . وهم يواعدون بعضهم في الصمى وراء الرزق وفي الحروب ، كما أنهم يقضون وقت فراغهم معا . لأنهم يؤمنون بوجود رابطة قوية تجمع بينهم وتوحد مصائرهم . ولم لا توجد وقد أريق دمائهم معا في وقت واحد !!

٣ — يبدى أفراد طبقة العمر الواحدة احترامهم لأعضاء طبقات العمر الذين يكبرونهم سنا . ويبدو هذا واضحا أثناء مناقشاتهم مع بعضهم ، وكذلك في آداب المعاشرة والسلوك .

وبعبارة أخرى يرى النوير أن مرور الفتى بشعائر التكريس يعنى أنه قد قد أصبح رجلا بمعنى الكلمة . فهو يحق له أن يشترك في الحروب ، وأن يكون راعيا للماشية ، كما يحق له كذلك أن يغازل الفتيات ويغشى حفلات الرقص ويتزوج الفتاة التي يريدها .

ب - الزواج عند النوير^(١٠)

(١)

عندما تبلغ الفتاة الثانية عشر أو الثالثة عشر من عمرها ، فإن الفتيان الذين مروا بحفلات التكريس initiated boys يبدون في التودد اليها ومطارحتها النرام . وفي سن السادسة عشر يكون لديها عشيقا واحدا على الأقل . ويمكننا القول أن مرحلة ما قبل الزواج ، بصفة عامة ، تنسم بالنتشار الانحلال الخلقي بين الفتيات .

وفي العادة يتراوح سن الزواج بالنسبة للفتاة بين ١٦ و ١٨ سنة . أما بالنسبة للفتى فإن ذلك يتوقف على عوامل كثيرة نذكر منها : حجم الأسرة وترتيب الفتى داخل الأسرة حسب السن وكذلك حجم القطيع الذي تمتلكه الأسرة .

ولا بد من موافقة أسرة الفتاة على الفتى الذي يتقدم لزواج ابنتها . غير أنها في نفس الوقت ، لا تستطيع أن تجبرها على الزواج من شخص لا تحبه . ولكي يتم الزواج ، تقوم أسرة الفتى بدفع المهر ، كما يجب إقامة عدة حفلات بهذه المناسبة نذكر منها حفلة الخطوبة وحفلة الزواج . وغالبا ما تقام هذه الحفلات في فصل الأمطار حيث يتوافر الثريد والبيرة . ويهرع الأهالي من كل حذب لحضور تلك الحفلات وتناول الطعام وشرب البيرة والاشتراك في الرقص .

E. B. Evans-Pritchard, *Kinship And Marriage Among* (١٠)
The Nuer (Oxford 1951) p. p. 49-123.



صورة رقم ٤٤
صبي يجمع روث الماشية

وإذا ما وجد العريس أن عروسه ليست عذراء Virgin عند انفرادها بها في الليلة الأولى ، فإن هذا الأمر ليس من شأنه أن يسبب له انزعاجا . وفي صباح اليوم التالي يقوم أحد أفراد أسرة الزوج بحاق شعر رأس الزوجة ، ويعتقد الأهل أن العملية تدل على أنها قد أصبحت زوجة .

هذا ويهمننا أن نشير إلى أن الزوجة بعد ذلك تظل في مسكن والديها حيث يخصص لها كوخ مستقل تعيش فيه . أما الزوج ، فهو يظل مع أسرته كما كان قبل الزواج . ولكنه يقوم بزيارة زوجته ليلا من آن إلى آخر حيث يقضى الليلة معها في كوخها الذي أعدته لها أسرتهما . ويستمر الحال كذلك حتى تنجب الزوجة طفلا . وعندئذ تعتبر أسرة الفتاة أن الزواج قد تم كلية ، وأن الفتى قد أصبحت تربطه بهم فعلا صلة قرابة . وتظل الزوجة في مسكن والديها حتى تنظم طفلها . وعندئذ يقيم الزوج لزوجته كوخا بجوار مسكن أسرته ، ثم يتوجه بعد ذلك لإحضارها من مسكن والديها . وهما لا يمانعان في ذلك حتى ولو كانت هناك بقيه مستحقة من المهر لدى الزوج . وعند انتقال الزوجة إلى مسكنها الجديد ، فإن أسرتها تعطيها قلة وملعقة واحدة .

(٢)

أوضحنا أنه يجب على الفتى أن يقدم إلى أسرة الفتاة المهر المناسب وأن يقيم عدة حفلات حتى يمكن إتمام الزواج . كما أشرنا كذلك إلى أن النوير يعتقدون أن الزواج لا يمكن أن يكون تاما كلية في نظرهم إلا إذا أنجبت الزوجة طفلا .

ولكن كيف يتم دفع المهر إلى أسرة الفتاة ؟ أو بعبارة أخرى : هل هناك قواعد معينة ينبغي أن يراعيها المجتمع في هذه الناحية ؟

يذكر ليفانز بريتشارد أن هناك عدداً أمثل، من الماشية يضعه الإلهام في اعتبارهم عند تحديد قيمة المهر. فالهر المثالي ينبغي أن يتكون من أربعين رأساً من الماشية (ثيران وبقرة وعجول صغيرة) توزع على أهل العروس كما يلي :

١٠. والد العروس (أو أبنائه)
١٠. أميرة والد العروس (وتشمل والدي الأب وإخوته وأخواته)
١٠. والدة العروس (أو أبنائها)
١٠. أسرة والدة العروس (وتشمل والدي أم العروس وإخوتها وأخواتها)

وبعبارة أخرى يلاحظ أن أسرة الفتيانة تخص نفسها بنصف المهر (عشرين رأساً) أما أسرة والدها وأسرة والدتها، فإن كلا منهما تخصص بربع عدد الماشية فقط.

والواقع أن الإلهام لا يتمسكون بالمطالبة بتنفيذ هذا المهر المثالي في أغلب الأحيان، وذلك لأن الأمور لم تعد مروانية كما كان الحال من قبل (منذ ٢٠ أو ٤٠ سنة قبل إجراء البحث). فلقد تضاعفت أعداد الماشية في بلاد النوير نتيجة لانتشار طاعون الماشية بينها والفتك بأعداد كبيرة منها، علاوة على أن الحكومة قد حرمت على النوير القيام بأية غارات على قبائل الدنكا والاستيلاء على ماشيتهم. كل ذلك قد أثر على المهر، فأصبح مقداره يتراوح بين ٢٠ و ٣٠ رأساً من الماشية. هذا ويهمننا أن نشير هنا إلى أن أهل العروس أثناء مفاوضاتهم بشأن المهر — يطالبون بأن يشمل على حيوانات ذات ألوان معينة وأحجام وصفات معينة. فهم يطالبون، مثلاً، بالحصول على بقرة يكون حلبها وقت تقديم المهر ممتلئة بالحليب.

والذي لاشك فيه أن المهر له أهمية بالنسبة لاستقرار الزواج عند النوير. فالزوجة التي تهجر منزل الزوجية يكون أهلها ملزمون برد المهر إلى الزوج. ويلاحظ أنهم لا يكتفون برد الماشية التي سبق أن قدمتها أسرة الزوج، بل إنه يتعين عليهم أيضاً أن يردوا ما أنجبته من العجول. ويذكر ليفانز بريتشارد أنه في إحدى حالات الطلاق أعيدت بقرة ومعها ثمانية عجول أنجبته في خلال تلك الفترة. ولما كان ذلك يعتبر أمراً صعباً في كثير من الأحيان، حيث أن الماشية وبما تكون قد دفعت مهراً لأفراد آخرين، فإن أفراد أسرة الزوجة يقومون من جانبهم بالضغط على فئاتهم للعودة إلى زوجها.

ويرى ليفانز بريتشارد أن هناك أيضاً عوامل أخرى تلعب دورها الكبير في استقرار الحياة الزوجية. وهذه العوامل هي: المحبة بين الزوجين والسمعة الطيبة للزوج وكذلك حسن النية المتبادلة بين أسرة الزوج وأسرة الزوجة أو بين الزوج وإخوة الزوجة، بل إن ليفانز بريتشارد يذهب إلى أن هذه العوامل تعتبر في نظره أكثر أهمية من المهر بالنسبة لاستقرار الزواج. كما أنه يعارض بشدة ما قد يتبادر إلى أذهان البعض من أنه كلما زادت قيمة المهر ازدادت احتمالات استقرار الحياة العائلية.

(٣)

إلى هنا كان حديثنا عن النمط العادي لنظام الزواج في مجتمع النوير. ولكن إلى جانب ذلك توجد أشكال أخرى للزواج يهمننا أن نتناولها بالدراسة بنوع من التفصيل :

زواج المرأة بالمرأة Woman-marriage

في بعض الأحيان قد ترغب المرأة في مجتمع التوير في أن تلعب دور الرجل في الحياة الاجتماعية . فهي تختار إحدى الفتيات لتزوجها وتقدم لاسرتها المهر اللازم .

وبعد إتمام شعائر الزواج ، تماماً كما هو متبع عند زواج الرجل ، فإن المرأة الزوج Woman-husband ، تطلب من أحد أقاربها الذكور أو أحد الأصدقاء أو أحد الجيران أو أحد فقراء الدنكا أن يقوم بالاتصال بالزوجة جنسياً ، وذلك لكي تنجب الزوجة لها أطفالاً .

وإذا كانت المرأة الزوج ، على درجة من الثراء فإنها قد تزوج عدة زوجات . وهي تعتبر ، في هذه الحالة ، الزوج القانوني لمن . ويحق لها أن تطالب بالفرامة الخاصة بالزنا بصفتها زوجاً لمن . إذا ما ثبت لها أن أحد الرجال قد اتصل بهن جنسياً دون الحصول على إذن منها بذلك .

وعندما تنجب الزوجة أطفالاً ، فإن المرأة الزوج ، تعتبر أبا ، لهم Pater (١٦) . وهم يخاطبونها بقولهم ، يا أبي ، تماماً كما لو كانت رجلاً بالفعل ، كما أنهم يحملون اسمها ويرثون ثروتها كذلك .

(١٦) يقصد بالأب الإجتامي Pater الشخص الذي ينسب إليه الطفل فعلاً ، فهو يحمل اسمه ويرث ثروته . أما الأب الفيزيقي genitor فهو الشخص الذي أنجب الطفل ، ولو كان من المجتمعات نجد أن الوالد النجب (الفيزيقي) هو الأب الإجتامي ، كما نجد أيضاً في بعض الأحيان أن الأب الإجتامي ليس هو الأب الفيزيقي .

وأما بالنسبة لعلاقة الزوجة (أو الزوجات) والأطفال بالمرأة الزوج ، فإنها تنسب بالطاعة والاحترام تماماً كما هو الحال بالنسبة للزوج الذكر .

وإذا ما تقدم أحد الفتيان للزواج من إحدى بنات المرأة الزوج ، فإن المهر المقدم من أسرة الفتى يوزع بنفس الطريقة المتبعة في النمط العادي للزواج . والمرأة الزوج ، تحصل على الجزء الخاص بها بصفتها ووالد الزوج ، أما بالنسبة للرجل الذي أنابته المرأة الزوج ، للاتصال بالزوجة جنسياً لإنجاب الأطفال ، فإن له أيضاً نصيبه من مهر الفتاة . لأنهم يمتطونه بقرة واحدة عن كل فتاة جزاء ما قام به ، وهم يطلقون عليها « بقرة الإنجاب Cow of begetting » .

ويذكر إيفانز برينشارد أن المرأة الزوج ، غالباً ما تكون عقيماً barren ولهذا فإن المجتمع يضعها في عداد الرجال . كما يلاحظ أيضاً أن المرأة العقيم عادة ما تمارس المحرم فتحصل لقاء ذلك على الكثير من الماشية ، ومن ثم فإنها تكون على درجة من الثراء .

زواج الشبح Ghost-Marriage :

في مجتمع التوير ، يوجد نوع من الزواج أطلق عليه إيفانز برينشارد اسم « زواج الشبح » . فإذا مات في رجل دون أن يكون له وريث شرعي من الذكور ، فإن أحد أقاربه مثل الأخ أو ابن الأخ ينبغي عليه أن يتزوج فتاة باسم الشخص المتوفى . ويعتقد التوير أنه إذا لم يقم أحد الأقارب بذلك ، فإن شبح المتوفى يسكن المنطقة ويعمل على إزعاج أقاربه بها .

وفي هذا النوع من الزواج يكون الشخص المتوفى (الشبح The ghost) هو

الآب الاجتماعي للأطفال *Parent* ، وهو أيضا الزوج الشرعي للزوجة .

ويذكر إيفانز برينشارد أن هذا النوع من الزواج ينتشر كثيرا في بلاد الشرير .
وذلك يرجع ولا شك إلى أن كثيرا من الشبان يموتون قبل أن يتزوجوا ، هذا
بالإضافة إلى أن كثيرا من الزوجين يموتون قبل أن ينجبوا أطفالا ذكورا .

وقد يحدث في كثير من الأحيان أن يتزوج الرجل فتاة باسم قريبه للتوفى ،
ثم يجد نفسه بعد ذلك غير قادر - من الناحية الاقتصادية - على أن يحصل
على زوجة باسمه هو شخصيا . ذلك أن زواج الرجل هناك - كما سبق وأوضحنا
من قبل - يعتمد اعتمادا كبيرا على الناحية ، كما أنه يتوقف كذلك على ترتيب
الأبن داخل الأسرة حسب العمر . ومن ثم فإن الرجل الذي يتزوج فتاة باسم
قريبه للتوفى لينجب له أطفالا قد يظل طوال حياته ينتظر إتمام زواج جميع
إخوته ، وربما لا يجد بعد ذلك للناسبة اللازمة ليتزوج زوجة شرعية لكي تنجب
له أطفالا ينسبون إليه ويرثونه . وإذا ما توفي مثل هذا الرجل ،
فإن أفراد المجتمع يعتبرون أنه ، من الناحية الشرعية ، لم ينجب أطفالا ،
ومن ثم فإنه يمتنع على أحد أقاربه أن يقوم بالواجب نحوه فيتزوج
فتاة باسمه .

الزواج اللبغراتي *Leviratic marriage*

يذكر إيفانز برينشارد أن الزوجة بالرغم من وفاة زوجها ، تظل في نظر
المجتمع زوجة له . ولا يجوز لها أن تتزوج مرة ثانية ، كما أن جميع الأطفال الذين
تولد لهم بعد وفاة الزوج يعتبرون أبناء شرعيين له . ومن طريف ما ذكره
إيفانز برينشارد في هذا الشأن أن الأهالي قد أبوا دمجهم الشديد ، حينما أخبرهم

بأن الأرملة في إنجلترا يحق لها أن تتزوج مرة ثانية بعد وفاة زوجها .

وقد جرت العادة عند التوفى على أن يقوم شقيق الزوج المتوفى بالانصال
جنسيا بالأرملة لإنتاج أطفال باسم المتوفى . هذا ويهمن أن تشير إلى أن الزواج
الببغراتي يختلف عن زواج الشبح من ناحية المهر وإقامة حفلات الزواج . ففي
زواج الشبح نجد أن الزوج النائب عن المتوفى يدفع مهرا لأسرة الفتاة باسم
الشخص المتوفى ، كما أنه يقيم احتفالات بمناسبة الزواج تماما كما لو كان المتوفى
على قيد الحياة . أما بالنسبة للزواج الببغراتي فإن الزوج القانوني (المتوفى) قد
سبق وقدم المهر فعلا ، كما أنه قد أقام الحفلات الخاصة بالزواج ، ومن ثم
فإن شقيق المتوفى لا يدفع مهرا ولا يقيم أية احتفالات .

وتتكون الأسرة في هذه الحالة من الزوج القانوني (المتوفى) والأطفال
والأرملة وكذلك شقيق الزوج المتوفى . وحينما يتحدث الأهالي عن الأرملة
فإنهم يشيرون إليها على أنها زوجة للمتوفى ، كما أن الأطفال يرون أنهم ينتمون
إلى أسرة شرعية وأن أباهم هو الشخص المتوفى وليس العم الذي يقيم معهم . بل
إنهم لا يعتبرونه ضمن أفراد الأسرة ، حتى ولو كان هو فعلا الأب البيولوجي
بالنسبة لهم .

(٤)

وفي بعض الأحيان قد تحدث منازعات بين الزوجين ، ويتمتع الموقف
بحيث لا نجد الزوجة منفذا أمامها إلا بهجر زوجها ، مع احتفاظها بأطفالها .
ثم تبحث لنفسها عن عشيق تعيش معه . وفي هذه الحالة ينبغي على أسرة الزوجة
أن ترد المهر إلى الزوج . إلا أننا نلاحظ أنها لا تفعل ذلك في بعض الأحيان

إما لأنها غير قادرة على ذلك فعلا ، وإما بحجة أن الزوج هو المتسبب في هدم حياته الزوجية .

وفي حالة عدم قيام أسرة الزوجة برد الأمر إلى الزوج ، فإن جميع الأطفال الذين تتجهم الزوجة فيما بعد نتيجة لعلاقتها مع عشيقها يعتبرون أبناء شرعيين لزوجها الذي هجرته .

ويخلص إيفانز بريتشارد مما سبق إلى القول بأن النوير لا يعلقون أهمية كبرى على الأبوة الفسيولوجية . حقا إن الرجال يفضلون أن ينجبوا أطفالهم بأنفسهم ؛ إلا أنهم مع ذلك يرون أنه ليس من العار أن يربي الإنسان طفلا لم ينجبه هو شخصيا . إن الأبوة القانونية للطفل *legal fatherhood of the child* هي الأمر الهام الذي يضعونه نصب أعينهم بصرف النظر عن الشخص الذي قام بالاتصال جنسيا بالزوجة وأدى إلى إنجاب الطفل .

ولا شك أن ذلك كان له أثره بالنسبة لرأى النوير فيما يتعلق بالزنا . فالزاني في نظرهم هو الرجل الذي يرتكب الفحشاء مع زوجة رجل آخر ، ويدخل ضمن ذلك زواج الشبح والزواج اليفيراني .

والزنا يعتبر عملا غير قانوني ، وإن كان الأهالي لا ينظرون إليه على أنه عمل غير أخلاقي . ويبدى إيفانز بريتشارد دهشته من انتشار الزنا بالمجتمع وعدم شعور الأهالي بالخجل نتيجة لذلك . كما أنه يذكر أن الأهالي نادرا ما يتشاجرون مع بعضهم من جراء ذلك .

وبالنسبة للإجراءات القانونية ، في حالة ثبوت الزنا ، فإن النوير لديهم جزاءات محددة في هذا الشأن . فالزاني يدفع للزوج ستة بقرات تعويضا له عن الفسق بزوجه .

ويرى النوير أن الزنا داخل مسكن الزوج يعتبر أكثر خطورة من الزنا في الغابة ، وذلك لأنهم يعتقدون أن ذلك قد يسبب المرض للزوج . وبعبارة أخرى يرى الأهالي أن الفسق بالزوجة داخل مسكنها يسيء إلى الزوج من حيث أنه اعتداء على حقوقه ، وكذلك من ناحية صحته هو شخصيا .

ولإذا ما أنجبت الزوجة طفلا سليم البنية نتيجة لهذه العلاقة غير المشروعة ، فإنه يجب على الزوج أن يرد إلى الزاني خمسة بقرات ، ويستبقى لنفسه بقرة واحدة فقط . ويعتقد النوير أنه إذا لم يرد الزوج هذه البقرات إلى الزاني ، فإن الطفل المولود قد يموت ، ويقوم شبحه بإزعاج أبيه الاجتماعي .

ومن أبحاثه المحلية تذكر دراسته لسكان جزيرة نيكوريا في الفترة من يوليو سنة ١٩٢٨ حتى يوليو سنة ١٩٢٩ . وقد نشر فيث عددا من الكتب عن ذلك المجتمع تعالج جوانب مختلفة لحياة الاجتماعية مثل القرابة والحياة الأسرية والدين والاقتصاد والتاريخ .

ومناك أيضا دراسته المحلية التي قام بها هو وزوجته في عامي ١٩٢٩-١٩٤٠ من الفلاحين في بلاد الملايو (٢) . وقد استغرقت هذه الدراسة سنة عام واحد فقط . أما بالنسبة لوسيلة التخاطب مع الأهالي ، فقد استخدم هو وزوجته لغة الأهالي أنفسهم ، تماما كما فعل من قبل في جزيرة نيكوريا .

ومن مؤلفاته نذكر : كتاب *Human Types* (1936) وكتاب *Elements of Social Organization* (1931) . كما يهنا أن نشير كذلك إلى أنه قد نشر أيضا عددا من المقالات في الدوريات العلمية .

(٢) R. Firth, *The Malay Fishermen, Their Present Economy*. (1946).

التمثيل العائلي ريموند فيث سكان جزيرة نيكوريا

لمحة عن حياته ومؤلفاته :
ولد ريموند فيث Raymond Firth في نيوزيلند سنة ١٩٠١ . وقد حصل على درجة البكالوريوس والمجستير في علم الاقتصاد . ثم حصل بعد ذلك على درجة الدكتوراه من جامعة لندن عن اقتصاديات الموري Maori . وكان موضوع الرسالة : *Primitive Economics of the New Zealand Maori* . وقد نشرت تلك الدراسة لأول مرة سنة ١٩٢٩ ، ثم أعيد طبعها مرة ثالثة سنة ١٩٥٩ تحت عنوان : *Economics of the New Zealand Maori* . وقد قام الأستاذ فيث بتدريس الأنثروبولوجيا الاجتماعية بجامعة سيدني Sidney (١٩٣٠-١٩٣٢) ، ثم بجامعة لندن من سنة ١٩٣٣ حتى اعتزل العمل بها سنة ١٩٦٨ (١) .

(١) بالنسبة لبيانات الحاشية ببيان ومؤلفاته ، فقد أجمعت على الخطاب الذي أرسله إلى الأستاذ فيث بتاريخ ١٠ أغسطس سنة ١٩٦٨ والذي أوضح فيه كتبها من البيانات التي طلبها من حياته وأبحاثه المحلية والجامعات التي قام بالتدريس فيها .

أولا - لمحة عن جزيرة تيكوبيا

تقع جزيرة تيكوبيا Tikopia شرق جزر سولومون البريطانية. وقد بلغ عدد السكان بها وقت إجراء البحث ١٢٠٠ نسمة (٣) تقريبا. ويعيش الأهالي في عدة قرى تتكون كل منها من المساكن المنخفضة الارتفاع. ومن الناحية الاقتصادية، يعتمد الأهالي على الزراعة وصيد الأسماك (١). ويصف لنا فيرث سكان الجزيرة بأنهم من ذوى الأجسام البنية (٥) وأنهم يطلقون لحام وشعورهم كما يذكر لنا أيضا أنهم بدائيون Primitive وأنهم لم يتأثروا بالحضارة الغربية Western Civilization إلا بدرجة ضئيلة. فهم لا يستخدمون النقود في معاملاتهم مع بعضهم، وإنما يتبعون نظام المقايضة وتقديم السلع المختلفة لقاء مايقومون به من أعمال. فثلا حينما أراد فيرث أن يبنى لنفسه مسكنا. استأجر عددا من الأهالي للقيام بذلك وقدم لهم عدة أدوات وكية من السلع المختلفة لقاء عملهم (٦).

وقد تمكن المبشرون من إدخال المسيحية بالجزيرة، وبلغ عدد المسيحيين هناك - وقت إجراء البحث - نصف عدد أفراد المجتمع تقريبا (٧). أما بقية

R, Firth, We, The Tikopia ; A Sociological Study of Kinship in Primitive Polynasia (London, 1957) . p. 3. (٣)

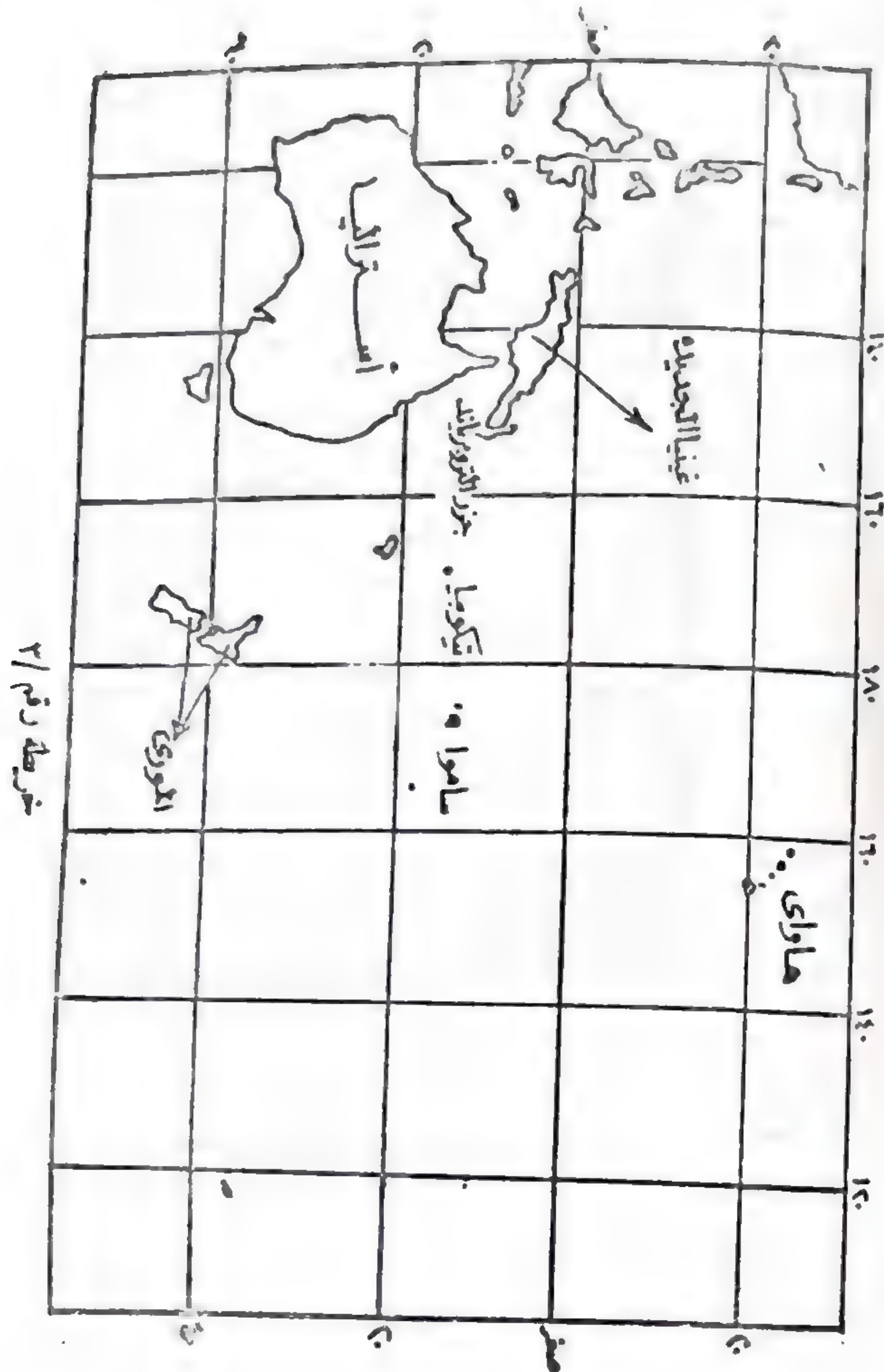
Ibid, p.p. 22-23 (٤)

Ibid, p. 12 (٥)

(٦) من الأحياء التي قدمها لهم تذكر السكاكن والصنائير الخاصة بصيد السمك والتغ

والأرز. (٧)

Ibid, p. 4. (٧)





صورة رقم ٤٥/
رجل من أسرة كبيرة بالجزيرة

السكان ، فإنها لاتزال وثنية . ولاشك أن المسيحية كان لها أثرها على نمط الحياة الاجتماعية للسكان . فقد جلب أفراد البعثات التبشيرية معهم كثيرا من الأدوات الأوربية (٨) كما أدخلوا أيضاً أنواعا من الفواكه لم تكن معروفة هناك من قبل كالموز مثلاً . كما أننا نلاحظ أيضاً أن المسيحية قد حاربت وأدال أطفال والإجهاض والسرقة والزنا . وعلاوة على ما تقدم ، فقد إنجى الأهالي الذين تحولوا من الوثنية إلى المسيحية إلى أكل الحيوان الطوطم (٩) *totem animal* بعد أن كانوا يمتنعون عن أكله كظن من مظاهر الاحترام له (١٠) .

(٨) *ibid* p. 43.

(٩) *ibid* p. 46

(١٠) كالتوسه والحمام مثلاً .

ثانيا - ملاحظات عن كيفية إجراء البحث

١ - لحوال البحث ومدة الدراسة الحالية : قام المجلس القومى للبحوث فى استراليا بتقديم التمويل اللازم لإجراء البحث (١١). وأما بالنسبة لمدة الدراسة الحالية فإنها قد أجريت فى الفترة من يوليو سنة ١٩٢٨ حتى يوليو سنة ١٩٢٩، أى أنها قد استغرقت عاما كاملا (١٢). ولم يظهر كتاب *We, The Tikopia* وهو أول كتاب ينشره فيث عن سكان الجزيرة إلا فى سنة ١٩٢٦ .

٢ - وسائل جمع البيانات : وبالنسبة لوسائل جمع البيانات التى استخدمها فيث فى دراسته لمجتمع تيكوريا، فإنه يهمنى أن تشير إلى النقاط التالية :

١ - قراءة ما كتب عن المنطقة : قبل سفره إلى منطقة البحث اطلع فيث على المؤلفات التى كتبت عنها . فهو مثلا يذكر أنه قد اطلع على مذكرات أحد رجال الدين، وأنه أخذ منه عددا من الصور الفوتوغرافية عن المنطقة (١٣). كما يشير كذلك إلى أنه قد رجع إلى كتاب ريفرز (١٤) عن تاريخ المجتمع الميلانيزى ووجه إليه نقدا شديدا بالنسبة لعدم دقة بعض المعلومات التى ذكرها ريفرز فى كتابه عن سكان جزيرة تيكوريا .

ب - وسيلة التخاطب مع الأهالى : فى بداية البحث الحقلى ، ولمدة ثلاث أسابيع فقط ، استخدم فيث خليطا من *Pidgin English* ولغة المورى

ibid, p. xxiii. (١١)

ibid, p. 5 (١٢)

ibid, p. xxii. (١٣)

ibid, p. xxiv. (١٤)

ibid, p. 6. (١٥)



صورة رقم ٤٦
رجل من جزيرة تيكوريا

Maori . إلا أنه بعد ذلك ، وطوال فترة البحث الحقلى ، قد اعتمد كاية على لغة
الاهالى أنفسهم :

“ At no time did I have a regular interpreter. Naturally, I recorded as much material in the Tikopia tongue as possible. But apart from taking down the statements of informants in the ordinary way, I made a practice of jotting down verbatim on the spot scraps of what I overheard, conversations between people, comments on behaviour, observations made during the progress of work, and the like . These often give a more intimate insight into the human relationships involved than a long dictated text on the same theme, and I regard this type of material as among the most valuable of my records ”.

(R. Firth, *We, The Tikopia*, p. 6.)

► — مدى الاختلاط بالأوروبيين : يقول فيرث : « لقد قضيت فى جزيرة
تيكوبيا اثنى عشر شهراً من يوليو سنة ١٩٢٨ حتى يوليو سنة ١٩٢٩ . وفى خلال
تلك الفترة زارت سفينة الإرسالية الجزيرة مرة واحدة (فى أكتوبر سنة
١٩٢٨) ، وكان ذلك بفرض إحصار مايلزمنى من مؤنة وبضائع . ومنذ أكتوبر
سنة ١٩٢٨ حتى نهاية فترة البحث الحقلى (يوليو سنة ١٩٢٩) ، أى لمدة تسعة

شهور ، فإننى لم أر أحداً من البيض (١٦) .

د - الإقامة في قرى الأهالي : أقام فيرث في القرى واختلط بالأهالي في مساكنهم ، كما شاركهم في مختلف الأنشطة التي كانوا يقومون بها في حياتهم اليومية . وهو يذكر أن كثيراً من المعلومات التي حصل عليها قد جمعت بينما كان مضطجماً في مساكن الأهالي وهم يقيمون شعائرهم أو يقومون بطهي الطعام (١٧) .

كما اعتمد فيرث كذلك على المخبرين informants الذين كان يختارهم من مختلف الجماعات ومن مختلف المناطق وكان يقدم لهم العطايا لقاء ما يقدمون من معلومات :

" My system was to make good gifts to those who contributed valuable material and let this principle be known " .

(R. Firth, *We, The Tikopia*, p. 7)

ه - الطريقة الجنيولوجية : كما استخدم أيضاً الطريقة الجنيولوجية وأمكنه بواسطتها أن يتعرف على الكثير من الحقائق في المجتمع . فلقد أمكنه - مثلاً - أن يتبين أن نسبة كبيرة من الذكور بالجزيرة يموتون غرقاً في الرحلات البحرية (١٨) . كما أمكنه كذلك أن يتبين انتشار تعدد الزوجات بين الأفراد من

Ibid p. 5 (١٦)

Ibid p. 5 (١٧)

Ibid p. 515 (١٨)

العائلات الكبيرة في الزمن الماضي (١٩) .

و - إحصاء السكان : وعلاوة على ما تقدم ، فقد قام فيرث بعمل إحصاء لسكان الجزيرة سنة ١٩٢٩ . وقد اشتمل ذلك التعداد على البيانات التالية عن كل أسرة : اسم القرية ، اسم المنزل ، الشعيرة ، أسماء الأفراد ، النوع ، السن ، العلة برب الأسرة (٢٠) .

٢ - نشر نتائج الدراسة : ذكرنا من قبل أن فيرث قد قضى عاماً كاملاً يقوم بأبحاثه المحلية في جزيرة تيكوبيا . وبعد عودته من هناك نشر كثيراً من البيانات التي جمعها في عدة كتب وكذلك في عدد من الدوريات العلمية . وقد نشر كتابه *We, The Tikopia* لأول مرة سنة ١٩٣٦ . ويهتم هذا الكتاب أساساً بدراسة الحياة الأسرية والقرابة في جزيرة تيكوبيا (٢١) . ويشير فيرث إلى أنه قد عالج هذا الموضوع بنوع من التفصيل . ووجهة نظره في ذلك أن المجتمعات البدائية تتغير وتبدل في الوقت الحالي الأمر الذي يستوجب المبادرة من جانب علماء الأنثروبولوجيا لدراستها قبل فوات الأوان . ويحتوي هذا الكتاب على مقدمة كتبها مالينوسكي وستة عشر فصلاً تبحث في الحياة بالقرية والمصن والقرابة وأسس ملكية الأرض والمشكلة المكانية وسوسيولوجيا الجنس ونظام الزواج . . . الخ .

وعلاوة على كتاب *We, The Tikopia* ، فقد ظهر أيضاً كتاب *Primitive Polynesian Economy* (1939)

Ibid p. 165 (١٩)

Ibid, p. xxi (٢٠)

Ibid p. 5 (٢١)

The work of the Gods in Tikopia (1940)

وكتاب

History and Traditions of Tikopia (1961)

وكتاب

هذا ويهمننا أن نشير كذلك إلى أن ريموند فيرث قد زار الجزيرة مرة ثانية سنة ١٩٥٢ وقضى هناك فترة خمسة شهور درس خلالها التغير الاجتماعي بالمنطقة. ثم نشر كتابه *Social Change in Tikopia* (1959)

ثالثاً — عرض لبعض نتائج الدراسة

(١)

تخطيط المسكن (٢٢)

يعيش الأماهي في عدة قرى تتناثر في أرجاء الجزيرة ؛ وكل قرية Potu لها حدودها الجغرافية ولها اسمها الخاص بها (٢٣) .

وبالنسبة لمساكن الأماهي ، فإن فيرث يذكر لنا أنها منخفضة الارتفاع . كما أن كل بيت به عدة أبواب صممت بحيث تسمح فقط بدخول الأفراس وهم يزحفون على أيديهم وركبهم . ونظراً إلى أن سقف المنزل منخفض (٢٤) ، فإن الأماهي ينتقلون من مكان إلى آخر داخل المسكن زحفاً على أيديهم وركبهم . ولا شك أن بناء المساكن بهذه الطريقة إنما يرجع إلى خوف الأماهي من الأنواء التي كثيراً ما تكتسح الجزيرة .

ولا يوجد بداخل المنزل حجرات ، وإنما هناك تقسيمات غير واضحة لأرضية المسكن . وهذه التقسيمات هي :

١ — منطقة وسط الدار Roto a Paito . وهذه المنطقة تستخدم للجلوس أفراد الأسرة ولتناول الطعام وكذلك للنوم فيها .

(٢٢) Ibid, p. p. 51—87.

(٢٣) يذكر لنا ريموند فيرث أيضاً أن كل بيت له اسم خاص به .

(٢٤) مادة يبلغ ارتفاع الصاف حوالي باردة واحدة فقط .

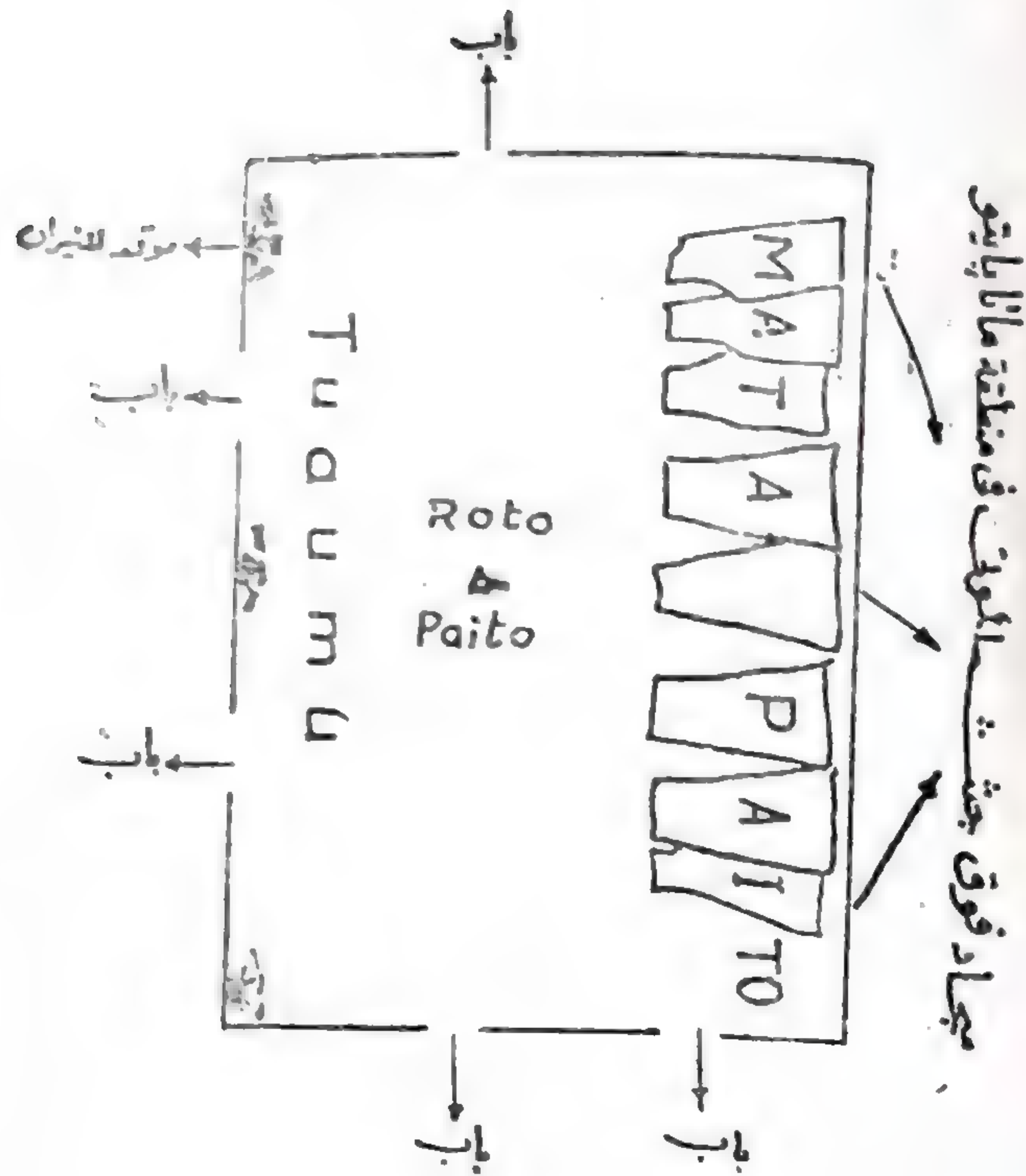
ب — منطقة ترومو Taumua . وهي عادة تستخدم لإيقاد النيران لطهي الطعام (٥) .

— منطقة مانا بايتو Mata Faito . وهي مخصصة لدفن الموتى من أفراد الأسرة .

ولا شك أن وجود مثل هذا التخطيط الداخلي للسكن بالجزيرة إنما يرجع إلى العادات الدينية السائدة هناك . لقد اعتاد الأهالي — حتى المسيحيون منهم — أن يدفنوا موتاهم داخل مساكنهم أو في بعض الأحيان تحت رفرف سطح المسكن . فعند وفاة أحد أفراد الأسرة تلف الجثة في حصير وقماش من لحاء الشجر ثم تدفن في منطقة مانا بايتو Mata faito على عمق ستة أقدام . ويبرر الأهالي ممارسة هذه العادة بحجهم الشديد لأفراد أسرهم ، وأنهم بهذه الطريقة ولا شك سوف يتمكنون من حماية قبورهم من قسوة الجو .

ويذكر لنا فيرث أننا إذا قمنا بزيارة أحد المساكن التي بنيت منذ زمن بعيد ، فسوف نرى بداخلها في المنطقة المسماة مانا بايتو ، عدداً من السجاد المصنوع من أوراق شجر جوز الهند . وكل سجادة تدل على وجود جثة مدفونة تحتها . ولا شك أن وجود هذه الجثث الخاصة بالموتى من أفراد الأسرة هي السبب الرئيسي لما يبديه الأهالي من احترام زائد لتلك المنطقة من المسكن .

(٥) يلاحظ أن مساكن الأهالي تدخلت من المراحل ، ومن ثم فإن الأهالي يفضون حجاباتهم على شاطئ البحر .



شكل رقم ٢/
التخطيط الداخلي للسكن

ويذكر ريموند فيرث أنه عندما دخل — لأول مرة — المسكن الذي أعدله
بإحدى القرى بالجزيرة ، طلب منه أصحابه ألا يسير فوق السجاداتين الموجودتين
في منطقة « ماتا بايتو » ، حيث يوجد تحتها جثث جد ووالد صاحب المسكن .
كما طلبوا منه كذلك ألا يستخدم تلك المنطقة من الكوخ . وقد وعدم فيرث
بذلك ، بل إنه قد أصبح يمارس ذلك بطريقة لاشعورية .

(٢) الزواج^(٢٠)

يذكر لنا فيرث أن سلاسل الانساب التي حصل عليها تبين أن تعدد الزوجات كان منتشراً بين الرجال من العائلات الكبيرة . ولكن المسيحية كان لها أثرها الكبير في الإقلال من انتشارها ، فأصبحت قاصرة على عدد غير قليل من الأفراد من الأسر الوثنية .

وبجانب تعدد الزوجات ، فإن هناك أيضاً نظام الزواج المونوجامى . وأما بالنسبة للوسائل التي يتم بها الزواج ، فإن هناك ، طريقة الفرار ، مع الزوجة ، و طريقة الاستيلاء على المرأة بالقوة ، :

١ - طريقة الهروب مع الزوج Marriage by elopement : وهذه الطريقة هي الشائعة في الوقت الحالى . فعندما يقرر الفتى الزواج بالفتاة التي يحبها ، فإنه يمسكها من معصمها ويقودها إلى منزل أسرته . والفرار مع الفتاة عادة يتم ليلاً حتى لا يعلم أهلها بذلك . وعندما تفر الفتاة مع فتاها لتزوجه ، فإن الأب ، عادة ، لا يعلم إلا في صباح اليوم التالى عندما ينتشر الخبر في أرجاء الجزيرة . ولكن إذا كان والد الفتاة لا يعلم بخطة الفتاة واتجاهها للهروب ، فإن أسرة الفتى تكون على علم تام بكل خطواته في هذه الناحية . ذلك أن الفتى لا يستطيع أن يتزوج إلا إذا كانت ظروف الأسرة الاقتصادية تسمح بذلك ، وكانت الأسرة في نفس الوقت ترضى عن طباع الفتاة . وبصفة عامة ، يلاحظ أن الأسرة في مجتمع تيكوييا ترغب في أن تكون زوجة الابن بحدة في عملها وحسنه الطباع ؛ كما ينبغي أيضاً ألا تكون عابسة أو سليطة اللسان أو نهمة في الأكل .

٢ - طريقة الاستيلاء على المرأة بالقوة Marriage by Capture ولكن

قد تعرض الأسرة ، أحياناً ، على اختيار الفتى ، ومن ثم فإنهم يتجهون للقيام بالبحث عن فتاة أخرى يرضون عن طباعها ويقومون هم أنفسهم بخطفها ليزوجوها لفتاهم .

وفي أحيان أخرى ، نجد أن الرجل قد يرغب في الزواج من فتاة معينة ، ولكنها ترفض ذلك . ومن ثم فإنه يتجه للقيام بخطفها بمساعدة أهله . ويذكر فيرث أن عادة الاستيلاء على المرأة بالقوة عادة تقتصر على العائلات الكبيرة بالمجتمع ؛ إذ أن ذلك يحتاج ليس فقط إلى القوة البدنية بل وأيضاً إلى النفوذ بالمجتمع .

وقد جرت العادة على أن يتكون موكب الجماعة المغيرة من الإخوة الذكور وأبناء العم والأعمام وأصدقاء الفتى . وبعد أن يتم اجتماعهم سراً ، يتجهون لخطف الفتاة . وفي العادة يتم الخطف من منزل والده الفتاة كما يلي :

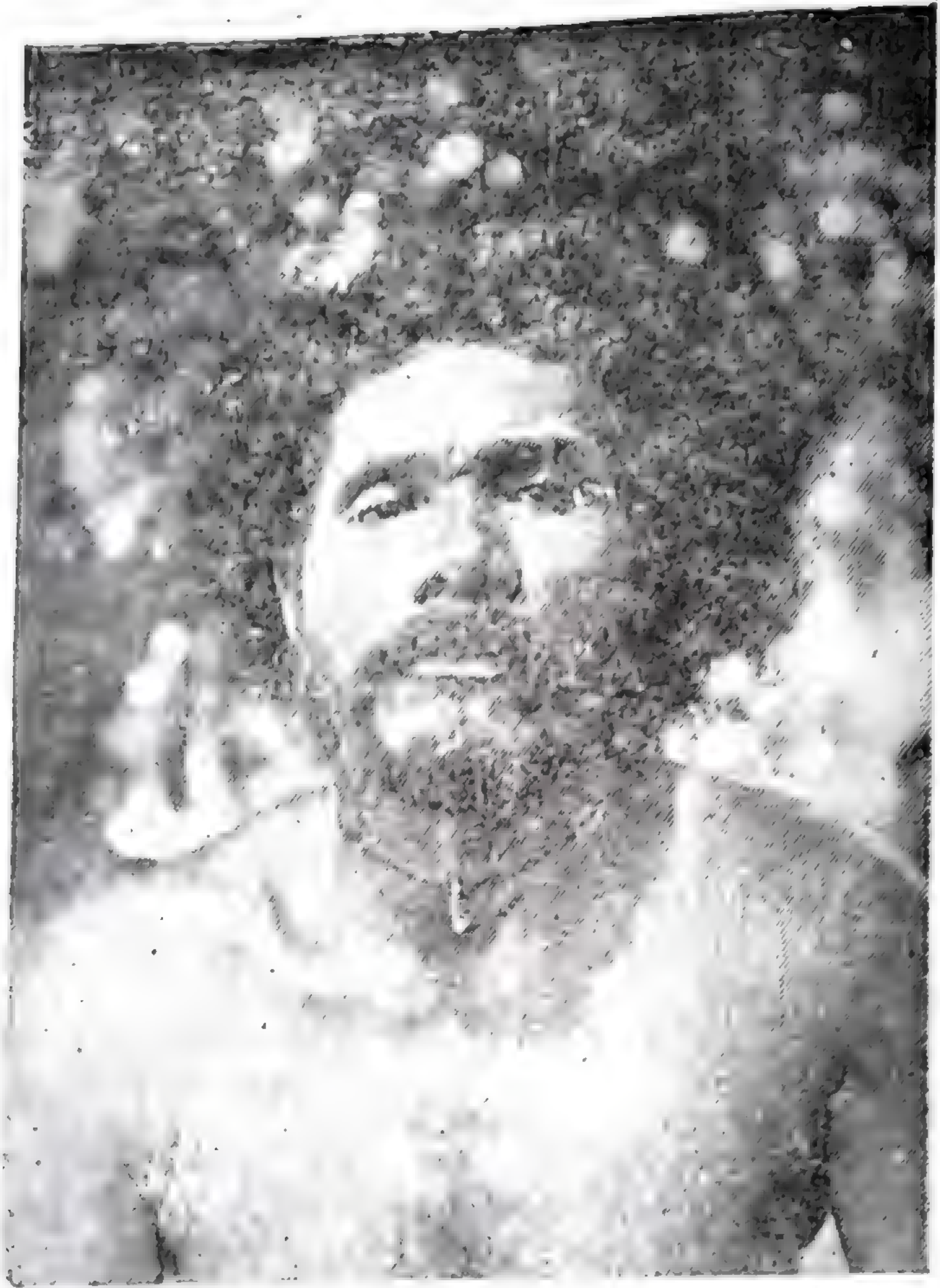
يتقدم رئيس الجماعة المغيرة ويخاطب والده الفتاة قائلاً : « لقد جئنا لاختد ابنتك زوجة ، . ولكن الأب يرد عليه معلناً رفضه لطلبهم . وعندئذ يتقدم رئيس الجماعة ويمسك الفتاة - التي تصرخ وتبكي - ويحملها بين ذراعيه . وحينئذ ينهض كلا الفريقين ويتعاركا . ويظل كلا الفريقين يجذب الفتاة ، وينهال فريق أسرة الفتاة على الفريق الآخر ضرباً ولكماً ، كما أنهم يقومون بشد شعور المعتدين . ومن التقاليد السائدة في المجتمع ألا يحاول الجانب المغير أن يتعارك مع الجانب الآخر أو يوجه إليه اللكمات ؛ لأنه يحاول قدر المستطاع حمل الفتاة والهروب بها . وبعد صراع طويل يتمكن الفريق المهاجم من أخذ الفتاة والفرار

بها . ولكن إذا كان الفريق المهاجم أفضل قوة من فريق أسرة الفتاة . فإن المحاولة تبوء بالفشل ويولون الأديار .
وفي صباح اليوم التالي ، يتوجه وفد من أسرة الفتى إلى منزل أسرة الفتاة ومعه بعض الهدايا . وعادة تكون الهدية عبارة عن سلطانية من الخشب ولقة من الحبال (*) . وعندما يصل الوفد إلى منزل الفتاة ، فإنهم يحاولون التقصم زحفا إلى والد الفتاة . ولكن أسرة الفتاة تنهال عليهم ضربا على رؤوسهم وظهورهم ، كما يقومون كذلك بشد شعورهم . كما تتعارك نساء الفريقين معاً . وأثناء الضرب يسقط الكثير منهم من شدة الإعياء . ويستمر الحال كذلك إلى أن يتمكن أحد أفراد أسرة الزوج من الوصول إلى رب الأسرة ليضغظ بأنفه على ركبة ويقدم له الهدية . وعندئذ يتوقف العراك ، ويخرج فريق الزوج فوراً ودون أن يقدم لهم أهل الزوجة أى طعام .



صورة رقم /٤٧
رجل ومعه طفل

(*) تقدم الهدايا إلى أسرة الفتاة في حالة هروب الفتاة وكذلك في حالة الاستيلاء على المرأة بالقوة .



صورة رقم ٤٨/
أحد الأهالي يصنع سلة أبيه حول عنقه

(٣)

المشكلة السكانية بالجزيرة (٢٦)

قام فيرث بعمل إحصاء للسكان Census في جزيرة تيكوبيا سنة ١٩٢٩ ؛ وقد اتضح له أن عددهم وقت إجراء البحث قد بلغ ١٢٨١ نسمة .

وبالنسبة لعلاقة السكان بموارد القوت ، فإنه يذكر لنا أن السكان Population كانوا بصفة عامة حتى عهد قريب في حالة تعادل أو موازنة مع موارد القوت بالجزيرة . وهو يرى أن ذلك ولا شك كان مرجعه إلى عوامل مختلفة هي :

١ - العزوبة Celibacy : فإذا كانت الأسرة لا تملك الأرض الكافية لإنتاج الطعام لمزيد من الأفواه في المستقبل ، فإن رب الأسرة يوعز إلى أبنائه بالامتناع عن الزواج . هذا ويهمنها أن تشير في هذا المجال إلى أن إشباع الناحية الجنسية بالنسبة لهؤلاء العزاب لم تكن تقابل بالمعارضة من جانب الأسرة ؛ كما أن هؤلاء العزاب بدورهم كانوا يحرصون على ألا تؤدي هذه العلاقات إلى إنجاب أطفال .

٢ - العزل . كما كان البعض من المتزوجين ومن غير المتزوجين يلجأون إلى طريقة العزل . وكان الغرض من ذلك هو منع الحمل لتنظيم الأسرة (*) .

(٢٦) Ibid. p. p. 408—417.

(*) العزل هو منع انتقاء المادة التناسلية من الزوج بالمادة التناسلية من الووجة وذلك بأن يمتد الزوج عند أداء العملية الجنسية إل لذف هذه المادة التناسلية خارج فرج المرأة عند انتهاء العملية . ومما هو جدير بالذكر أن العزل كوسيلة لمنع الحمل كان معروفا عند العرب في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم .

٣ - الاجهاض Abortion : يقول فيث أن هذه الوسيلة ليست شائعة في المجتمع ؛ ولكنها تمارس أحيانا بواسطة الفتيات غير المتزوجات اللاتي لا يرغبن في إنجاب أطفال .

٤ - وأد الأطفال : Infanticide : عندما تلد الزوجة طفلا ، فإن رب الأسرة هو الذي يقرر مصيره : الحياة أم الوأد ؟ والطريقة الشائعة هناك لوأد الأطفال هي الخنق . وكما يقول الاهالي ، فإن الدافع الأساسي وراء وأد الأطفال هو العمل من جانب الأسرة على موازنة موارد القوت بالنسبة لعدد أفراد الأسرة . وأما بالنسبة للنوع Sex فإن ذلك يختلف من أسرة إلى أخرى . فبعض الأسر تتد الإناث ، بينما نجد أن بعض الأسر الأخرى تقوم بوأد الذكور من المواليد (٩) .

٥ - الأسفار البحرية Sea-voyaging يذكر لنا فيث أن قيام الرجال ، وبصفة خاصة الشبان منهم ، بالسفر بحرا إلى الجزر المجاورة يؤدي إلى فقد عدد كبير من رجال الجزيرة في كل عام . وقد أوضح له سلاسل الانساب genealogies التي جمعها أن عددا كبيرا من سكان الجزيرة يموتون غرقا .

(٩) كان قبائل العرب في الجاهلية تتد الأطفال بسبب الفقر . وإل ذلك يذهب القرآن الكريم إذ يقول مخاطبا العرب : « ولا تقتلوا أولادكم خشيعة إناق ، نحن نرسلهم وإياكم ، إن ظنهم كان خطئا كبيرا » .

كما يذكر لنا ريفرز Rivers في كتابه (The Todas (London, 1906 أن مادة وأد البنات female infanticide كانت تمارس عند التودا في بلاد الهند منذ مئات السنين ، وإذا ولدت الزوجة نواحين ، فإن للمرف منهم كان يقتل أحدهما حتى ولو كان الانثى من الذكور . وبالنسبة لطريقة وأد الأطفال ، فإن ذلك كان يتم بكم نفس الطفل أو خنقا ثم دفنها بعد ذلك مباشرة .

٦ - الحروب : في بعض الأحيان عندما يحدث إرتفاع كبير في عدد السكان ، ويشد الضغط على الأرض ، فإن الحرب قد تنشب بين الاهالي وتكون النتيجة هي طرد الكثير من الامر خارج الجزيرة . ويذكر فيث أن ذلك قد حدث فعلا مرتين في تاريخ الجزيرة .

هذه هي الوسائل المختلفة التي كان لها أثرها في الموازنة بين موارد القوت والسكان بجزيرة تيكوبيا . إلا أن بدء اتصال الجزيرة بالاوربيين ، عن طريق الحكم والمبشرين ، قد أدى إلى بدء ظهور مشكلة سكانية بها . فالخوف من الحكومة قد أدى إلى منع قيام الحروب بين الاهالي ، وبالتالي لم يعد في الإمكان طرد أي أسرة خارج الجزيرة . كما أن الموانع الأخرى قد تأثرت بدورها إلى حد كبير نتيجة لإنفجار المسيحية . فالرساليات التبشيرية تعارض أشد المعارضة إشباع العلاقات الجنسية خارج الزواج الأمر الذي يدفع الشبان الذين اعتنقوا المسيحية إلى هجر المزوجة والإقدام على الزواج . كما أن البعثات التبشيرية تعارض كذلك الإجهاض ووأد الأطفال .

وهكذا نرى أن مجتمع تيكوبيا مهدد بمشكلة سكانية نتيجة لاتصاله بالحضارة الغربية . ولمواجهة تلك المشكلة نجد أن فيث يناقش عددا من الحلول المقترحة لمعالجتها . وهذه الحلول هي :

١ - الهجرة migration .

٢ - العمل على زيادة الإنتاج الزراعي .

٣ - نشر الوعي بين الاهالي فيما يتعلق بالناحية الجنسية وتوزيع وسائل

منع الحمل Contraceptives .

وبالنسبة للهجرة فهو لا يعتقد في جدواها كعلاج المشكلة ، وذلك لأن

الامالى أنفسهم لا يرغبون في الهجرة من جزيروهم . وأما بالنسبة لإدخال الآلات الحديثة لزيادة الانتاج الزراعى ، فهو يرى أن ذلك له فائدته المحدودة وإن كان ذلك لن يمدى طويلا ، ويخلص فيث إلى مدى أهمية وسائل تنظيم الاسرة كعلاج للمشكلة لو أمكن التوعية بين الامالى بشأنها والعمل على نشرها .

ومن الحلول الطريقة لعلاج المشكلة السكانية بالجزيرة ، مارواه فيث عن أحد الرؤساء بالجزيرة . فعند سفره من هناك تقدم إليه أحد الرؤساء وطلب منه أن يعمل من جانبه على إقناع الحكومة بأن تصدر قانونا يقضى بالزام الاسرة بممارسة وأد الاطفال إذا زاد عدد الاطفال بها عن أربعة أو خمسة أطفال ، وذلك حتى لا تأثر كمية الطعام بالجزيرة بزيادة النسل !!

الفصل الحادى عشر

رأى و ل . وورنر للبدايين فى استراليا

أولا - لمحة عن مجتمع البحث

يعيش المورنجن Murgio فى شمال استراليا . وقد بلغ عددهم وقت إجراء البحث ٣٠٠٠ نسمة تقريبا (١) . وتنقسم القبيلة إلى عدة عشائر ؛ وكل عشيرة لها اسمها الخاص بها ولها أرضها الخاصة بها . وفى العادة تبلغ مساحة الأرض الخاصة بكل عشيرة ٣٦٠ ميلا تقريبا (٢) . وبالنسبة لعدد أفراد العشيرة ، فإنه يتراوح بين ٤٠ و ٥٠ نسمة .

والمنطقة غنية بالحيوانات والطيور والاسماك . فهناك الكنغر (٣) والنعام

W.L. Warner, *A Black Civilization : A Social Study of An Australian Tribe* (Harper and Brothers, 1958), p. 157.

Ibid, p. 16 (٢)

(٣) يحف لنا وورنر طريقة سبب الكنغر كما يلي : يطفى الرجال القمن يخرجوا صيد الكنغر أجسامهم بالطين وذلك لكي يمتدوا الكنغر من شحم رانهم أو رؤسهم ثم ينتظرون مكان ضيق بالغابة . ثم تقوم جماعة من الأولاد ، فى الطرف الآخر من الغابة ، بالهم سقا واحدا فى اتجاه الرجال وهم ينبجون بصوت عال ، فاما كما تمل الكلاب الاسترالية ويسمى الأولاد بطنى بطيئة ، فيخاف الكنغر الموجود بالمنطقة واجه نحو المكان الذى ياتى فيه الرجال . وعندما يقرب الحيوان منهم ، فإنهم يجمونه بمراهم وبه لوه :

والثعلب الطائر والنمساح والبط والبشرن وأبو قردان . وهناك أيضا الثرسة ، والاهالي يأكلون لحما ويبيضها كما أنهم يشربون دماءها أيضا (١) . ويأكل الاهالي كذلك الثمايين والطيور والحار وقواقع البحر ويبيض النماسيح ، كما أنهم يصطادون السمك من البحر . ومن عاداتهم أنهم يسارعون بطهيده وأكله بعد صيده مباشرة ، وذلك لأنهم يعتقدون أن تأخير طهي السمك ، بعد إخراجها من الماء ، يمرض الشخص الذي يأكله للإصابة بمرض الجذام (٢) .

كما يأكل الاهالي أنواعا عديدة من الديدان التي تعيش داخل الأشجار . فإذا وجد أحد أفراد العشيرة شجرة بها علامات تدل على وجود ديدان بداخلها فإنه يقوم بشق جذع الشجرة واستخراج ما يوجد بداخلها من ديدان . ثم يقوم بعد ذلك بفصلها وأكلها نيئة .

وإذا اكتشف أحد الاهالي وجود خلية نحل بداخل إحدى الأشجار فإنه يقوم بقطع الشجرة واستخراج ما يوجد بداخلها من العسل . والاهالي هناك لا يهابون النحل الذي يعيش في تلك المنطقة وذلك لأنه لا يلسع .

ثانيا - ملاحظات عن كيفية إجراء البحث

أجرى وورنر هذا البحث في الفترة من سنة ١٩٢٦ حتى ١٩٢٩ . وقد قام بتقديم التمويل اللازم للبحث ، مؤسسة روكفلر The Rockefeller Foundation ، و المجلس القومي للبحوث في استراليا (١) The Australian National Research Council .

وملاحظ أن وورنر قد رجع إلى كثير من الكتابات التي كتبت عن المنطقة . وهذا واضح بصفة خاصة في الجزء الذي خصصه لدراسة التغير الاجتماعي في شمال استراليا (٢) .

وبالنسبة لوسائل جمع البيانات ، فإننا نلاحظ أنه قد أقام بمنطقة البحث واعتمد على الملاحظة وتوجيه الأسئلة . كما نلاحظ أنه قد اعتمد أيضا على الطريقة الجينالوجية .

هذا ويهنا أن نشير كذلك إلى أن وورنر ، أثناء قيامه بالبحث الحقل ، قد قام بقياس حوالي ٤٠٠ شخص من السكان الأصليين ثم اختارهم من مناطق جغرافية مختلفة . وقد خلص من دراسته إلى أن سكان شمال استراليا لا يختلفون إلا بدرجة ضئيلة عن سكان وسط وجنوب استراليا (٣) .

وفي ١٩٣٧ نشر وورنر لأول مرة كتابه عن المورنجن (٤) . ويشتمل هذا

ibid, p. xi. (٦)

ibid, p. p. 451-471. (٧)

ibid, p. p. 518-519. (٨)

A Black Civilization: A Social Study of An Australian Tribe.

(٩)

ibid, p. 143. (١٠)

ibid, p. 144. (١١)

للكتاب هل ثلاثة عشر فصلاً تبحث في التنظيم الاجتماعي والأسرة والنسق القرابي ونظام طبقات العمر والتكنولوجيا والحرب والسحر والطب والنظام الطوطمي وشعائر الجنازات.

ويلاحظ أن وورنر قد تأثر براد كليف براون عند كتابة تقريره عن المورنجن. فلقد اتبع نفس الطريقة التي اتبعها أستاذه في كتابه *The Andaman Islanders* من حيث الفصل بين الوصف والتفسير. فمثلاً نجد أن وورنر قد خصص الفصل التاسع والعاشر لوصف الحقائق المتعلقة بالنظام الطوطمي، ثم أتبع ذلك بالفصل الحادي عشر الذي خصصه لتفسير الحقائق التي قام بوصفها في الفصول السابقة (١٠).

في هذا الكتاب، كما في غيره من أعماله، يحرص وورنر على أن يكون الوصف دقيقاً وواضحاً، وأن يكون التفسير منطقياً ومقنعاً. ويلاحظ أن وورنر قد تأثر براد كليف براون عند كتابة تقريره عن المورنجن. فلقد اتبع نفس الطريقة التي اتبعها أستاذه في كتابه *The Andaman Islanders* من حيث الفصل بين الوصف والتفسير. فمثلاً نجد أن وورنر قد خصص الفصل التاسع والعاشر لوصف الحقائق المتعلقة بالنظام الطوطمي، ثم أتبع ذلك بالفصل الحادي عشر الذي خصصه لتفسير الحقائق التي قام بوصفها في الفصول السابقة (١٠).

(١٠) يجب أن نذكر أن وورنر، قبل قيامه بكتابة *A Black Civilization* سنة ١٩٣٧ قد كتب عدداً من المقالات عن المورنجن ونشرها في بعض الدوريات العلمية ومن الألة على ذلك:

"Murngin Warfare," *Oceania*, Vol. 1, No. 4, Jan. — Mar., 1931. "The Camp Life of the Murngin," *Hobbies*, Vol. 11, No. 6, 1931.



صورة رقم ٤٩

مجموعة من المحاربين تحمل حرايبها ويلاحظ أنهم قد غطوا أجسامهم بالطين الأبيض

ثالثاً - عرض لبعض نتائج الدراسة

الحرب (١١)

يذكر لنا وورنر أن الحروب التي تنشب بين الأهل هناك ترجع بصفة عامة إلى الأسباب الآتية :

- ١ - قيام أحد أفراد العشيرة بقتل شخص آخر ينتمي إلى عشيرة أخرى .
- ٢ - المنافسة بين العشائر المختلفة على النساء .
- ٣ - الثأر .

وبما هو جدير بالذكر أن لوورنر قد قام ، وقت إجراء البحث ، بعمل إحصاء للمعارك التي نشبت خلال العشرين سنة الماضية في بلاد المورنجين ، وقد اتضح له أنها قد بلغت ٧٢ معركة . ومن دراسته للأسباب التي أدت إلى قيام هذه المعارك تبين أن ٥٠ معركة منها قد نشبت لرغبة العشيرة في الثأر لمقتل أحد أفرادها .

وهناك عادات تتعلق بنظام الأخذ بالثأر ، يهمن أن نشير إليها بإيجاز :
جرت العادة على تسليم عظام أصابع القتيل إلى أقرب أقربائه من أفراد العشيرة . وهدفهم من الاحتفاظ بهذه الخلفات هو الرغبة في تذكيرهم بصفة مستمرة بما يجب عليهم للثأر لمقتل قريبهم . وفي العادة تلف عظام الأصابع ببعض الألياف ثم تغطي بشمع العسل وريش الببغاء .

وإذا قتل شخص أحد أعدائه بحربة ، وبنى جزء مكسور من الحربة في جسم القنيل ، فإن أهل القنيل يحتفظون بهذا الجزء المكسور من الحربة أيضا كأثر يذكرهم بالثأر لتقريبهم .

وإذا ما سلت هذه الخلفات التي ذكرناها إلى أحد أقارب القنيل ، فإنه يصبح لزاما عليه أن يقوم بقتل أحد أفراد عشيرة القاتل .

ويعتقد المورنجين أن روح القنيل ، توجد دائما مع خلفائه ، كما يعتقدون أيضا أن هذه الخلفات لها تأثير سحري . فإذا قام إحدى أفراد عشيرة القنيل بالقائها في النار الموقدة أمام أحد الأعداء ، فإنها سوف تجعله يروح في سبات عميق . كما أن أفراد عشيرة القنيل يحملونها في فهم أثناء المعارك ، وذلك لاعتمادهم بأنها تجعل العدو متعبا وثقيل الحركة أثناء القتال .

ويعتقد المورنجين أيضا أن روح القنيل تدخل في جسم القاتل وتضاعف من قوته البدنية ، كما أنها أيضا تجعل حجم جسمه يزداد .

كما أنهم يعتقدون كذلك أن روح القنيل تحضر إلى القاتل في المنام وتخبره بوجود طعام معين في مكان معين : و إنك سوف تجد عددا كبيرا من حيوان الكنغر بالقرب من النهر ، أو هناك كيات هائلة من عمل النحل داخل تلك الشجرة الكبيرة ، أو إنك سوف تجد ترسة ضخمة وعددا كبيرا من البيض بالقرب من الشاطئ .

وعلاوة على ما تقدم ، فإن الأهالي يعتقدون كذلك أن روح القنيل كثيرا ما تظهر على شكل غراب أو يبناء أو أى طائر آخر وتقوم حول رأس القاتل . وهذه الطيور تجلب الخير له ، فهي ترشده إلى الأماكن التي توجد بها الحيوانات

ذال الحجم الكبير والتي يرغب هو شخصيا في صيدها .

° ° °

وبذكر لنا وورلر أن المورنجين لديهم ألعاظ عظيمة من المارك (١٢) ، وبهذا أن نتناول بالدراسة النمطين الآليين بشيء من التفصيل :

أولا — قتال المارنجو The Moringo fight : هذا النمط من القتال قد سمى بهذا الاسم لأن تشكيل العشائر المهاجمة لمعسكر العدو يكون على شكل الثعبان وهو ملتف حول نفسه . وفي العادة تجرد مثل هذه الحملات بغرض الثأر لمقتل أحد أفراد العشيرة . كما يلاحظ أن الفريق المهاجم يحمل معه دائما خلفات القنيل ، وذلك لأنهم يعتقدون أنها قادرة على إحداث تأثير قوي في صفوف الأعداء أثناء القتال .

والأسطورة التالية تقدم لنا وصفا تفصيليا لإحدى معارك المارنجو . وقد قامت الثعابين ، كما تروى الأسطورة ، في تلك الحركة بالهجوم ليل على إحدى العشائر :

كان البعض من الناس يقومون بصيد السمك ، بينما انهمك البعض الآخر منهم في إشعال النار وطهي السمك . وتصادف في ذلك الوقت أن أحد المحال الصغيرة كان موجودا في الغابة المجاورة . فلما شم رائحة السمك صاح : « إنهم يظهرون السمك . سوف أذهب إلى هناك » ، وبعد وصوله إلى هناك ، أخذ يأكل

(١٢) بالنسبة للألعة الخاصة بالمعارك وبأن الأهالي يستخدمون الحرب والنون Club والسكاكين المصنوعة من الحجارة the stone knife ، كما أنهم أحيانا يستخدمون نؤوسهم المصنوعة من الحجارة . ولا توجد دروع عند المورنجين .

حراشيف السمك . إلا أن الرجال اكتشفوا وجوده ، فأمسك أحدهم بنفسه
وضربه على رأسه فقتله .

حدث كل ذلك بينما كان والده - وهو من النوع السام الشرير - يجلس بعيداً
في الغابة في انتظار عودته . وبعد فائس دخلت روح الابن المقتول في قلب
الاب ، فأحدث له ذلك رعشة في بدنه . وعندئذ عرف الاب حقيقة ما جرى
لابنه فصاح بنضب شديد : « لقد قتل أحدهم ابني ! » ثم أرسل رسلة إلى جميع
الشعابين والسحالي ليخبرهم بما حدث . ولما حشروا إليه جميعاً ، قام بتقسيمهم
إلى ثلاث مجموعات على شكل ثلاث حلقات .

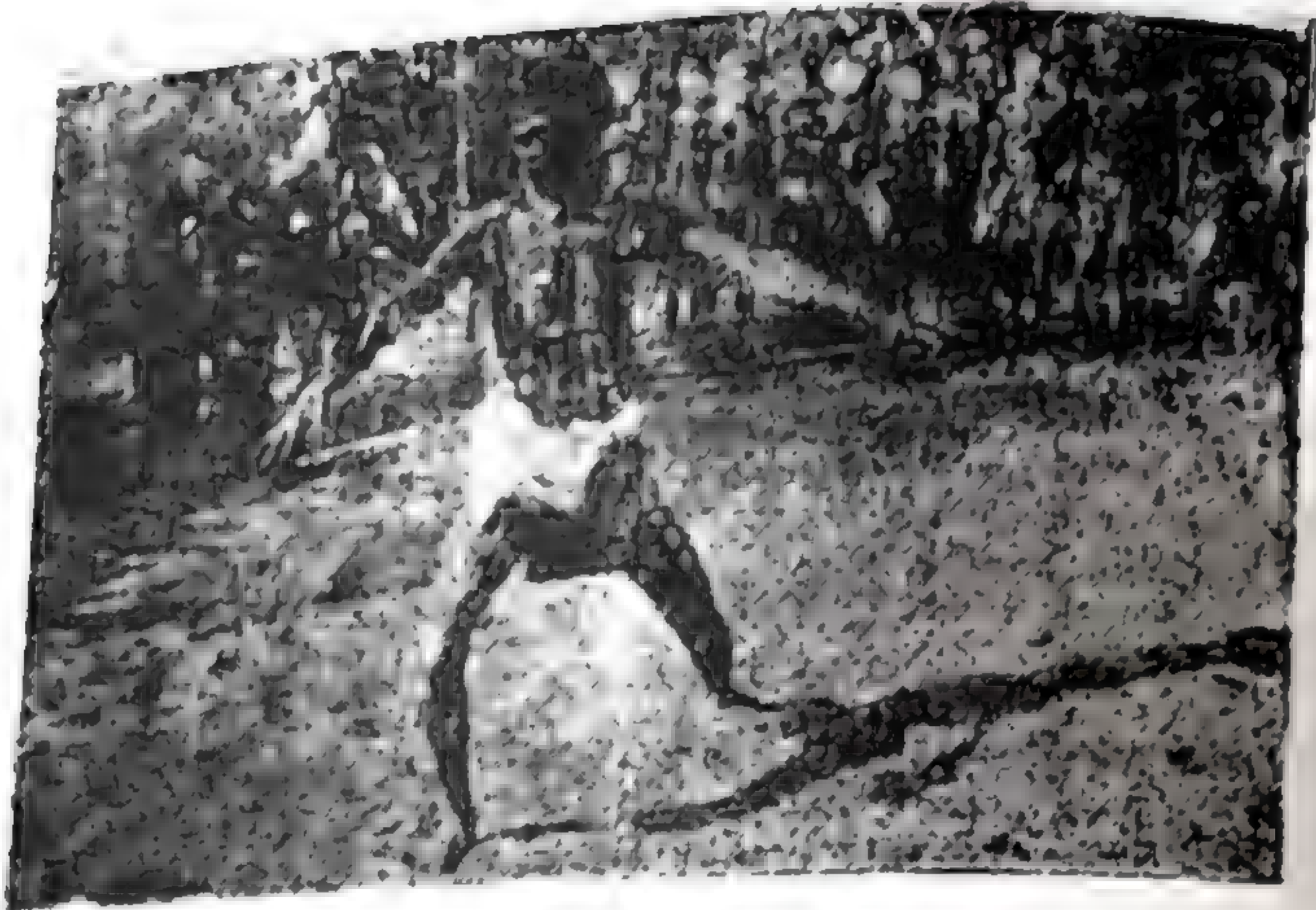
وعندما بدأ جيش الشعابين في الزحف اهتزت الأرض ١١ ولما أحس رجال
العشيرة بهتزاز الأرض ، حسبوا أن ذلك زلزال ، فأسرعوا إلى جزيرة صغيرة
يحتنون بها .

وحينما اقترب الجيش من المعسكر ، سفت الشعابين أسنانها وقامت بطلاء
أجسامها بطلاء أيضاً استعداداً للمركة (١٢) . كما قامت الشعابين الكبيرة أيضاً
بالسير على ذيولها وهي تتقدم نحو العدو .

ولما وصل الجيش إلى المعسكر ، وجدوا أن أفراد العشيرة قد هجروا ، فافتقروا
آثار أقدامهم إلى الجزيرة الصغيرة . وحينما وصلوا إلى هناك تحدث أحد الشعابين
إلى الجنود قائلاً : « إننا سوف ننام هنا على الشاطئ حتى قرب طلوع النهار
وبعد ذلك سوف نطوق المعسكر والرجال نيام ثم نبيدهم عن آخرهم » .

وعند طلوع نجمة الصبح بدأت الشعابين تعبر النهر . وحينما سمع رجال العشيرة

(١٢) من عازات الأمال عند ذهابهم إلى القتال أنهم يفلتون أجسادهم بالطين الأبيض .



صورة رقم ٥٠/
رجل يرقص في إحدى الحفلات

صوتها وهي تسبح حصوه صوت المد والجزر . ثم قامت الثعابين ، بعد عبور النهر ، بتطويق الرجال من كل جانب ، وقتلهم جميعاً إلا واحداً أمكنه أن يختبئ فوق شجرة .

وعندما غادر الجيش الجزيرة عائداً إلى بلاده ، نزل الرجل الوحيد الذي بقي على قيد الحياة من فوق الشجرة وعاد إلى قومه وأخبرهم بما حدث . فجردوا حملة من الرجال لقتال الثعابين ، إلا أن أحد الثعابين استخدم الصرا عتق في ضربهم وهزمهم جميعاً .

ثانياً — قتال الماكاراتا The Makarata fight : قتال الماكاراتا هو قتال شعائري لعقد الصلح بين طرفين متخاصمين . فإذا قامت إحدى العشائر بقتل فرد من عشيرة أخرى ، فإنها تنتظر بعض الوقت حتى تهدأ النفوس . ثم تبدأ الاتصالات بين الجانبين بعد ذلك لإقرار السلام وعمل معركة الماكاراتا . وبعد الانتهاء من المناوشات في هذا الشأن يتجه المحاربون من الجانبين ، وقد طلوا أجسامهم بالطين الأبيض ، إلى مكان المبارزة الذي تم الاتفاق عليه . ويقف كل جانب في مواجهة الآخر وبحيث تكون هناك غابة خلف كل جانب خوفاً من أن تنقلب الماكاراتا ، إلى قتال حقيقي ، فلا يحمدون ملجأ لهم يحتمون به .

وعند وصول الطرف الموتور إلى الساحة ، فإن أفرادهم يقومون بالرقص ، ويأشدون بعضاً من أغانيهم .

وبعد ذلك يتقدم الرجال الذين حرضوا القتلة على قتل القتل ويجرون في وسط الساحة في مواجهة أعدائهم بطريقة ملتوية . ويمسرى معهم في نفس الوقت اثنان من الرجال يمتنان إلى كلا الجانبين المتخاصمين بصفة القزابة .

ولاشك أن الهدف من وراء ذلك هو منسح أفراد الطرف الموتور من تعديد حرايمهم بشدة نحو المحرضين .

وبعد أن يقوم أفراد الجانب المعتدى عليه بنزع رؤوس الحراب التي يحملونها ، يتقدم كل واحد منهم ليلسد حربه نحو المحرضين الذين يجرون في الساحة . كما يقوم أفراد الجانب المعتدى عليه كذلك بتوجيه اللعنات إلى الجانب المعتدى . ولا يجوز في هذه الحالة القيام بالرد على الشتائم ، حيث أن ذلك يعتبر إساءة جديدة موجهة إلى الجانب المعتدى عليه .

وأخيراً ، وبعد أن تهدأ نفوس أفراد الجانب المعتدى عليه بعض الشيء ، يتقدم أحد المسنين منهم ويأمرهم بإيقاف رشق الحراب .

وبعد ذلك يدخل القنلة الساحة ويقومون بالجري فيها أمام أعدائهم . وعندئذ يقوم أفراد الجانب الموتور بقذف حرايمهم نحوهم . ويلاحظ أنهم لا ينزعون رؤوس حرايمهم كما هو الحال بالنسبة للمحرضين . ويعتبر قذف الحراب فترة من الزمن حتى تهدأ النفوس . وفي أثناء ذلك يقوم المسنونون من الجانب المعتدى عليه بنصح أتباعهم بالحذر حتى لا تصيب حرايمهم أحداً من أعدائهم . كما ينصح المسنونون ، من الجانب المعتدى ، أتباعهم بعدم الرد على الشتائم وكذلك بعدم قذف حرايمهم نحو أعدائهم .

وحينما يشعر المسنونون من الجانب المعتدى عليه أنهم قد أطفأوا نار غضبهم كجماعة ، فإنهم يأمررون أتباعهم بالكف عن رمي الحراب وتوجيه الشتائم . ويتلو ذلك رقص يقوم به الجانب المعتدى ، ثم ينتهي قتال الماكاراتا وبعد ذلك بقليل .

هذا ويهمننا أن نشير هنا إلى أن هذا النوع من القتال الشعائري لا يحقق الغرض المرجو منه في كثير من الأحيان . فقد يفلت الزمام من أيدي المسنين من المعتدين ، فيقوم أتباعهم بالرد على شتائم الجانب المعتدى عليه ؛ وعندئذ تتحول المعركة الشعائرية إلى معركة حقيقية .

وبعد حصوله على درجته الجامعية الاولى من جامعة هاواي سنة ١٩٣١ قام برحلة ثانية إلى اليابان . ومما لاشك فيه أن تلك الرحلة أيضا كان لها أثرها في بلورة أفكاره واتجاهه للنخوص في الانثروبولوجيا . كما أن زواجه سنة ١٩٣٢ من Billa Lury ، التي عاشت فترة من حياتها في بلاد اليابان ، يعتبر أيضا من العوامل التي أثرت في اتجاهه للدراسة الانثروبولوجيا وفي اختياره اليابان لتكون ميداناً لأبحاثه الحقلية .

وفي سنة ١٩٣٤ حصل إمبrey على درجة الماجستير في الانثروبولوجيا من جامعة تورونتو Toronto . ثم اتجه بعد ذلك إلى جامعة شيكاغو للدراسة في قسم الانثروبولوجيا بها . وهناك قابل عالم الانثروبولوجيا البريطاني الأستاذ راد كليف براون وتأثر به إلى حد بعيد (١) ، وكما يمتدح هو نفسه بذلك (٢) . وفي سنة ١٩٣٥ سافر إمبrey وزوجته إلى اليابان للقيام بإجراء

John F. Embree, *Suye Mura : A Japanese Village* (٢)
(The University of Chicago Press Chicago, Fifth Impression, 1950). p. p. XIX—XX.

(٣) في سنة ١٩٤٦ اعتزل الأستاذ راد كليف براون كرسي الانثروبولوجيا الاجتماعية بجامعة كنتورود . وتلميذاً له ، واعتزانا بفضل ، قامت مجموعة من العلماء بإخراج كتاب يضم مجموعة من بحوثهم . وكان جون إمبrey من بين الذين أسهموا بمجهودهم لإخراج ذلك الكتاب ، تقدم بحثاً بعنوان :

" American Military Government".

والعلماء الذين اشتركوا في إعداد ذلك الكتاب هم : د. ل. وودز ، ماجرنت ميد ، جريجوري باتسون ، مايز لورنس ، د. إ. إيفانز برنشتارد ، هايدرا ، فريد إيجات ، ماكس جليساكن ، ريموند ليرت ، د. ا. هوجين ، جون إمبrey . انظر .

Meyer Forter (Ed.), *Social Structure, Studies Presented to A. R. Radcliffe — Brown*, (Oxford. At The Clarendon Press. 1949).

الفصل الثاني عشر

سوهي مورا جون ف. إمبrey

اولا - حياته ومؤلفاته

ولد جون في إمبrey John Fee Embree في نيوهافن New Haven بالولايات المتحدة . وقد قضى مرحلة الطفولة في نيوهافن وهو تولى ونيويورك . وأثناء دراسته في مدرسة لنكولن Lincoln بمدينة نيويورك ، وهو في الثامنة عشر من عمره ، سافر مع والديه في رحلة إلى الصين واليابان . ومن هناك واصل رحلته وحده وطاف حول العالم . ولا شك أن مصادته للشعوب المختلفة في جنوب شرق آسيا ، أثناء تلك الرحلة ، كانت عاملاً هاماً بالنسبة لتقرير اتجاهه للدراسة الانثروبولوجيا في السنوات التالية (١) .

Alexander Spoehr, "John Fee Embree 1908—1980". (١)
Human Organization, vol., p. 38, spring, 1951.

The Japanese Nation, A Social Survey. Rhinehart, New York, 1945.

Japanese Peasant Songs. Philadelphia, American Folklore Society, 1944.

Suye Mura; A Japanese Village. (Chicago, University of Chicago Press, Fifth Impression, (1950).

وفي الصفحات التالية ، سوف نتناول بالدراسة بشيء من التفصيل بحثه الحقل
عن سوهى مورا باليابان .

دراسة الأنثروبولوجية الاجتماعية عن سوهى مورا . وقد قدمت جامعة شيكاغو
التعويل اللازم لإجراء ذلك البحث (١) .

وبعد حصوله على درجة الدكتوراه من جامعة شيكاغو سنة ١٩٣٧ ، نجد
أن نشاطه قد امتد إلى عدة ميادين . فلقد قام بالتدريس في جامعة هاواي
وجامعة شيكاغو وجامعة يال . وبعد احتلال الولايات المتحدة لليابان خلال
الحرب العالمية الثانية ، نجد أن إمبرى يترك التدريس في الجامعات ، ويتجه
لمعاونة القوات الأمريكية الموجودة هناك ويمدها بما لديه من معلومات عن
الشعب الياباني . كما اشتغل إمبرى أيضاً ملحقاً ثقافياً في بانكوك وسايجون
(١٩٤٧ — ١٩٤٨) . وفي سنة ١٩٥٠ عين مستشاراً (٥) لهيئة اليونسكو .
وفي سنة ١٩٥٠ أيضاً توفي إمبرى وهو يبلغ من العمر ٤٢ عاماً (٦) .

هذا ويهمننا أن نشير إلى أن إمبرى قد كتب كثيراً عن اليابان وهاواي . ومن
دراساته عن اليابان لذكر (٧) :

The Japanese. Smithsonian Institution, War Background
Studies, No 7, Washington, 1948.

(١) نشرت نتائج تلك الدراسة لأول مرة سنة ١٩٣٩ .

Fred Eggan, "John Pee Embree, 1908—1950," *American Anthropologist* vol. . p. p. 377—378, 1951.

(٦) في يوم الجمعة الموافق ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٥٠ ، كان إمبرى واهنة كابر Clare

ميران أحد الفوارخ تصدمتها سيارة ، وتوفى الإنسان على الفور .

(٧) لمسرد على قائمة بالكتب ولقائات والأحداث الإعلامية الخاصة بمحور إمبرى ،

يمكن التراجع الرجوع إلى :

Anna Pikelis, "John Pee Embree, Bibliography " ,
American Anthropologist, vol. p.p: 379—382, 1951.

١. انيا - لمحة عن سوهى مورا.

تقع قرية سوهى *Suye Mura* ، (٨) فى الجزء الشرقى من إقليم كوما *Kuma County* فى جزيرة كيوشو *Kyushu* ، باليابان (٩) .

وتبلغ مساحة القرية ٦١ ميل مربع ، وهى تتكون من ١٧ قرية صغيرة *buraku* . وبعض هذه القرى الصغيرة يقع فى سهل الارز ، فى حين أن البعض الآخر منها يقع فوق الجبل . وكل قرية صغيرة لها اسم خاص بها (١٠) .

وقد بلغ عدد السكان فى قرية سوهى ١٦٦٤ نسمة ؛ ويلاحظ أن نسبة الإناث (٥٢٦ ٪) تزيد على نسبة الذكور (٤٧٤ ٪) هناك (١١) .

(٨) « مورا *mura* » كلمة يابانية يمكن ترجمتها إلى الإنجليزية بكلمة *village* وإلى اللغة العربية بكلمة « قرية » . وتنقسم القرية *mura* فى اليابان إلى عدد من الوحدات الاجتماعية الأساسية *primary social units* ، يطلق على كل منها باللفظ اليابانية كلمة *buraku* « بوراكو » ، أى *hamlet* بالإنجليزية ، و « قرية صغيرة » باللفظ العربية .

وتوجد فى كل قرية *mura* منظمات *organizations* تعمل على تنمية التماسك بين « القرى الصغيرة » . ومن هذه المنظمات مذكر ، مكتب القرية ، مدرسة القرية ، للبدن البوفى ، مزار الشتو ، والجمعية الزراعية . وكل قرية *mura* لها رئيس منتخب لمدة أربع سنوات ، كما أن كل « قرية صغيرة *buraku* » لها رئيس منتخب لمدة سنتين تقريباً .

Suye Mura, p. 14 (٩)

Ibid, p. 24 (١٠)

Ibid, p. 68 (١١)

والمنازل تبنى من الخشب ، وقد بلغت جملتها ٢٨٥ منزلاً . ويتكون المنزل العادى من طابق واحد فقط يوجد به حوالى ثلاث حجرات (١٢) .

ويلاحظ أن المطبخ يوجد داخل المسكن ، أما المراض والحمام ومخزن الارز والاسطبل والفرن ، فإنها جميعاً توجد خارج المسكن . والآلات الموجودة بالمنزل قليل جداً ، كما أن أفراد الأسرة يأكلون وينامون على أرض الحجرات المفروشة بالحصير المصنوع من القش (١٣) . ويوجد فى كل مسكن لتيجه *Calendar* لمعرفة الأيام وصناعة كبيرة لمعرفة الوقت .

وتتكون الأسرة من الزوج (رب الأسرة) والزوجة ، والابن الأكبر وزوجته ، وأبناء رب الأسرة غير المتزوجين ، وأبناء الابن الأكبر غير المتزوجين . وعلاوة على ما تقدم ، فقد يعيش فى المنزل أيضاً والد رب الأسرة ووالدته . وفى بعض الأحيان قد توجد أخت (هجرت زوجها) لرب الأسرة أو لإخوة صغار غير متزوجين . وفى بيوت الأغنياء من أهالى القرية تشتمل الأسرة أيضاً على خادم وخادمة (١٤) . والأسرة هى الوحدة الاجتماعية الأساسية فى حياة القرية الصغيرة *buraku life* . فالاشتراك فى المناسبات التى تحتاج إلى التعاون بين الإهالى (مثل بناء الكبارى وإصلاح الطرق والمخنازات) إنما يتم تنظيمه على أساس عدد الأسر بالقرية ، وليس على أساس كل رأس بها .

والارز هو المحصول الرئيسى فى القرية ، كما أنه هو الغذاء الأساسى كذلك (١٥) .

Ibid, p. 90 (١٢)

Ibid p. 92. (١٣)

Ibid, p. p. 79-80 (١٤)

Ibid, p. p. 37-38 (١٥)

ويرزق الأهل أيضاً القمح والقمح والشعير والفجل والبطاطا والبقول والقمح . كما توجد هناك أيضاً أشجار الخوخ والكمثرى والتفاح والخيزران .
وتعتبر قرية دودا من أهم عناصر الاقتصاد الزراعي هناك (١٦) .
كذلك يرى الأهل الأحسن والبقر والماعز والخنازير والسمك والارانب .
وما تميز الإشارة إليه هنا أن الأهل يرون أن البن شيء قذر ، ومن ثم فإنهم لا يقدمون على شربه إلا بناء على نصيحة من الطبيب المعالج (١٧) ١١

والغالبية العظمى من أهالي القرية تشتغل بالزراعة (١٨) ، ولكن يوجد إلى جانب ذلك أصحاب من أخرى كالمدرس ورجل الدين والتجار والحجار والحلاق (١٩) وصانع الكعك والناية . . . الخ .

وبالنسبة للأديان في القرية، فهناك ، البوذية Boddism ، والشنتو Shinto ، ومن ثم فإن القرية يوجد بها ، معبد بوذي Buddist temple ، و د مزار لشنتو Shinto shrine ، (٢٠) .

ويوجد بالقرية مدرسة حكومية تقبل التلاميذ من جميع القرى الصغيرة . والمواد التي تدرس هناك هي اللغة اليابانية والتاريخ والأخلاق والزراعة ومبادئ العلوم . ولا شك أن المدرسة تعتبر عنصراً هاماً من عناصر توحيد القرية .

Ibid, p. 39 (١٦)

Ibid, p. 44 (١٧)

Ibid, p. 50 (١٨)

(١٩) يلاحظ أن حلال القرية يشتغل بالزراعة ملاوة على عمله بالحلاقة فكأنه كما أن

رجل الدين اليوناني يشتغل بالزراعة ملاوة على عمله كرجل دين .

Ibid, p. 221 (٢٠)

التلاميذ يخدمون إليها من مختلف القرى الصغيرة ، ويقضون بها فترة ٦ سنوات تنقضي خلالها بينهم صلات اجتماعية (٢١) .

ويعتبر التعاون من السمات الرئيسية للحياة الاجتماعية في القرية . فالأهل يتعاونون فيما بينهم في مواقف عديدة مثل بناء الكبارى وعمود الطرق والحفلات وبناء المنازل والفيضان والوقاة والحريق .

ويوجد بالقرية عدد من الهيئات نذكر منها : جمعية الشبان ، والجمعية الوطنية للسيدات ، و جمعية رجال إطفاء الحريق ، و نادى الرماية ، و الجمعية الزراعية .

والقرية رئيس يدير شئونها بمعاونة عدد من الموظفين . ومقر رئيس القرية هو مكتب القرية . . ويختص هذا المكتب بجمع الضرائب من الأهالي وتسجيل الإحصاءات المختلفة عن السكان مثل المواليد والوفيات والزواج والتمني والجرعة (٢٢) . . . الخ .

ويوجد بالقرب من قرية سومي مدينتان هما مدينة مندا Menda ، و مدينة تاراجي Taragi . والأهل ينهبون إلى هاتين المدينتين لبيع الخضروات والخشب اللازم للوقود . كما أنهم يتوجهون إلى هناك أيضاً لشراء الأدوات اللازمة للزراعة والأقشة والأحذية والمدايا (٢٣) .

Ibid, p.p. 65-66 (٢١)

Ibid, p.p. 60-62 (٢٢)

Ibid, p. 21 (٢٣)

ثالثا - الغرض من الدراسة

يذكر لنا جون إمبى أن هذا الكتاب هو عبارة عن محاولة لتقديم دراسة اجتماعية متكاملة عن إحدى القرى في الريف الياباني (٢١). كما يذكر لنا أيضا أن هذه القرية (٢٢) لا تعتبر نملة تمثيلا كاملا للريف الياباني ؛ وإنما يمكن القول بأنها تمثله من عدة وجوه :

١ - إن أكثر القرى في اليابان تعتمد - من الناحية الاقتصادية - على محصول واحد مثل الارز والسمك وذود الحرير . وبالنسبة للقرى التي تقع على الجبال فإنها تعتمد على الحطب الخام المقطوع من الغابات وغير ذلك من المنتجات الجبلية .

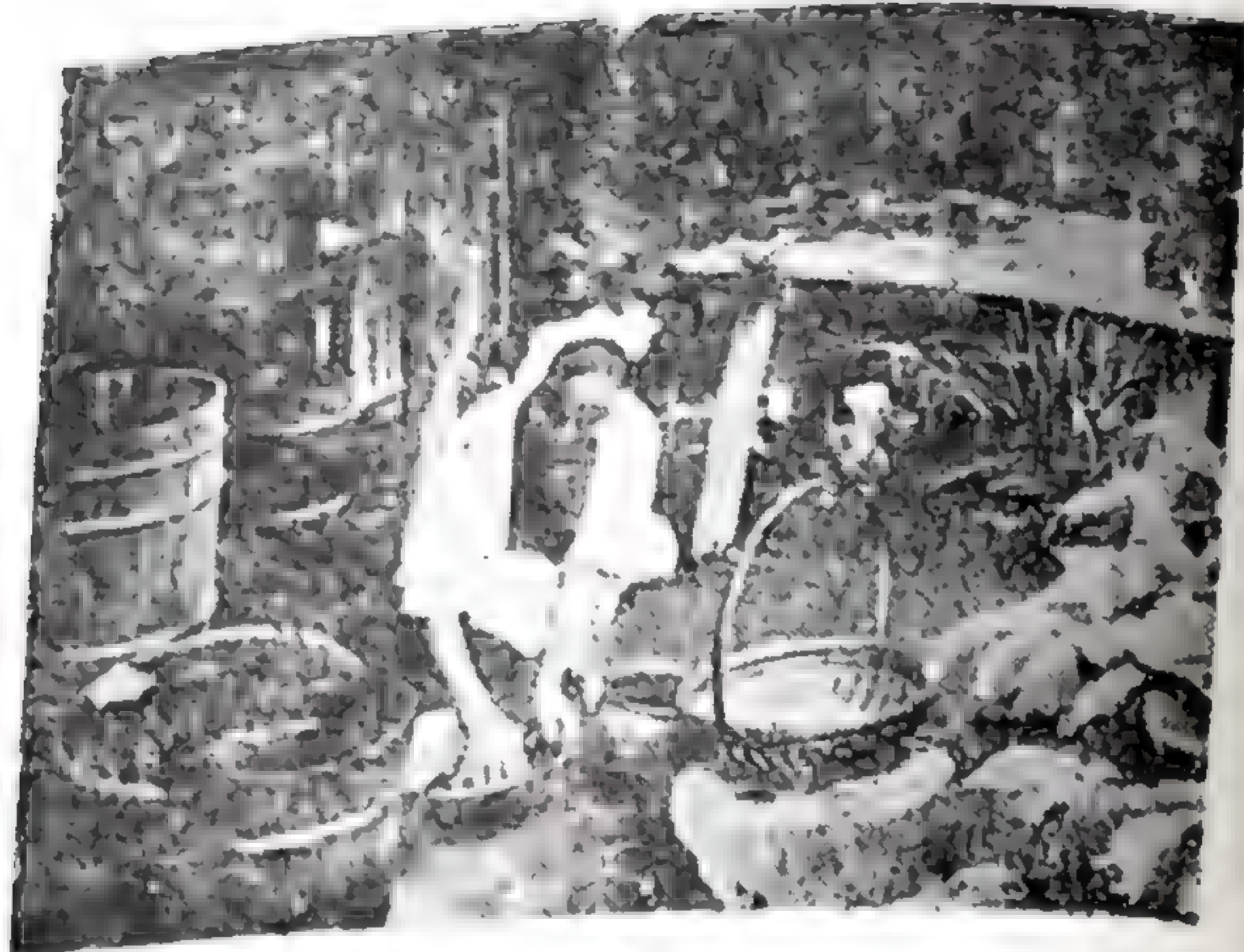
ومن هذه الناحية فإن سومي - التي تعتمد على زراعة الارز كحصول رئيسي وعلى تربية ذود الحرير كمصدر ثانوي للدخل - تعتبر نملة لكثير من القرى في الريف الياباني (٢٣) .

٢ - يتسم الريف الياباني بوجود مدن صغيرة تتناثر في أرجائه ، وتحيط بكل منها مجموعة من القرى . ونظرا لموقع المدن على خطوط السكك الحديدية ، ولوجود دكاكين كثيرة بها ، فإنها تمتد سكان القرى المحيطة بها بما يحتاجون إليه من البضائع المصنوعة . وعلاوة على ما تقدم ، فإنها تهيء لهم أيضا فرص المهور وبصفة خاصة في بيوت الجيشا التي تعد من أهم أماكن التسلية هناك . أما القرية ،

Ibid, p. xv. (٢١)

(٢٢) قرية سومي .

Ibid, p. xv. (٢٣)



صورة رقم ٥١/
امرأة تعد طعاما



صورة رقم ٥٢/
ربة المنزل تجلس أمام ضيوفها أثناء إحدى الولائم

فإنها تقدم للبلدية الطعام وكذلك العملاء الذين يشترون البضائع من الدكاكين الموجودة بها . وفضلا عن ذلك فإن فتيات الجيشا يأتين من الريف أيضا .

ومن هذه الناحية كذلك ، تعتبر قرية سوهي ممثلة لأغلب القرى في الريف الياباني . فهي قرية ضمن مجموعة من القرى تقع حول مدينتين صغيرتين هما مدينة Menda ، ومدينة Taragi ، (٢٧) .

٣ — إن النظم الرئيسية في المجتمع الريفي الياباني — مثل نظم التعاون بين الأهالي ، وتبادل العمل ، ووجود تقويم ديني يربط ارتباطا وثيقا بمواسم الزراعة هناك — تكاد تكون واحدة في مختلف أرجاء اليابان ، وإن كانت هناك اختلافات محلية من ناحية اللغة والعادات .

ومن هذه الناحية أيضا ، تعتبر قرية سوهي ممثلة لكثير من القرى في الريف الياباني . فقد أوضحت الدراسة الميدانية أن القرية توجد بها نماذج مختلفة للتعاون وتبادل العمل ، كما أن الأهالي لديهم تقويم ديني يرتبط ارتباطا وثيقا بمواسم الزراعة هناك .

رابعاً - ملاحظات عن كيفية إجراء البحث

١ - كنية اختيار القرية : (٢٨) بعد وصول إمبى إلى اليابان قام بزيارة بعض المسئولين في وزارة الخارجية لشرح أهداف البحث وللحصول على تصريح للقيام بإجرائه في الريف الياباني . كما قام كذلك بزيارة بعض أساتذة الجامعة لاستشارتهم وللحصول على بعض المعلومات منهم . بعد ذلك تمت زيارة ٢١ قرية لاختيار قرية واحدة من بينها تصلح لإجراء الدراسة الميدانية بها . وأخيراً وقع الاختيار على قرية « سوهى » (٢٩) للأسباب الآتية :

Ibid. p.p. xvii—xviii (٢٨)

(٢٩) يلاحظ أن جون إمبى قد ذكر لنا صراحة اسم المجتمع الذى قام بدراسته ، وهذا ما فعله الكثير من علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية مثل ساجمان (قبائل جنوب السودان) ومالينوسكى (جزر التروبراند) ورادكليف براون (جزر الأندمان) وروبرت فريت (ميكرونيا) ومارتن بايج (تايوان) وهوبى (شامبيرت) . وجدير بالذكر أن بعض العلماء لم يذكروا لنا صراحة الأسماء الحقيقية للمجتمعات التى قاموا بدراستها ، واكتفوا بذكر أسماء مستعارة أطلقوها عليها . ومن الأمثلة على ذلك ذكر « روبرت لندويلين لند » فى « ميدلتاون » و « وورنر » و « لاؤ » فى « يانجى - سى » وفى « جوتربل » ، و « هارى » ، « تيرنى هاى » فى « شاتو جيرارد » ، و « أوجيست ب. مولترمد » فى « إلتاون » ، أنظر :

Robert Lynd and Helen M. Lynd, *Middletown* (1929); W. L. Warner and Associates, *The Yankee City Series*; W. L. Warner And Associates, *Democracy in Jonestown* (1949); H. Turney-High, *Chateau-Gerard*, (1953); August B. Hollin-
shead, *Elmtown's Youth*, (1947).

١ - تعتبر القرية صغيرة نسبياً ؛ بمعنى أنه يصبح من الناحية العملية فى إمكان شخصين اثنين فقط القيام بإجراء الدراسة المحلية هناك .

٢ - لا تختلف معالم قرية سوهى عن معالم غالبية القرى فى اليابان ؛ فهى :

١ - تعتمد على زراعة الارز .

ب - ليست غنية بدرجة كبيرة ؛ ولا فقيرة بدرجة ملفنة .

ج - ليست قرية نموذجية .

د - ليست قريبة جداً من أية مدينة كبيرة .

٣ - تقع قرية سوهى بعيداً عن أية منطقة عسكرية ، ولذلك فإن الدراسة المحلية لم تكن موضع شك من جانب السلطات العسكرية .

٤ - التمويل : قامت لجنة البحوث الاجتماعية بجامعة شيكاغو بتقديم منحة مالية لهذا الغرض .

٥ - مدة الدراسة المحلية : أجريت الدراسة المحلية خلال عامى ١٩٣٥ و ١٩٣٦ ، واستغرقت سنة ونصف . هذا ويذكر لنا إمبى أنه وزوجته (٣٠)

(٣٠) من دراستنا لتاريخ الأنثروبولوجيا الاجتماعية بين لنا أن الكثير من العلماء قد اتجهوا وحدهم إلى مجتمع البحث ، ولماوا بدراسة من جوانب مختلفة دون الاتجاه إلى نظام بحث الفريق . ومن الأمثلة على ذلك نذكر رادكليف براون (الأندمان) ، مالينوسكى (التروبراند) ، وورنر (اللونجن) ، روبرت ريدل (نيوزيلان) .

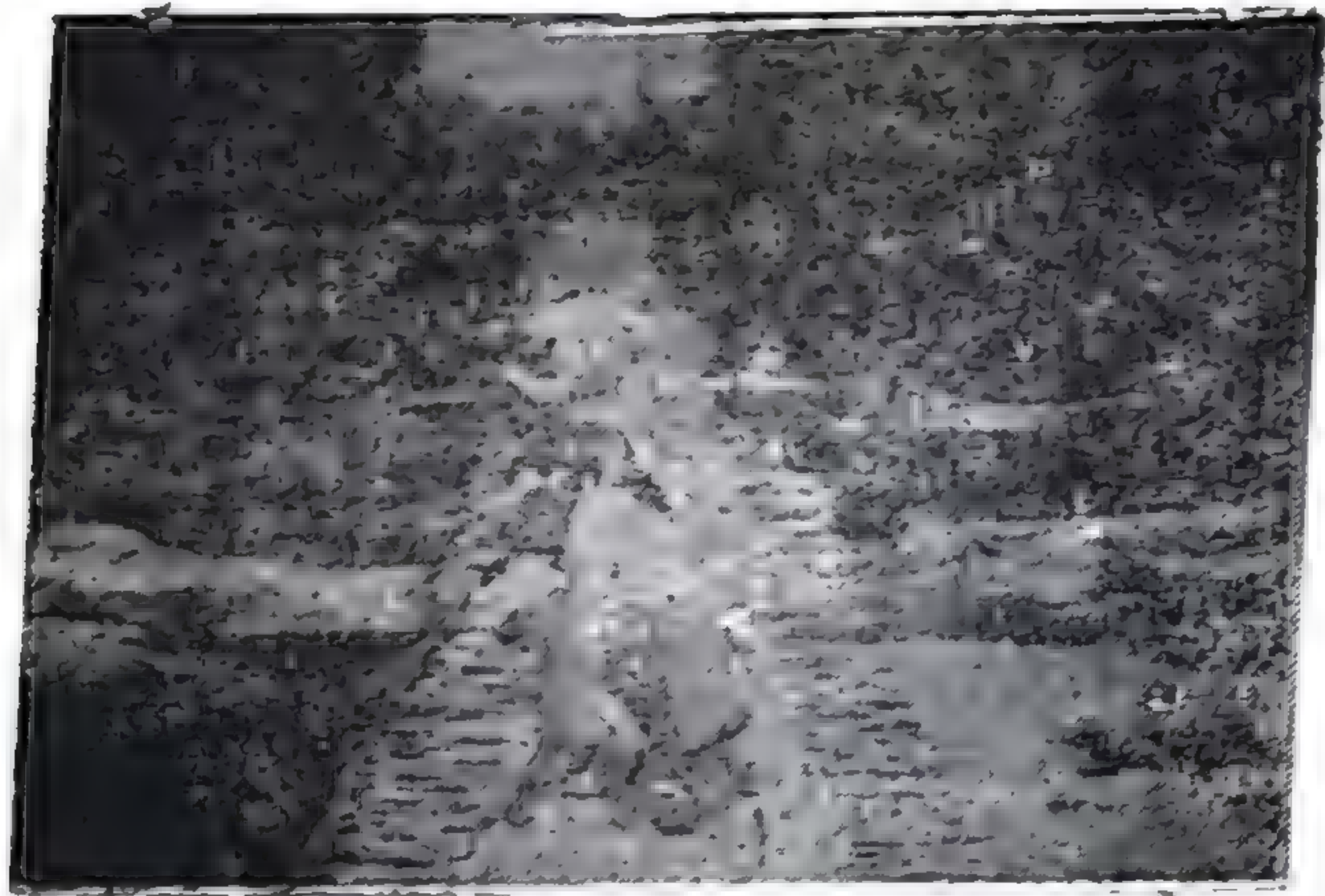
كما يتبين لنا أيضاً أن بعض العلماء قد اتجهوا إلى نظام بحث الفريق منه ليأهم بأبحاثهم المحلية فى المجتمعات الريفية والحضرية . ومن الأمثلة على ذلك نذكر :

أ - الدراسة المحلية فى قرية شامبيرت بولاية حيدر آباد بالهند : كان دوى مديرا =



صورة رقم ٥٣/

زوجة أحد الفلاحين وهي ترتدى ملابس الشغل ، الخاصة بالجو الحار



صورة رقم ٥٤/

مجموعة من أهالي القرية وهم يتعاونون لبناء كوبرى

قد قاما بزيارة اليابان عدة مرات قبل القيام بإجراء البحث الميداني في قرية
سرمي (٣١) .

٤ - وسائل جمع البيانات : تدلنا الدراسة على أن إمبرى وزوجته (٣٢)
قد اعتمدا على أكثر من وسيلة لجمع المادة اللازمة للبحث ؛ ومن الأمثلة على ذلك
تذكر :

١ - الرجوع إلى ماكتب عن المنطقة .

ب - الإقامة بالقرية والاعتماد على الملاحظة وتوجيه الأسئلة . وحيث
أن إمبرى لم يكن يجيد التخاطب باللغة اليابانية ، فقد اعتمد على أحد خريجي

البحث ، واشترك معه في تلك الدراسة قرأل من الباحثين يمثل ستة كليات بجامعة فثانيا .
وهذه الكليات هي : الآداب ، الطب ، الهندسة ، الزراعة ، الطب البشري ، التربية . أنظر :
S. C. Dube, *Indian Village*, (1965), p. p. 13-14.

ب - الدراسة المنطقية في « جوتزفيل » بالولايات المتحدة ؛ كان وورنر مدير البحث ،
واشترك معه في تلك الدراسة فريق يضم علماء من تخصصات مختلفة مثل الأنثروبولوجيا
الاجتماعية وعلم النفس ، وعلم النفس التربوي : أنظر :

W. L. Warner and Associates, *Democracy In Jonesville*
(Harper & Brothers, 1949), p. p. 301-302.

Ibid, p. xvii (٣١)

(٣٢) من العلماء الذين اشركوا زوجاتهم معهم في أبحاثهم أيضا تذكر دورث لند
وريسوند فيرث . ويرى فيرث أن وجود زوجته معه ، أثناء فترة الدراسة المنطقية لصيادين
في بلاد الملايو ، قد مكّنه من دراسة المرأة للعمل هناك . أنظر :

R. S. Lynd and Helen M. Lynd, *Middletown* (1929) ; Raymond
Firth, *Malay Fishermen : Their Peasant Economy* (1946),
p. p. 313-314.

مدرسة طوكيو للغات ليقوم بالترجمة له. ويذكر إمبى أن المترجم كان يلزمه ليلا ونهارا طوال فترة البحث الميداني (٣٣). أما زوجة إمبى ، فإنها كانت تتحدث اليابانية بطلاقة (٣٤). هذا ويشير إمبى إلى أن صلته هو وزوجته بأهالى القرية كانت ودية للغاية ؛ وقد نشأت صداقات قوية بينها وبين الكثير من الأسر هناك (٣٥).

ح - وسائل الايضاح : يشتمل الكتاب على مجموعة من الصور الفوتوغرافية والأشكال والخرائط . ولا شك أن ذلك كان له أثره بالنسبة لتوضيح الدراسة وتدعيمها .

• • •

ومما يلفت النظر حقا أن إمبى قد عرض لنا وسائل جمع البيانات التى تم الاعتماد عليها أثناء فترة البحث بشئ من الإيجاز ؛ بل إنه قد تركنا فى ظلام تام بالنسبة لبعض النقاط . ونحن إذ قارناه ، فى هذه الناحية ، بغيره من علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية من أمثال ب . مالينوسكى (٣٦) وريموندفيرث (٣٧)

Ibid, p. xix (٣٣)

Ibid, p. xvii (٣٤)

Ibid, p. xix (٣٥)

B. Malinowski, *Argonauts of The Western Pacific* (٣٦)

(New York. E. P. Dutton & Co., Inc., 1961), p.p. 1—25

R. Firth, *We, The Tikopis* (London, George Allen (٣٧)

& Unwin LTD, Museum Street, 1957) p.p. 1—12.

و. ل. وورنر (٢٨) فسوف نجد اختلافا كبيرا . فثلا نحن لا نجد عرضا
للمعروفات التي واجهت البحث ، وكيفية التقلب عليها . كما نلاحظ أيضا أن
إمبري عند دراسته للطبقات الاجتماعية بالقرية (٢٩) لم يوضح لنا حجم كل
طبقة ، وبالتالي فنحن لا نعرف ما إذا كان توزيع السكان هناك يمتثل والشكل
المري أم لا . كذلك نحن لا نجد أية إشارة إلى المقاييس التي تم الاعتماد عليها
لتقسيم المجتمع إلى ستة طبقات اجتماعية ، كما فعل ، وورنر ، و د هونزهد ،
عند دراستها للطبقات الاجتماعية في المدينة الأمريكية (١٠) .

W.L. Warner & Paul S. Lunt, *The Social Life of* (٢٨)
A Modern Community (New Haven, Yale University Press,
1955), p. p. 38-75.

Says Mura, p.p. 158-163. (٢٩)

W. L. Warner and Associates, *Social Class In* : أطل : (١٠)
America (1957.) ; A. B. Hollingshead, *Elmwood's Youth*
(1947).

خامسا - نشر نتائج الدراسة

أشرنا من قبل إلى أن البحث الميداني في قرية سو هي قد أجري خلال عامي
١٩٣٥ و ١٩٣٦ ؛ وقد نشرت نتائج تلك الدراسة لأول مرة سنة ١٩٣٩ (١١) .

ويتكون الكتاب من تقديم Introduction كته أ . ر . راد كليف براون ،
ومقدمة Preface كتبها جون إمبري ، وثمانية فصول . فضلا عن ذلك
فهناك عدة ملاحق وقائمة بالكتب والمقالات ثم دليل index في نهاية الكتاب .
وتحتوي المقدمة التي كتبها جون إمبري على وصف للظروف التي أحاطت
بإجراء البحث مثل الغرض من البحث ، الأسباب التي أدت إلى اختيار قرية
سو هي ومدى تمثيلها للريف الياباني ، مدة البحث الحقل ، التمويل ، وسيلة
التخاطب مع الأهالي .

وفي الفصل الأول نجد عرضا موجزا لبعض جوانب تاريخ اليابان في العصر
الحديث مثل نظام الحكم ، الطبقات الاجتماعية ، المهن ، الأديان ، حالة الفلاحين ،
أثر الحضارة الغربية على اليابان .

ويشتمل الفصل الثاني على دراسة للتنظيم في القرية ، أما الفصل الثالث فهو
يشتمل على دراسة للأسرة والتبني والمسكن والمناسبات الخاصة بالأغاني

(١١) اعتمدنا في عرض الكتاب على الطبعة الخامسة التي ظهرت سنة ١٩٥٠ ، وهي
تقع في ٣٥٤ صفحة . أطل :

John F. Embree, *Says Mura : A Japanese Village* (The
University of Chicago Press, Chicago, Illinois, Fifth Impression,
1950).

والحنلات . ويتناول الفصل الرابع الدراسة العمود المختلفة للتعاون القائم بين
أعمال القرية . ومن الأمثلة على ذلك تذكر التعاون لتمديد الطرق والتعاون لبناء
الكبارى والتعاون لمواجهة الكوارث . ويحتوى الفصل الخامس على دراسة
الطبقات الاجتماعية بالقرية وكذلك الهيئات الاجتماعية بها . ويشتمل الفصل
السادس على دراسة لتاريخ حياة الفرد في المجتمع . ويتناول الفصل السابع
بالدراسة الذين في القرية ؛ أما الفصل الثامن فقد خصص لدراسة التغير
الاجتماعى بها .



صورة رقم ٥٥
صانع الكمك

سادسا - عرض لبعض نتائج الدراسة

(١)

التبني

إذا تزوج أحد الرجال بالقرية ، ولم تتجب له زوجته ذرية ، فإنهما يتجهان إلى تبني أحد الأولاد الصغار . وبما هو جدير بالذكر أن قرية سوهي يوجد بها عدد كبير من الأسر التي لم تتجب أطفالا ، ونتيجة لذلك فإن عادة التبني تنتشر بين الأسر هناك .

والواقع أن هناك عوامل مختلفة كان لها أثرها في انتشار عادة التبني بالقرية نذكر منها :

١ - الرغبة الشديدة ، من جانب الأسرة ، لتخليد اسم الأسرة
Family name ، والمحافظة على الألواح الخشبية الخاصة بالأسلاف (٢)
.ancestral tablets

٢ - الحاجة إلى وجود ابن يعيش مع الأسرة في المنزل، ويقدم لها المساعدة في مرحلة الشيخوخة .

٣ - إصابة ابن الأسرة بمرض لا يرجى شفاؤه ؛ ومن ثم فإن الأب يتبنى غلاما حتى يكون في أمان إذا مات وفي الابن المريض .

(٢) بدو نداء أحد الرجال بالمنزل ، فإن السكان البوذى يطلق عليه اسما جديدا
a posthumous name . ثم تقوم أسرة المتوفى بكفالة هذا الاسم على لوحة خشبية
تحتفظ بالمنزل مع بقية الألواح الخشبية الأخرى الخاصة بالأسلاف . ويجب على الابن أن يحافظ
على هذه الألواح الخشبية .

٤ — اقتضار الزوجة على إنجاب البنات فقط. هذا ويلاحظ أن الزوج يتجه في الأغلب إلى تبني ابن أخيه أو ابن أخته. وإذا كان للزوج أخ أصغر منه سنا، فإنه يتبناه. وفي هذه الحالة يعيش الأخ الأصغر سنا مع أخيه الأكبر سنا على أنه ابن له.

وبصفة عامة يلاحظ أن الأسرة ترغب في توافر شروط معينة في العصبى المراد تبنيه. ومن هذه الشروط نذكر ارتباط العصبى بالأسرة بصفة القرابة، الصحة الجيدة، الجد في العمل، احترام كبار السن، صغر السن (١٤).

وبما يجدر الإشارة إليه في هذا الشأن أن الأسرة لا تسمح لأسرة أخرى بأن تأخذ ابنها الأكبر سنا لتبنياه إلا في حالات قليلة مثل الفقر أو وجود صداقة متينة تربط بين الأسرتين. والشائع في مجتمع القرية أن الأسرة لا تمنع في السماح بتبني الأولاد الذين يكون الابن الأكبر سنا.

وإذا ماتم الاتفاق على التبني، فإن الوالد الحقيقي للعصبى *the real father* والوالد المتبني *the adoptive father* يتبادلان أقداح *Shocho* (١٤).

أما من الناحية القانونية، فإنه يلزم أن يقر ما ينقل اسم العصبى من السجل الخاص بوالده الحقيقي إلى السجل الخاص بالآب المتبني (١٥).

والوالد المتبني يحمل اسم الرجل الذي تبناه *the adopter* ويعيش معه في مسكن واحد؛ كما أنه يعتنق مذهب البوذي أيضا. وعلاوة على ما تقدم، فإنه — عادة — يرثه بعد مماته.

(١٣) يفضل الأهالي تبني الولد الذي يتراوح عمره بين ١٠ و ١٢ سنة على الولد الذي يبلغ من العمر ١٥ أو ٢٠ سنة.

(١٤) نوع من الخمر يصنع من الأرز.

(١٥) لكل أسرة سجل خاص بها لي مكنب القرية.

وبما يجدر الإشارة إليه أن الولد — بعد انتقاله إلى مسكن الأسرة الجديدة — لا يقطع صلة بأسرته. فهو يحضر أفراحهم ومآتمهم. كما أنه يهرع لخدمتهم في حالة نشوب حريق بالمنزل، وكذلك في أوقات الفيضانات.

والعلاقة بين الآب المتبني والولد المتبني ليست علاقة أبدية؛ بل إنه يمكن فصلها في أي وقت من الأوقات. ومن ثم فإن التبني لا يجعل عقب إتمامه مباشرة، في سجلات الأسر بالقرية. لأنهم ينتظرون فترة من الزمن (سنة أو أكثر) حتى يتأكدوا من نجاح العملية، وحتى لا يكلفوا أنفسهم مشقة تسجيل فسخ التبني في سجل الأسرة بمكتب القرية.

(٢)

الزواج

أوضحت الدراسة أن أهالي قرية سو هي ينفرون من العزوبة، ويميلون إلى الزواج وتكوين أسر خاصة بهم. والواقع أنه لا يوجد هناك من البالغين من يعيش بلا زواج إلا قلة ضئيلة جدا (١٦).

وفي حالة وفاة الزوج، فإن أرملته في أغلب الأحيان تزوج أخاه الأصغر سنا. كذلك إذا توفيت الزوجة، فإن زوجها الأرمل كثيرا ما يتجه إلى الزواج من شقيقته التي تعمرها سنا. وإذا أنجبت المرأة ابن ذى *bastard*، نتيجة لعلاقة غير شرعية بينها وبين أحد الرجال، فإنها لا تزوج إلا رجلا أرملا بعد ذلك.

وينتشر زواج بنت العم بين الأسر في القرية، وإن كانت الفتاة المتعلمة هناك تبدي مخاوفها منه، وتعرض عليه بحجة أنه يضار من الناحية البيولوجية (١٧).

ومن الأمور المألوفة في القرية أن يتزوج الفتى بعد مرور فترة عام أو عامين على انتهاء فترة الخدمة العسكرية الإلزامية. ومن ثم فإن السن عند الزواج بالنسبة للفتى يكون عادة ٢٣ أو ٢٤ سنة. أما الفتاة فإنها عادة تزوج عندما تبلغ من العمر ١٧ أو ١٨ سنة (١٨).

وعندما ترى الأسرة أنه قد آن الأوان لفتاتها أن يتزوج، فإنها ترجعوا أحد الأصدقاء أن يبحث لها عن فتاة تصلح زوجة لولدهم. ويطلق الأهالي على الشخص الذي يقوم بهذه المهمة السرية اسم «المكتشف السرى».

وبعد أن يتم العثور على الفتاة المنشودة، توضع خطة لتدبير لقاء بين الفتى والفتاة حتى يرى كل منهما الآخر. ويلاحظ أن الأهالي لديهم حرج كثيرة يبدونها في مثل هذه المناسبات. فقد تطلب أسرة الفتى من أسرة الفتاة، مثلاً، أن تسمح لها بزيارتها لمشاهدة دود الحرير الموجود عندهم بالمنزل. وعندما يتوجه الفتى — بصحبة والده — إلى هناك، تقوم ابنة رب الأسرة، التي تقوم بتربية دود الحرير، بالشرح لهما. وطبعاً تكون هذه الفتاة هي الفتاة المنشودة (١٩).

بعد ذلك يؤخذ رأى الفتى ورأى الفتاة في المشروع. فإن أبدى أحد الطرفين اعتراضاً، فإن الأمر ينتهي عند هذا الحد. أما إذا وافق الطرفان،

Ibid, p. 88 (١٧)

Ibid, p. 103 (١٨)

فإن الأمور تسير بعد ذلك في طريقها التقليدي. فإذا كانت أسرة الفتاة تعيش في قرية أخرى، فإنها تجد في العززال سرا عن أسرة الفتى لمعرفة أحوالها الاجتماعية والاقتصادية والصحية. كذلك تقوم أسرة الفتى، في نفس الوقت، بالسؤال سرا عن أسرة الفتاة (٢٠).

وبعد الانتهاء من هذه الخطوات التمهيديّة السرية، تقوم أسرة الفتى باختيار وسيط رسمي official go-between، تكون مهمته الإشراف على سير المفاوضات بين أسرة الفتى وأسرة الفتاة. وقد جرت المادة على اختيار الوسيط الرسمي من بين الشخصيات البارزة في مجتمع القرية مثل رئيس القرية أو أحد ملاك الأراضي الأثرياء.

وإذا ماتم الاتفاق بين الأسرتين على الزواج، فإنها تقومان بتحديد يوم مناسب للزفاف.

وفي اليوم المحدد للزفاف، تتوجه العروس — بصحبة أسرتها — إلى منزل العريس في «أتوبيس» خاص يتم استئجاره لهذا الغرض. كما يتم نقل أمتعة العروس على إحدى عربات نقل البضائع (٢١). وبعد وصول العروس إلى منزل العريس، تقام حفلة كبرى يحضرها الكثير من أهالي القرية والأقارب، وتستمر حتى قرب منتصف الليل (٢٢).

وبعد مرور ثلثه أيام على الزفاف، يرتدى كل من العريس والعروس ألبساً حلة، ثم يتوجهان إلى منزل الوسيط الرسمي لتقديم هدية قيمة له (٢٣).

Ibid. p. 204. (٢٠)

Ibid, p. 207 (٢١)

Ibid p. 209 (٢٢)

Ibid, p. 210 (٢٣)

وجدير بالذكر أن الصلة بين الوسيط الرسمي والعروسين تظل وثيقة بعد الزواج؛ وهو دائماً كثير التردد عليهما لمشاركتها الأفراح والأحزان. ففى كل حفلة، تسمية الطفل المولود، تدعى الأسرة الوسيط الرسمي لحضور الحفلة. كما أنه يحرم من جانبه على الحضور إلى منزل الأسرة في حالة وفاة أحد أفرادها. وإذا حدث خلاف بين الزوج وزوجته، فإنه يتدخل لتسوية الأمور بينهما. كذلك بالدخول الوسيط لإعادة المياه إلى مجاريها إذا ما هجرت الزوجة منزل الزوجية، وهى غاضبة، واتجهت إلى منزل أسرتها للإقامة هناك. وإذا فشلت الجهود لإصلاح الأمور، وأصبح من الواضح أن هناك استحالة في التوفيق بين الزوجين المتخاصمين؛ فإنه يبذل قصارى جهده لإتمام الانفصال بينهما في هدوء تام.

(٣)

زواج التجربة^(١)

وعلاوة على نمط الزواج العادى الذى تحدثنا عنه في قرية سوهي، فإنه يوجد هناك أيضاً نمط آخر من الزواج يطلق عليه "زواج الثلاثة أيام"،^(٢)

فالفتاة تتوجه في يوم معين، إلى منزل أسرة العريس ومعهما بعض الهدايا من الكمك والخمر. ويصحبها عند ذهابها إلى هناك والدها ووالدتها وإحدى

Ibid, p. 211. (١٤)

(١٥) هذا النمط من الزواج يمارس بكثرة في مقاطعة كوما التي توجد بها قرية سوهي.

قريباتها؛ وفي بعض الأحيان يذهب معها أيضاً الوسيط الرسمي وحرمه.

وتقيم الفتاة في منزل أسرة العريس مدة ثلاثة أيام، ثم تعود بعد ذلك إلى منزل أسرتها ثانية.

فإذا كانت أسرة الفتى قد أحست بالرضى والارتياح من ناحية الفتاة أثناء إقامتها معهم بالمنزل، وتأكد لها، بعد التشاور مع أسرة الفتاة، إمكان قيام الحياة الزوجية بنجاح، فإن الزواج يتم بعد ذلك.

أما إذا لم ترض أسرة الفتى عن الفتاة، فإن الأمور تنهى عند هذا الحد، ويستحيل إتمام الزواج بعد ذلك حتى ولو كان الفتى والفتاة يرغبان في ذلك.

وعما هو جدير بالملاحظة أن أهالى القرية يرون أن فشل زواج التجربة ليس من شأنه أن يسبب الكثير من الشعور بالحرج لآى من الطرفين. ذلك أن الفتاة، عند ذهابها إلى منزل أسرة عريسها لأول مرة تتوجه في هدوء تام ودون أن ترتدى ملابس خاصة أو تقوم بتعريض شعرها كالمعتاد عند الزواج العادى.

(٤)

صور من التعاون

يعتبر التعاون بين الأهالى من الملامح البارزة للحياة الاجتماعية في القرية الصغيرة Buraku. فقد أوضحت الدراسة الميدانية أن الأهالى يتعاونون فيما بينهم في مناسبات عديدة نذكر منها: إصلاح الطرق، بناء المنازل، الحفلات،

وكذلك في حالات الكوارث مثل الحريق والفيضان والوفاة . وفيما يلي عرض موجز لبعض هذه الصور من التعاون :

١ - التعاون لإصلاح الطرق (٥٦) : تحتاج الطرق الموجودة بالقرية إلى اهتمام الأهالي بها والعمل على إصلاحها من حين إلى آخر (٥٧) . فالأعشاب تنمو في كثير من الأحيان بدرجة كبيرة بحيث تعوق سير المارة بها وتعيب لهم المتاعب . كما أن مياه الفيضان تغمر الطرق أحيانا وتحميلها ، بعد أن تنحسر المياه عنها ، إلى طرق غير مهيئة .

لذلك فإن رئيس القرية الصغيرة burako ، يتشاور في الأمر مع رؤساء الأسر ؛ ثم يتم تحديد يوم يكون مناسباً لجميع الأسر للقيام بإصلاح الطرق . وإذا ماتم الاتفاق على ذلك ، فإن كل أسرة يتعين عليها أن ترسل أحد أفرادها مندوباً عنها - للاشتراك في هذه العملية .

وفي صباح اليوم الذي يتم الاتفاق عليه ، يقوم رئيس القرية الصغيرة ، بالقرع على لوح من الخشب معد لهذا الغرض (٥٨) . وعندما يسمع الأهالي

Ibid, p.p. 121-122 (٥٦)

(٥٧) جرت العادة أن تقوم الأهالي بإصلاح الطرق مرتين في كل عام . أما المرة الأولى فهي في فصل الربيع (شهر إبريل) ، وأما المرة الثانية فإنها في فصل الخريف (شهر سبتمبر) .

(٥٨) يقوم رئيس القرية الصغيرة ، بالقرع على اللوح الخشبي لأسباب مختلفة ، نذكر منها :

١ - الاستعداد بالأهالي لإخلاء حريق في أحد المنازل ، أو مكانة الفيضان .

٢ - الدعوة لعدد اجتماع البدء في عمل جماعي Community Labor (محمّد طهري مثلاً) .

القرع على اللوح الخشبي ، فإنهم يتوجهون إلى المكان المنفق عليه حاملين قذوسهم ومقشاتهم المصنوعة من القش ثم يبدءون في العمل لإزالة الأعشاب وتسوية الأرض وسكانها . وبعد فترة ، يتوقف الجميع عن العمل ويجلسون بمضى الوقت للراحة وللتدخين . كما تقدم لهم إحدى الأسر الشاي والمخلل أثناء تلك الفترة أيضا (٥٩) .

ثم يستأنف الأهالي العمل مرة ثانية بعد ذلك ، ويستمررون في عملهم حتى يتم الانتهاء من إصلاح الطرق .

وعندما يأتي المساء ، يجتمع الأهالي في منزل يتم الاتفاق عليه فيما بينهم ، لإقامة حفلة يتناولون فيها أقذاح الخمر ، ابتهاجا بهذا المناسبة . وتدفع كل أسرة مبلغا يتراوح بين ١٠ و ١٥ سن Sen ، لتغطية نفقات هذه الحفلة (٦٠) .

٣ - التعاون لبناء الكبارى (٦١) : في شهر يونيو من كل عام ، ترتفع المياه في نهر كوما Kuma River لدرجة الفيضان ، فتكتسح الكبارى الخشبية

٣ - دعوة الأهالي لمساعدة شئون القرية الصغيرة .

٤ - إعلان الأهالي بأهم المظاهرات الرسمية والأعياد .

هذا ويلاحظ أن كل مناسبة من هذه المناسبات التي ذكرناها تتميز عن غيرها بسرعة مبنية في الدق على اللوح الخشبي ، وكذلك بعدد من الدقات . وما يجدر الإشارة إليه في هذا الشأن أيضا أن بعض من رؤساء القرية الصغيرة ، قد أخذوا يستخدمون أجراما معدنية بدلا من الأراج الخشبية .

(٥٩) جرت العادة في قرية سوم على تلاليم فنانج الشاي مع صنع المخلل الضيف ادى يود إلى مسكن الأسرة للمشاركة في حفلاتها . كذلك يلاحظ أن الموظفين يكتبون القربة يتناولون الشاي مع المخلل أثناء عملهم في الفترة الصباحية وكذلك في فترة المساء . (٦٠) السن ، فقد نحاسي باهائي يساوي مليم واحد .

Ibid p.p. 122-124 (٦١)

المشة التي أقامها الأهالي فوق النهر . ولما كان الأهالي يستخدمون هذه الكبارى لنقل الارز — في وقت الحصاد — من السور التي تقع على الجانب الآخر من النهر فإن رئيس القرية الصغيرة يتشاور (٦٢) مع رؤساء الاسر لتحديد يوم مناسب لإعادة بناء الكوبرى .

وفي تمام الساعة السابعة من صباح اليوم الذي يتم الاتفاق عليه يحضر مندوب عن كل أسرة للاشتراك في العمل . وإذا كان الكوبرى المراد بناؤه يخدم قريتين صغيرتين ، فإن كل قرية صغيرة ترسل مندوبا عن كل أسرة بها للساهمة في البناء .

وبعد أن يتم الانتهاء من بناء الكوبرى ، يعود كل فرد إلى مسكنه . وهناك يخلع ملابس العمل ويستحم ثم يرتدى ملابس أخرى نظيفة .

وسرعان ما يتجمع كل الذين اشتركوا في بناء الكوبرى في منزلهم يتم الاتفاق عليه . وهناك يأكلون قليلا من السمك ويشربون الكثير من أقذاح الخمر .

ويدفع كل عضو مبلغ يتراوح بين ١٠ و ١٥ د سن ، لتغطية نفقات الحفلة (٦٣) .

(٦٢) يتم ذلك عادة في شهر سبتمبر من كل عام ، أي قبل حصاد الارز .

(٦٣) هكذا يضح لنا أن عملية إعادة بناء الكوبرى مرة في كل عام ، تهيء الفرصة لأهالي (القرية الصغيرة) أن يتجمعوا لعمل مما من أجل هدف واحد . وبلا حظ أن الأهالي أثناء العمل ، يتحدثون ما في مختلف شئونهم كما أنهم يبدون حلة بعد الانتهاء من بناء الكوبرى انهماجا بهذه المناسبة . وكل ذلك ولا شك من شأنه أن يساعد على تقوية تماسك الجماعة .

٣ — التعاون لإطفاء الحريق (٦٤) : إذا شبت النار في أحد المنازل ، فإن رجال إطفاء الحريق ، ومعهم باقي أفراد القرية الصغيرة يسرعون إلى هناك ويمدحون قصارى جهدهم لإخمادها . وبعد أن يتم إطفاء الحريق ، تقدم الاسرة ، التي أصابها النكبة ، الطعام وأقذاح الخمر لرجال إطفاء الحريق . ويتدفق أهالي القرية الصغيرة إلى منزل الاسرة المنكوبة لمواساتها وتقديم الهدايا من الأطعمة لها .

وإذا كانت النيران قد أنت على المنزل ، وأصبحت الضرورة تدعو إلى إعادة بنائه من جديد ، فإن كل أسرة بالقرية الصغيرة ترسل أحد أفرادها مندوبا عنها للاشتراك في إعادة بناء المنزل .

٤ — التعاون لمواجهة الفيضان (٦٥) : كذلك يتعاون أهالي القرية الصغيرة لمواجهة أخطار الفيضان . فإذا أصيب أحد المنازل بنحر نتيجة لفيضان النهر فإن رجال إطفاء الحريق ومعهم بقية أفراد القرية الصغيرة ، تماما كما هو الحال بالنسبة لإطفاء الحريق ، يهرعون لنجدة الاسرة المنكوبة .

ولا كان الفيضان يحدث مرة في كل عام ، فإن هذه الفرصة تتكرر مرة في كل عام أيضا .

إلا أن الحكومة قامت أخيرا ببناء كوبرى من الخرسانة على النهر أمام إحدى القرى المتهمة بدلا من الجسر الخشبي الذي يقوى الأهالي ، والذي لم يكن يقوى على تحمله مياه الفيضان في شهر يونيو من كل عام . ولقد كان نتيجة لذلك أن هذا الإحتياج السنوي للأهالي لإعادة بناء الكوبرى لم يعد يحدث ، واختفت نهائيا تلك الصورة من التعاون .

ibid, p. 129 (٦٤)

ibid, p. p. 129-130 (٦٥)

وإذا نزل الضرر بمدر كبير من المنازل بسبب الفيضان، فإن أهالي القرى الصغيرة الأخرى يسارعون للمعاونة في مواجهة الكارثة، كما أنهم يقدمون كميات من الأرض للأسر المصابة.

٥ - التعاون في حالة الوفاة (٦٦) : عند حدوث وفاة في أحد المنازل،

فإن الأسرة تحضر رئيس القرية الصغيرة ليقوم بإذاعة الخبر بين الناس. وسرعان ما يتدفق الأهالي رجالا ونساء إلى هناك. ويقضى العرف أن تحضر امرأة من كل أسرة بالقرية الصغيرة للمعاونة في العمل، في مطبخ الأسرة المصابة، لإعداد الطعام الذي يلزم تقديمه للعزيم. كما ينبغي أيضا على كل أسرة أن ترسل أحد رجالها مندوبا عنها لتقديم العزاء وللإشتراك في إعداد الترتيبات الخاصة بالجنائز. هذا ويلاحظ أن كل شخص يحضر لمواساة الأسرة، يحضر معه مقداراً من الأرض لتقديمه لها.

كذلك يحضر الأقارب ومعهم الهدايا من الأرض والخمر وبعض القماش الملون الذي يلزم لعمل الرايات الخاصة بالجنائز. وبعد غسل الجثة وتكفينها يقوم الأقارب بوضعها في النعش (٦٧). ثم يلي ذلك إقامة مأدبة جنازية داخل المنزل يقدم فيها الطعام والشراب ويحضرها الكامن والأقارب فقط.

Ibid. p. p. 130-131. (٦٦)

(٦٧) جرت العادة في قرية سومي على وضع أشياء معينة مع الجثة في التابوت. ومن هذه الأشياء تذكر : سبعة ROSARY توضع في يد الموتى، كيس به الخبز من النقود مروحة الموتى، و (خرد ما) كالحقون بعينه جدا أثناء حياته. وإذا كانت الوفاة بعد حدث في يوم نحس، فإنه لأهالي يقومون بصنع مروحة من القش، ثم يضعونها مع الجثة في التابوت. ويعتقد الأهالي أنهم إذا لم يتوخوا بعد ذلك، فإن جثة الموتى سوف تعمل على التجميل بوفاة أحد الأبناء من أفراد مجتمع القرية أظن : Guya Mura, p. 126

أما رجال القرية الصغيرة الذين حضروا لتقديم التعزية والمعاونة، فإن الأسرة تقدم لهم الطعام والخمر في ساحة المنزل أو في الخزن. وبعد الانتهاء من المأدبة الجنازية، يتقدم البعض من الرجال إلى داخل المنزل ويحملون النعش على أكتافهم. ثم يفر موكب الجنائز المنزل ويتجه إلى مقبرة القرية الصغيرة حيث يتم دفن الجثة هناك.

هذا ويلاحظ أن النساء اللاتي يحضرن إلى المنزل للمعاونة، يقمن بكنس الحجرة عقب مغادرة موكب الجنائز لساحة مباشرة، ثم يجلسن بعد ذلك لتناول الطعام الذي تقدمه الأسرة لمن.

وبما هو جدير بالملاحظة كذلك أن رئيس القرية بعد كتابا يسجل فيه أسماء الأشخاص الذين حضروا للمعاونة، وكذلك كمية الأرض التي أحضرها كل منهم لتقديمها للأسرة المصابة.

سابعاً - خاتمة

تدنا الدراسة على أن علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية — خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر — قد اعتمدوا في الأغلب على كتابات المبشرين والرحالة والتجار وحكام المستعمرات لتزويدهم بالمعلومات اللازمة لدراساتهم . ولقد كان نتيجة لعدم اهتمام هؤلاء العلماء بالنزول إلى الميدان لملاحظة الظواهر الاجتماعية بأنفسهم ، أننا نجد أن الدراسات الحقيقية التي قاموا بها كانت قليلة للغاية . فهناك دراسة مورجان للإيروكرات ودراسة فرانز بواس للإسكيمو ودراسة بعثة جامعة كبريدج التي توجهت إلى جزر مضائق توريس عندما كان القرن التاسع عشر يطوى أعوامه الأخيرة .

كما تدنا الدراسة كذلك على أن كثيراً من العلماء — خلال الربع الأول من القرن العشرين — قد نزولوا فعلاً إلى الميدان ؛ لكنهم ركزوا جهودهم على دراسة المجتمعات البدائية فقط . ومن الأمثلة على ذلك تذكر دراسة ريفرز عن التودا ، دراسة ساجمان عن قبائل جنوب السودان ، دراسة راد كليف بروان عن سكان جزر الاندمان ، ودراسة مالىوسكى عن سكان جزر التروبرياندا . وجمد بالذکر أن عالم الأنثروبولوجيا الأمريكى فرانز بواس — حتى عام ١٩٢٥ — لم يسمح لأحد من تلاميذه بدراسة أى مجتمع غير قبائل الهنود الحمر فى أمريكا (٦٨) .

غير أن هذا الوضع لم يدم طويلاً ، فأرأينا كثيراً من الباحثين — خلال الربع الثاني من القرن العشرين — يتجهون لدراسة المجتمعات القروية والحضرية . فقد درس روبرت لدوهيلين لند ميدلتاون ، خلال عامى ١٩٢٤ و ١٩٢٥ . كما

Solon T. Kimbal, « Problems of Studying American Culture, *American Anthropologist* . vol. p. 1131, December 1955, (٦٨)

قام روبرت ردفيلد بدراسة قرية تيپوزتلان خلال عامى ١٩٢٦ و ١٩٢٧ (٦٩) . وهناك أيضاً دراسة وورنر وزملائه عن يانكى سينى فى الفترة من سنة ١٩٣٠ حتى سنة ١٩٣٥ (٧٠) . ونحن عند دراستنا لهذا الاتجاه لدراسة المجتمعات القروية والحضرية يجب أن نأخذ فى الاعتبار ذلك الدور الهام الذى قام به أسانذة جامعة شيكاغو وجامعة مافارد . وتخص بالذكر منهم الأسانذة فاي كوبركول Pay-Cooper Cole وروبرت ردفيلد و. ل. وورنر W. L. Warner الذين وجهوا تلاميذهم للقيام بدراسات عقلية هامة عن المجتمعات فى صقلية والمكسيك والمليسيى وأيرلندة (٧١) .

وتمشياً مع هذا الاتجاه أيضاً قام قسم العلوم الاجتماعية فى جامعة شيكاغو ، بتوجيه من الأستاذ راد كليف بروان ، بإعداد خطة بحوث للقيام بدراسات عقلية عن أنماط مختلفة من المجتمعات فى شرق آسيا (٧٢) . وكانت سوهمى مورا هى باكورة الأبحاث فى تلك الخطة .

ومكنا نرى أن جون إمبرى ، حينما قام بدراسة عن سوهمى مورا فى الريف اليابانى ، لم يكن إلا مثلاً لاتجاه ظهر فى ميدان الأنثروبولوجيا الاجتماعية ، وأنه قد سبقه فى ذلك الاتجاه رواد كثيرون مثل روبرت لند ، روبرت ردفيلد ،

- Robert Redfield, *Tepoztlan : A Mexican Village*, (٦٩)
(The University of Chicago Press, Chicago 1930), p. vii.
W L. Warner and J. O. Low, *The Social System* (٧٠)
of *The Modern Factory* (New Haven : Yale University Press, 1951). p. 5.
A. R. Radcliffe-Brown, «Introduction» in *Suye Mura* (٧١)
Mura by John Embree, p.p. ix x.
Suye Mura, p. xvi. (٧٢)

و. ل. وورثر كما سبق وأشارنا من قبل .

وفي الوقت الحاضر توجد لدينا دراسات كثيرة قام بها علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية عن مجتمعات ريفية في أجزاء مختلفة من العالم . ومن الأمثلة على ذلك نذكر دراسة روبرت ردفيلد عن يتبوزتلان في المكسيك ، ودراسة أرنسبرج عن الفلاحين في أيرلندا، ودراسة مارتين يانج عن قرية تاييتو في الصين ، ودراسة أوسكار لويس عن قرية يتبوزتلان ، ودراسة دوبي عن قرية شاميريت في بلاد الهند ، ودراسة أ. فريدل عن قرية فاسيليكا في بلاد اليونان (٧٢) .

الفصل الثالث عشر

شاميريت

س. د. د. د.

أولا - لمحة عن قرية شاميريت

تقع قرية شاميريت Shamirpet على مسافة ٢٥ كيلو متر تقريبا من مدينة حيدر آباد في مضية الدكن بالهند (١) .

وقد بلغ عدد السكان بها ٢٤٩٤ نسمة طبقا لتعداد سنة ١٩٥١ ، كما بلغ عدد المنازل بها ٥٠٨ منزلا (٢) .

ومن الناحية الدينية ، ينقسم السكان إلى جماعتين مختلفتين هما جماعة الهندوس الإسلام وجماعة المسلمين . ومن الناحية التاريخية نجد أن الديانة الهندوسية أقدم من الإسلام في قرية شاميريت . وأما من الناحية العددية ، فإن غالبية السكان تعتنق الديانة

(١) S. C. Dube, *Indian Village*, p. 17

(٢) Ibid, p. 19

(٧٢) انظر :

Robert Redfield, *Tepeztlan : A Mexican Village* (The University of Chicago Press. Chicago, 1930) ; Conrad M. Arensberg, *The Irish Countryman*, (Gloucester, Mass. Peter Smith, 1959); Martin C. Yang, *A Chinese Village* (London, Kegan Paul Tranch, Trabuer & Co., Ltd. 1947); Oscar Lewis, *Tepeztlan : Village in Mexico*, (Holt. Rinehart And Winston. New York, 1963). S. C. Dube, *Indian Village*, (Routledge & Kegan Paul Ltd, fifth Impression, 1965), E. Friedl, *Vasilika; A Village in Modern Greece*, (Holt Rinehart and Winston. New York, 1962),

البنوبية. وتتكون جماعة المسلمين المسلمان أفراد تركوا الديانة البنوبية ونحووا إلى الدين الإسلامي. وما نجد الإشارة إلى أن البعض منهم قبل دخولهم في الدين الإسلامي كانوا يتبعون إلى طوائف ذات مكانة عالية كما كان البعض منهم أيضا يتبعون تلك طوائف ذات مكانة منخفضة. ويذكر أفراد جماعة البنوبية في رواية أنفسهم بالاستسلام على أفراد جماعة المسلمين نظرا لأن الديانة البنوبية في الأقدم، وكذلك بسبب طريقة تكون جماعة المسلمين كاسبق وأشرقا من قبل. وما كانت الولاية حتى سنة ١٩٤٨ تخضع لإدارة إسلامية قبل التحويل لم يكن في استطاعتهم. حتى ذلك الحين التمس جيرة عن ذلك الشعور بالاستسلام. ومن ثم قد أثروا الانحياز إلى الالتزام بالعمت. كذلك يصر أفراد جماعة المسلمين بالاستسلام على جماعة البنوبية بالقرية، وهم في نظرم ليسوا إلا جماعة من الكفار. وما كان حكم الولاية حتى سنة ١٩٤٨ في أيدي المسلمين فبهم قد حاولوا السيطرة على شرح الحياة بالقرية كما أنهم قد قاموا بالبنوبية العنيفة القبيحة وأظهروا احترامهم لديانة البنوبية. ولم يس البنوبية المسلمين ذلك للوقت. فبعد سقوط الحكم الإسلامي بالولاية، خرج البنوبية من منبرهم وأخذوا يروجون الإغاثات على الدين الإسلامي وجماعة المسلمين. ولم يستطع المسلمون الرد على إغاثات البنوبية وأثروا التزام العمت. هذا ويذكر لنا أدبي أنه قد لاحظ خلال فترة البحث السابق أن حدة ذلك الصراع قد أخذت تنبأ، كما أنه لم تحدث توترات خطيرة بين الجانبين (٢).

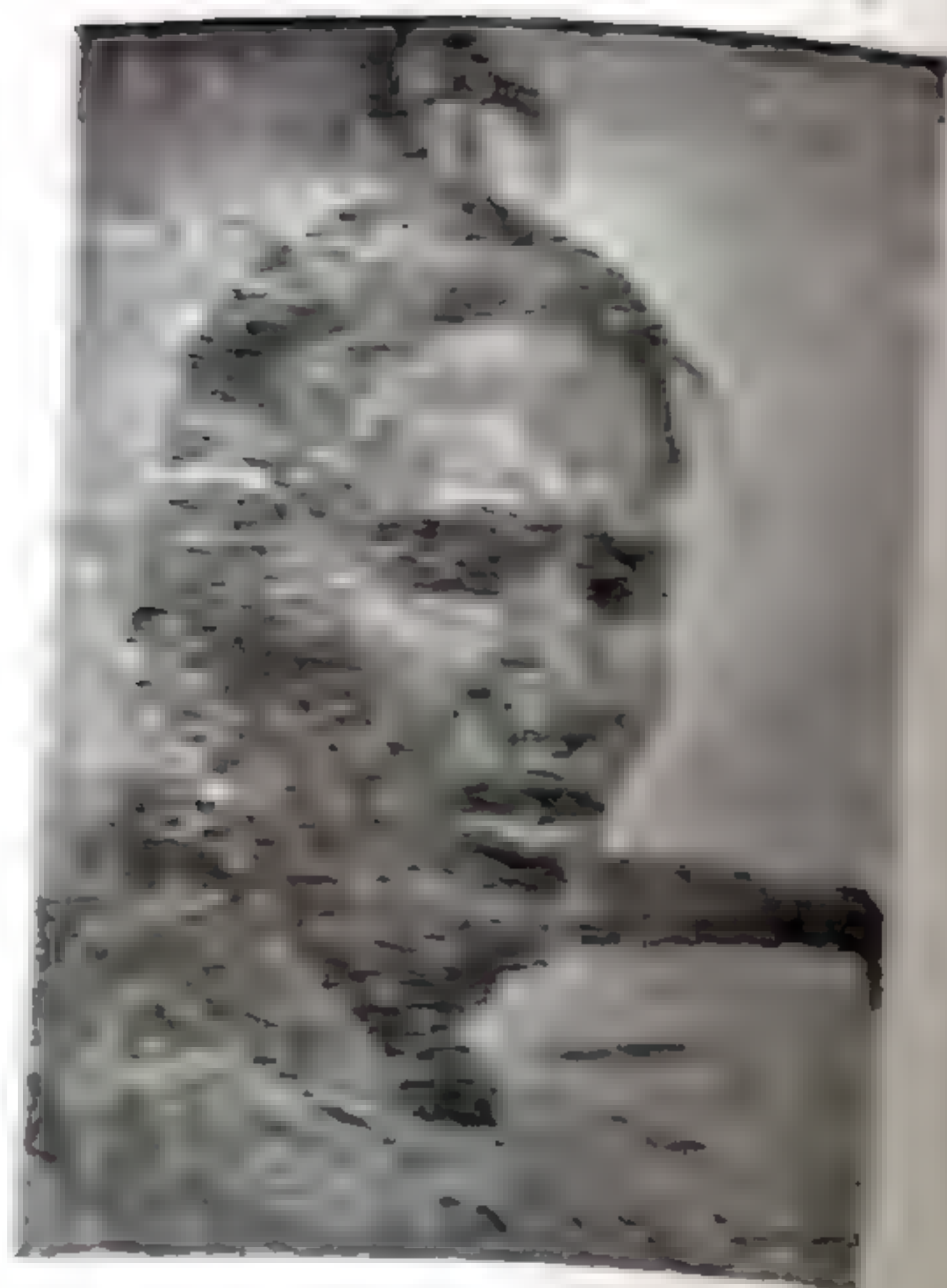
ويقسم البنوبية بالقرية إلى ثلاثة أقسام رئيسية هي (١):

(٢) Ibid, p.p. 161-162

(١) Ibid, p. 19



صورة رقم ٧:
ام نخل عتلا



صورة رقم ٨:
امراة من طائفة الريدي



صورة رقم ٩:
أحد الحلاقين بالقرية



صورة رقم ١٠:
رجل مسلم

- ١ — طوائف تشغل أساسا بالزراعة .
- ٢ — طوائف حرفية لها من تقليدية يعتبرها المجتمع نظيفة ومحترمة . ومن الأمثلة على ذلك نذكر طوائف البراهمة والتجار والفخرانية .
- أمثلة على ذلك نذكر طوائف للبراهمة والتجار والفخرانية .
- ٣ — طوائف مبنوذة ولها من حقيرة . ولا يوجد بالقرية إلا طائفتان مبنوذتان فقط هما طائفة ، المالا ، وطائفة ، الماديجا .
- ويعتبر الارز والذرة هما المحصولان الرئيسيان في القرية (٥) . وهناك أيضا الدخان والخروع . وفضلا عن ذلك فهناك أشجار النخيل العالية وأشجار النمر هندی . ومن الحيوانات التي يربئها الأهالي نذكر البقر والجاموس والماعز والأغنام والخنازير (٦) .
- والمهنة الرئيسية للأهالي هي الزراعة . ولكن توجد بجانب ذلك من أخرى نذكر منها صناعة الفخار والنجارة والحداة وغسل الملابس والحلاقة والرعي والصيد (٧) .
- والأسرة الممتدة هي النمط الشائع للأسرة بالقرية وهي عادة تتكون من الزوج والزوجة والأبناء المتزوجين وزوجاتهم وأطفالهم ، أو من الإخوة الذكور وزوجاتهم وأطفالهم . ورغمما من أن الأسرة الممتدة تعتبر في نظر الأهالي النمط المثالي للأسرة ، فإن كثيرا من الأبناء ينفصلون عن الأسرة الممتدة بعد مرور عدة سنوات على زواجهم ويكونون أسرا مستقلة (٨) .

Ibid, p. 76 (٥)

Ibid, p. 81 (٦)

Ibid, p. 72 (٧)

Ibid, p. 133 (٨)

ويوجد بالقرية مدرسة وعيادة خارجية ومكتب للبريد ومركز تابلو ليس^(٩). وبالنسبة للتنظيم الداخلي ، فإن القرية لها رئيس يدير شئونها بمعاونة مجلس القرية . ووظيفة الرئاسة ورائية . ويتكون مجلس القرية من رئيس القرية ورؤساء الطوائف والجماعات الدينية وبعض الأشخاص الأثرياء والمهمين بالقرية^(١٠).

ثانياً — ملاحظات عن كيفية إجراء البحث

١ — تمويل البحث : قدمت جامعة عسمايا Osmia University بالهند التمويل اللازم لإجراء ذلك البحث^(١١).

٢ — كيفية اختيار القرية .^(١٢) هذا الكتاب هو عبارة عن دراسة وصفية لقرية شاميريت في ولاية حيدر أباد بالهند . وقد وقع الاختيار على هذه القرية لتكون ميداناً للبحث الحقل للأسباب الآتية :

أ — لم تكن تبعد كثيراً عن مدينة حيدر أباد ، كما أنها لم تكن في نفس الوقت أيضاً قريبة جداً منها بحيث تصبح مجرد ضاحية من ضواحيها أو امتداد عمراني لها .

ب — لم تكن كبيرة جداً ولا صغيرة جداً من ناحية المساحة وكذلك من ناحية عدد السكان بالنسبة للقرى الموجودة في هذا الجزء من الإقليم .

ج — كانت القرية ممثلة لمنطقة تيلانجانا Telangana ، في حيدر أباد من من ناحية النظام الطائفي بها .

٣ — فريق البحث : .^(١٣) لقد اشتركت ستة كليات بجامعة عسمايا في إجراء هذا البحث . وهذه الكليات هي : الآداب ، الطب ، الزراعة ، الطب البيطري ، الهندسة ، التربية . وكانت كل كلية ممثلة في البحث عن طريق وحدة تتكون من أحد أعضاء هيئة التدريس واثنين أو أكثر من الخريجين .

Ibid, p. xi (١١)

Ibid, p. 13 (١٢)

Ibid, p. 13 (١٣)

Ibid, p. 25-27 (٩)

Ibid, p. 45-46 (١٠)

٤ — مدى تقبل أهالي القرية لفريق البحث . (١٤) في بداية الأمر كان استقبال الأهالي لهم يتسم بشيء من الفتور وعدم الاكتراث ، كما لوحظ أيضا أن نظرهم إلى مهمة أعضاء الفريق تباينت إلى حد كبير . فالبعض من الناس قد ظن أنهم ليسوا إلا مجموعة من المبشرين حضرت إلى القرية لتأدية رسالة دينية . كما اعتقد البعض الآخر من الأهالي أنهم موظفون حكوميون حضروا إلى القرية بغرض تنظيم حملة ضد الشيوعية . كذلك اعتقد البعض من طائفة الهندوس ، ذات المكانة العالية في المجتمع أن الهدف من حضور فريق البحث إلى القرية هو تخريب طائفة المنيوزين ذات المكانة المنحطة بالمجتمع على الثورة ضدهم .

إلا أن هذه النظرة من جانب أفراد المجتمع إلى فريق البحث لم تلبث أن أخذت في التغير خلال أيام قليلة . وسرعان ما نشأت صداقات عديدة بين أفراد الفريق وبين الكثير من أهالي القرية . ولا شك أن ذلك التحول في اتجاهات الأهالي إنما يرجع إلى عوامل مختلفة، نذكر منها :

- ١ — معاونة كبار الموظفين بالمنطقة لأفراد هيئة البحث .
- ٢ — الخدمات التي قدمتها وحدات البحث المختلفة لأهالي القرية . فمثلا قامت وحدة البحوث الطبية بعلاج ٣٩ حالة . كما قامت وحدة البحوث الزراعية بتقديم الإرشاد الزراعي وتوزيع بذور الخضروات وشجيرات الفاكهة والمحاصيل الكيماوية الحديثة . كذلك قامت الوحدة الهندسية بتحسين بئر المياه الموجود بالقرية ، كما أنها قامت أيضا بتسييد عدد من الأفران الترموزجية .

- ٣ — امتناع أفراد فريق البحث عن الحديث في أمور السياسة والدين .
- ٤ — عدم تعالي أفراد الفريق أو تهكمهم على أهالي القرية وكذلك حرصهم على معاملتهم باحترام زائد .

٥ — هذه الدراسة الحقلية . أجرى البحث خلال عامي ١٩٥١ و ١٩٥٢ (١٥) . هذا ويلاحظ أن وحدة البحث الأنثروبولوجي قد قضت بالقرية عاما كاملا ، في حين أن جملة الفترة التي قضتها كل وحدة من الوحدات الأخرى قد بلغت عشرين أسبوعا فقط (١٦) .

٦ — وسائل جمع البيانات . اعتمد فريق البحث على أكثر من وسيلة لجمع المادة من الميدان . ومن هذه الوسائل نذكر :

- ١ — الإقامة بالقرية والاعتماد على الملاحظة بالمشاركة وتوجيه الأسئلة .
- ٢ — القيام بعمل لإحصاء اجتماعي شامل لمجتمع القرية .
- ٣ — تم اختيار عينة مكونة من ١٢٠ أسرة تمثل الطوائف المختلفة ومستويات الدخل والتعليم بالقرية ، وقد قامت هيئة البحث بإجراء دراسات مركزة عنها .
- ٤ — القيام بتسجيل تاريخ حياة عدد كبير من الأفراد .
- ٥ — دراسة السجلات الموجودة بالقرية .
- ٦ — الاعتماد على المعينين من الأهالي للحصول على بيانات عن الأحداث الماضية . (مثلا : عندما أراد دوبي أن يتعرف على نشأة القرية ، ولم يجد تاريخا مكتوبا لها) .

ثالثا - نشر نتائج الدراسة

أشرنا من قبل إلى أن البحث الميداني قد أجري في قرية شاميريت خلال عامي ١٩٥١ و ١٩٥٢ . وقد ظهرت الطبعة الأولى من كتاب Indian Village سنة ١٩٥٥ (١٨) .

ويتكون الكتاب من مقدمة كتبها موريس أوبلر Morris Opler ومقدمة للبؤاف وثمانية فصول . وفضلا عن ذلك فهناك أيضا بيان بالمصطلحات الفنية وقائمة بالمراجع ودليل للكتاب . وفصول الكتب الثمانية هي : البيئة ، البناء الاجتماعي ، البناء الاقتصادي ، البناء الشمائري (١٩) ، نسج العلاقات الأسرية ، مستويات المعيشة ، (٢٠) ، الحياة في القرية ، التأثير الاجتماعي .

(١٨) اعتمدنا في مرض الكتاب على الطبعة الخامسة التي ظهرت سنة ١٩٦٥ ، ومن تقع في ٢٤٨ صفحة . أنظر :

S. G. Dube, *Indian Village* (Routledge & Kegan Paul Ltd, Fifth impression, 1965).

(١٩) من النقاط التي تناولها دوبي بالدراسة في الفصل بعنوان « البناء الشمائري Ritual Structure » نذكر : معتقدات الهندوس والمسلمين ، الاحتفالات عند الهندوس والمسلمين ، الشعائر الخاصة بدورة الحياة (مثل الميلاد والبلوغ والزواج والموت) .

(٢٠) درس دوبي في الفصل بعنوان « مستويات المعيشة The Levels of Living » النقاط التالية : تمايز للركز ، مستوى المعيشة ، تقسيم العمل ، النظافة .

٧ - دراسة التقارير التي أعدها وحدات البحوث المختلفة عن القرية والاستفادة منها عند كتابة التقرير النهائي للبحث . ومن الأمثلة على ذلك نذكر : التقرير الطبي الخاص بخص ٢٠٠ حالة ، التقرير الخاص بالزراعة والمشكلات الخاصة بها ، التقرير الخاص بالتغذية وكذلك التقرير عن رعاية الحيوانات بالقرية (١٧) .

٨ - وسائل الإيضاح . ضمن دوبي كتابه عددا من الصور الفوتوغرافية . إلا أننا نلاحظ أن الكتاب قد خلا كلية من الرسوم البيانية والخرائط .

رابعاً - عرض لبعض نتائج الدراسة

(١)

طقوس البلوغ الخاصة بالفتاة^(١)

عندما تحيض الفتاة لأول مرة في حياتها ؛ فإن أسرتها - سواء كانت من الهندوس أو من المسلمين - تقوم بإجراء طقوس معينة احتفالاً بهذه المناسبة . هذا ويلاحظ أن الطقوس التي يقوم بها الهندوس تختلف عن الطقوس التي يقوم بها المسلمون في هذه التاجية .

فالتناء من الهندوس تعزل لمدة خمسة أيام ؛ وفي نهاية هذه الفترة تستحم ثم ترتدي ملابس جديدة . وبعد ذلك توجه الفتاة إلى د مزار ، الأسرة المفضل من نساء القرية . كما تصحبها إلى هناك أيضاً فرقة موسيقية تستأجرها الأسرة لتصيح بأنغامها أثناء سير الموكب . كذلك جرت العادة عند طوائف الهندوس باستثناء طائفتي رجال الدين والتجار ؛ على أن تجمع النسوة من المنازل المجاورة مساء كل يوم في منزل أسرة الفتاة ليقمن بالرقص والغناء احتفالاً بهذه المناسبة .

أما بالنسبة للفتاة المسلمة فإنها - عند حدوث الحيضة الأولى - تعزل لفترة تتراوح بين سبعة أيام وأحد عشر يوماً . وفي نهاية هذه الفترة تستحم ثم ترتدي ملابس جديدة .



صورة رقم ٥٧/
رجل من طائفة نظيفة



صورة رقم ٥٨/
أحد المنبوذين من طائفة الماديغا



صورة رقم ٥٩/
أحد المنبوذين من طائفة المالا



صورة رقم ٦٠/
امرأة من طائفة المالا

(٢)

الطوائف المنبوذة

لا يوجد في قرية شاميريت إلا طائفتان منبوذتان فقط هما طائفة ، المالا The Mala ، وطائفة ، الماديغا The Madiga (٢٢) . ويعيش أفراد هاتين الطائفتين في مستعمرتين تنفصلان تماما عن مساكن القرية (٢٣) .

وطبقا لتعداد سنة ١٩٥١ بلغ عدد المينوذيين ٦٨٠ نسمة ، أي ما يوازي ثلث عدد الهندوس في مجتمع القرية .

ومن الناحية الاجتماعية يمتد أفراد طائفة ، المالا ، أنهم أسمى مكانة من أفراد طائفة ، الماديغا ، كما أنهم يرون أيضا أنه إذا لمس شخص من طائفة ، الماديغا ، أي شخص من طائفة ، المالا ، ، فإن ذلك يؤدي إلى نجاسته (٢٤) .

ومن الناحية الاقتصادية (٢٥) ، يعتبر أفراد طائفة ، الماديغا ، أشد الناس فقرا في المجتمع القرية ، ومن النادر أن نجد شخصا منهم يمتلك قطعة من الأرض . وتعمل الغالبية الكبرى إمن أسر هذه الطائفة في حقول كبار المزارعين بالقرية . وعلاوة على الاشتغال بالزراعة ، فهم يقومون بتخليص القرية من الماشية الميتة . ذلك أن أفراد هذه الطائفة لا يجدون غضاضة في أكل لحوم الحيوانات الميتة ؛ وهم يعتبرونها مصدرا من مصادر الطعام بالنسبة لهم ، كما يشتغل البعض من

ibid, p. 20 (٢٢)

ibid, p. 224. (٢٣)

ibid, p. 20 (٢٤)

ibid, p. 63 (٢٥)

أفراد هذه الطائفة أيضا بكنس شوارع القرية (٢٦) وفي مقابل ذلك تمنحهم الحكومة حق الانتفاع ببعض الأراضي الزراعية (٢٧).

كذلك يقوم البعض من أفراد هذه الطائفة أيضا بكمب قوت يومهم عن طريق الزمر ودق الطبول في الحفلات التي تقام في المناسبات المختلفة بالقرية (٢٨).

وجدير بالذكر أن دستور الهند قد ألغى ذلك النظام . وبذلك أصبح من الممكن لطوائف المنيوزين مثلا أن يستخرجوا المياه اللازمة لهم من الآبار العامة ، كما أن أطفالهم قد أصبحوا يلتحقون بمدرسة القرية (٢٩).

إلا أننا بالرغم من ذلك ، يجب أن نضع في الاعتبار أن التشريع وحده لا يمكن أن يقضي بسهولة وفي فترة وجيزة على ذلك التراث المتأصل في حياة المجتمع الهندي (٣٠). فالطائفة لازالت تسم بنظام الزواج من داخل الجماعة *Endogamous*

Ibid p.p. 27—28 (٢٦)

(٢٧) يذكر لنا مارشال كليارد في دراسة عن النشاط المتخلفة بالمدن في الهند أن الطوائف المنيوزية هي التي تقوم بكنس الشوارع هناك أيضا . انظر : Marshall B. Clinard, *Slums and Community Development*, (The Free Press, New York , 1969) , p. 81.

Ibid, p. 69 . (٢٨)

Ibid , p. 20 . (٢٩)

(٣٠) نظام الطوائف وجد في بلاد الهند منذ ٣٠٠٠ سنة تقريبا . انظر :

G. Duncan Mitchell, *A Dictionary Of Sociology*; (London, Routledge & Kegan Paul , 1970) , p. 182.

وفضلا عن ذلك ، فإن تناول الطعام مع أفراد من طوائف أقل مكانة ، مازال محظورا حتى اليوم . وبينما نجد أن الفرد من الطوائف النظيفة *Clean Caste* في المدينة لم يعد يتأثر إذا مالسه شخص ينتمي إلى طائفة منيوزة فإن ما يجري في الريف عكس ذلك تماما . فالفرد من طائفة المنيوزين ، حتى وقتنا الحاضر ، لا يستطيع أن يدنو كثيرا من فرد ينتمي إلى طائفة نظيفة خشية أن ينجسه بلمسة من ذراعه قد تحدث مصادقة (٣١).

Ibid. p. 22 (٣١)

(٣)

البراهمة (٣٢)

لا يوجد في شاميرت إلا أسرة برهمية واحدة . ويتمتع رئيس هذه الأسرة بمكانة عالية في مجتمع القرية بسبب حامل المولد ، أى لانتمائه إلى طائفة البراهمة ، وكذلك لأنه يمتلك مساحة كبيرة من الأرض (٣٣) .

وبالنسبة للدور الذى يقوم به في مجتمع القرية ، فإنه يمكن لمجازه فيما يلي :
١ - هو كاهن القرية ، كما أنه منجمها في نفس الوقت أيضا .

٢ - يتجه إليه الأهالي لاستشارته في مناسبات مختلفة كالزواج والولادة والوفاة . وهم يدفعون له لقاء ذلك أجرا نقديا .

٣ - وعلاوة على ما تقدم ، فإنه له دوره أيضا في النشاط الزراعى بالقرية . فهو يقدم النصيح للفلاحين بالنسبة لمواعيد بذر التقاوى وجنى المحاصيل . كما أنه يقوم بزيارة منازلهم مرة كل أسبوعين أو مرة كل شهر . وقد جرت العادة على أن تقدم له كل أسرة مقدارا معيناً من الحبوب .

Ibid, p 62 (٣٢)

(٣٣) يذكر لنا دوى أدمناك موامل مختلفة تأمب دورها والنسب لتعدد مركز الفرد الاجتماعى في مجتمع القرية . ومن هذه الموامل مذكر الهبن والطائفة ، ملكية الأراضى الزراعية ، الثروة ، الوظيفة الحكومية ، السن ، العنصرية .

أنظر : Indian Village, p.p. 161-164.

(٤)

طائفة الفخراية (٣٤)

تتكون طائفة الفخراية بالقرية من خمسة أسر فقط . وقد بلغ عدد العاملين بها ١٤ عاملا .

وترتبط كل أسرة من هذه الأسر بعدد من المزارعين بالقرية . فهى تقدم لهم الأواني الفخارية التى يحتاجون إليها ، وفى مقابل ذلك تقدم أسرة المزارع لأسره الفخراى قدرا معينا من الحبوب فى مواسم معينة من السنة . وتتوقف كمية الحبوب التى تقدم لأسرة الفخراى على مساحة الأرض المزروعة التى يمتلكها المزارع ، وكذلك على حالته المالية (٣٥) .

ويستطيع الفخراى ، بنفس الطريقة التى يتبعها فى التعامل مع المزارعين ، أن يتفق مع أفراد الطوائف الحرفية الأخرى بالقرية كالحلاقين والغسالين والنساجين . فهو مثلا يقدم الأواني الفخارية اللازمة للحلاق مقابل القيام بالحلاقة لأفراد أسرة الفخراى .

وإذا ما تعذر الاتفاق مع بعض الأفراد على اتباع هذه الطريقة ، فإن دفع ثمن الأواني الفخارية فى هذه الحالة يكون نقدا .

Ibid, p. 63 (٣٤)

(٣٥) هناك طوائف أخرى بالقرية تتبع نفس هذه الطريقة فى تعاملها . ومن الأمثلة على ذلك تلمسك طائفة النصارى وطائفة الحاديين وطائفة الحلاقين .

(٥)

الدور الذي تقوم به الطائفة لحماية أعضائها (٣٦)

أوضح لنا دوي مدى أهمية الدور الذي تقوم به الطائفة لحماية أعضائها. وقد ضرب لنا مثلا على ذلك فقال: لو افترضنا أن أ (وهو حلاق) يرتبط بأسرة ب (وهو مزارع)، أي يقوم بالحلاقة له هو وجميع أسرته مقابل الحصول على مقادير محددة من الحبوب في مواسم معينة في السنة. واسبب معين، كهبوط مستوى الخدمة مثلا، تهرم المزارع بالحلاق واتجه إلى التفكير في استبداله بحلاق آخر. وهنا سوف يواجه الفلاح مشكلة كبرى. فهو لن يتمكن من أن يجد فردا آخر من أفراد طائفة الحلاقين بالقرية يقبل العمل محل الزميل المطرود. فالعوائق الحرفية لها دستورهما الخاص بأخلاقيات الحرفة، ويمكنها إذا دعي الأمر - أن توقع العقوبات على الأعضاء الذين يخرجون على آدابها. ولو افترضنا أن مجموعة من الأسر اتفقت فيما بينها على إحضار حلاق من قرية أخرى، فإن تنفيذ ذلك لن يكون أمرا هينا. فالحرفيون بالقرية سوف يعلنون عداوتهم للسافر للحلاق الوافد، كما أنهم سوف يضعون أمامه كافة العقبات بحيث تصبح الحياة بالنسبة له هناك أمرا لا يطاق.

ويذكر لنا دوي أنه قد قام، خلال إقامته بالقرية، بتسجيل ثلاث حالات نزاع من هذا النوع. وبالنسبة للحالة الأولى فقد تدخلت الطائفة في الأمر وأمكنها استرضاء الأسرة الشاكية. وفي نفس الوقت أيضا تعهدت الأسرة الحرفية بالعمل على تحسين خدماتها مستقبلا. وفي الحالة الثانية أمكن الوصول إلى تسوية ودية ترضى الطرفين. فقد وافقت الطائفة على عزل الرجل الحرفي من

خدمة الأسرة الشاكية، ثم ألحقته بخدمة أسرة أخرى حديثة العهد بالقرية. كما وافقت الطائفة في نفس الوقت أيضا على التحاق عضو آخر من أفراد الطائفة بخدمة الأسرة الشاكية. وأما بالنسبة للحالة الثالثة، فقد وافقت الطائفة على عزل الرجل الحرفي من خدمة الأسرة الشاكية، كما قدمت أيضا لها بدلا عنه من بين أعضاء الطائفة.

(3) Robert S. Lynd, *Knowledge For what? The Place Of Social Science In American Culture*. (Princeton, New Jersey, Princeton University Press, 1939).

ثانيا - لمحة تاريخية عن « ميدلتاون »

تقع « ميدلتاون » في ولاية « إنديانا » بالولايات المتحدة . ويرجع تاريخ نهضة هذه المدينة الصغيرة إلى قرب نهاية الربع الأول من القرن التاسع عشر (٢) . وفي سنة ١٨٨٥ كان عدد السكان بها قد بلغ ٦٠٠٠ نسمة تقريبا . وفي سنة ١٨١٦ اكتشف الغاز الطبيعي بها فجأة ، وكان لذلك أثره الكبير بالنسبة لازدياد عدد السكان بالمدينة . كما ظهرت أيضا صناعات جديدة مثل صناعة الزجاج وصناعة الحديد (٣) .

وبعد مرور عدة أعوام ، وكما ظهر الغاز الطبيعي فجأة ، نجد أنه قد اختفى أيضا فجأة من المنطقة عند نهاية القرن التاسع عشر . ولا شك أن ذلك كان له أثره من ناحية هجرة بعض الصناعات من المدينة في ذلك الحين .

وفي خلال الفترة من سنة ١٨٩٠ حتى وقت إجراء البحث الحقل (١٩٢٤ - ١٩٢٥) ، نجد أن عدد السكان بالمدينة قد تضاعف عدة مرات . ففي سنة ١٨٩٠ كان عددهم ١١٠٠٠ نسمة ؛ أما في وقت إجراء البحث الحقل ، فقد أصبح عددهم ٣٨٠٠٠ نسمة (٤) .

Robert S. Lynd & H. M. Lynd, *Middletown*, p. 10. (٢)

ibid, p. 9. (٣)

ibid, p. 510. (٤)

الفصل الرابع عشر

ميدلتاون

روبرت س. ليند و هيلين م. ليند

أولا - لمحة عن حياة ومؤلفات روبرت ليند

ولد روبرت ليند بالولايات المتحدة (سنة ١٨٩٢) وتعلم في جامعتي برنستون وكولومبيا . وقد شغل وظيفة أستاذ علم الاجتماع بجامعة كولومبيا فترة طويلة من الزمن (اعتبارا من سنة ١٩٣١) (١) .

ومن مؤلفاته نذكر :

(1) Robert S. Lynd & Helen M. Lynd, *Middletown: A Study in American Culture* (New York Harcourt, Brace and Company, 1929) .

(2) Robert S. Lynd & Helen M. Lynd, *Middletown In Transition : A Study in Cultural Conflicts*. (Harcourt, Brace and Company, New York, 1937).

The International Who's Who (Twenty. sixth Edition (١) 1962 - 63). p 6.F.

ثالثا - الغرض من البحث الحقلى

لقد كان الغرض من إجراء البحث الحقلى - كما يقول المؤلفان - هو دراسة الحياة الاجتماعية في إحدى المدن الأمريكية الصغيرة. وحيث أنه لا توجد في الولايات المتحدة مدينة يمكن أن تعتبر بمثابة لكل المدن الأمريكية الأخرى، فإنه تدروى - عند اختيار المدينة المراد دراستها - أن تنقسم بكثير من السمات الموجودة في عدد كبير من المجتمعات الأمريكية.

وهذا ويجدر الإشارة هنا إلى أن هيئة البحث، سواء في أثناء مرحلة البحث الحقلى أم في أثناء مرحلة كتابة التقرير النهائي للبحث، لم تحاول البرهنة على مبحث معين، وإنما كان الهدف هو تسجيل الظواهر الاجتماعية التي تم بحثها (٥).

رابعا - نشر نتائج الدراسة

تم إجراء البحث الميداني في « ميدلتاون »، خلال عامي ١٩٢٤ و ١٩٢٥، وقد نشرت نتائج تلك الدراسة لأول مرة سنة ١٩٢٩ (٦). ويتكون الكتاب من كلة استهلالية كتبها « كلارك ويسلر »، ومقدمة وستة أجزاء وخاتمة. وفضلا عن ذلك فهناك أيضا ملحق في نهاية الكتاب يشتمل على دليل وملاحظات عن وسائل جمع البيانات.

ibid, p. 9. (٥)

(٦) اعتمدنا في مرض الكتاب على الطبعة الأولى التي ظهرت سنة ١٩٢٩، ومن نفع

ل ١٠٠٠ صفحة. انظر :

Robert S. Lynd & Helen M. Lynd, *Middletown: A Study In American Culture* (New York, Harcourt, Brace and Company, 1929).

وتحتوى المقدمة على بيان لماهية البحث وكيفية اختيار المدينة وكذلك لمحة تاريخية عن « ميدلتاون ».

وفي الباب الأول نجد عرضا للجانب الاقتصادي بالمدينة؛ كما نجد في الباب الثاني دراسة البيت في « ميدلتاون »، (المساكن - الزواج - تربية الأطفال - الطعام - الملابس).

أما الباب الثالث، فهو يحتوى على دراسة عن التلاميذ والمدرسين والمناهج الدراسية وكذلك الحياة المدرسية بصفة عامة. ويشتمل الباب الرابع على دراسة لوقت الفراغ (الطرق التقليدية لقضاء وقت الفراغ - المخترعات وأثرها على وقت الفراغ - تنظيم وقت الفراغ).

ويحتوى الباب الخامس على دراسة للنظم الدينية؛ أما الباب السادس فهو يشتمل على دراسة الحكومة المحلية والحالة الصحية ورعاية الجزء والإعلام وكذلك العوامل التي تساعد على تماسك أو عدم تماسك مجتمع « ميدلتاون » (٧).

(٧) عاد المؤلفان مرة ثانية إلى « ميدلتاون » سنة ١٩٣٥، ودرسوا التغير الاجتماعي

الذي حدث بها. وقد نشرت نتائج تلك الدراسة سنة ١٩٣٧. انظر :

Robert S. Lynd & Helen M. Lynd, *Middletown in Transition* (Harcourt ; Brace and Company, New York, 1937).

خامسا - ملاحظات عن كيفية إجراء البحث

١ - كيفية اختيار المدينة (٨): لم تكن هناك دوافع خفية تكمن وراء اختيار ميدلتاون ، لإجراء البحث الحقلية فيها . كما أن هيئة البحث لم تأخذ رأى أهل المدينة بالنسبة للشروع ، ولم تلق أية مساهمة سواء من جانب الأفراد أو المنظمات بها .

هذا ويقرر المؤلفان أنهما - عند القيام باختيار المجتمع الذى تجرى فيه الدراسة - قد وضعوا نصب أعينهما اعتبارين هامين هما :

أولا - أن تكون المدينة - قدر الإمكان - ممثلة Representative للحياة الأمريكية المعاصرة .

ثانيا - أن تكون المدينة - فى نفس الوقت - متجانسة بدرجة كافية ، وذلك لييسر هيئة البحث القيام بإجراء مثل هذه الدراسة الكلية للمجتمع .

وبناء على ما تقدم ، فقد روى ضرورة توافر أمور معينة فى المدينة التى تجرى فيها الدراسة الحقلية هى :

١ - أن تكون مدينة ذات مناخ معتدل .

٢ - أن تكون مدينة ذات معدل سريع للنمو بدرجة كافية ، وذلك حتى يمكن ضمان وجود قدر واف من الأشكال المتنوعة الآلام والمتاعب المصاحبة لتغير الاجتماعى فى العصر الحاضر .

٣ - أن توجد بالمدينة صناعة ذات إنتاج آلى حديث .

٤ - ألا تكون من المدن التى تنقسم بوجود صناعة واحدة فقط .

٥ - أن توجد بالمدينة حركة فنية قوية ذات طابع على .

٦ - ألا تنقسم المدينة بمخاض أو صفات غير عادية بشكل ظاهر ، أو توجد بها مشكلات محلية حادة .

٧ - أن يكون موقع المدينة - إذا أمكن - فى أواسط الولايات المتحدة .

٨ - أن يتم اختيار المدينة من بين مجموعة المدن التى يتراوح عدد سكانها بين ٢٥٠٠٠ و ٥٠٠٠٠ نسمة حسب تعداد سنة ١٩٢٠ فى الولايات المتحدة . فثل هذا العدد ييسر لهيئة البحث مهمتها من ناحية دراسة المجتمع من جوانب مختلفة كوحدة .

٩ - أن تكون المدينة - بقدر الإمكان - معقولة بذاتها ، بمعنى ألا تكون مدينة تدور فى فلك مدينة أخرى مجاورة لها .

١٠ - أن تكون نسبة الزنوج بالمدينة قليلة بالنسبة لمعد السكان البيض فيها .

وفى ضوء الاعتبارات السابقة ، وبعد القيام بزيارة عدة مدن ، تم اختيار ميدلتاون ، . هذا ويقرر المؤلفان أن ذلك قد تم للأسباب الآتية :-

١ - تعتبر ميدلتاون ، ذات مناخ معتدل .

٢ - كانت المدينة فى سنة ١٨٨٥ مجرد مركز لإقليم زراعى ، وكان عدده

السكان بها في ذلك العام ٦٠٠٠ نسمة تقريبا . ومن دراسة تطور السكان بها في الفترة من سنة ١٨٨٥ حتى سنة ١٩٢٠ ، يتبين أنهم قد تضاعفوا عدة مرات حتى أصبحوا ٢٥٠٠٠ نسمة تقريبا سنة ١٩٢٠ . وبما هو جدير بالملاحظة في هذا المجال أن ذلك النمو السريع في عدد السكان بالمدينة قد تأثر إلى حد كبير بنمو الصناعة فيها . وتعتبر صناعة الزجاج وصناعة المعادن وصناعة السيارات هي أهم الصناعات بالمدينة .

٣ - يعتبر الزوج أقلية في المدينة (٦ ٪) ، أما البيض فهم يكونون الأغلبية الساحقة . هذا ويقرر المؤلفان أن الدراسة قد تركزت بصفة أساسية على السكان البيض فقط .

٤ - تعتبر «ميدلتاون» مستقلة بذاتها إلى حد كبير . فهي ليست مدينة تدور في فلك مدينة أخرى مجاورة لها . وقد أوضحت الدراسة أن أقرب مدينة كبيرة لها تبعد عنها بمسافة ٦٠ ميلا ، وهي «مقاطعة يقطرها القطار» في ذلك الحين - في فترة ساعتين تقريبا .

٥ - وبالإضافة إلى ما تقدم ، فإن «ميدلتاون» منذ أواخر القرن الماضي ، تشتهر في كافة أرجاء الولاية بازدهار الموسيقى بها .

ويخلص المؤلفان بعد ذلك إلى القول بأنه إذا كانت «ميدلتاون» لا تمثل كل المدن الأمريكية ، إلا أنه من الممكن وبشيء من الحذر أن تطبق نتائج الدراسة على مدن أخرى أو على الحياة في أمريكا بصفة عامة (٩) .

(٩) مكدونالد يبين لنا أن المؤلفان قد اتجاها لدراسة مدينة أمريكية صغيرة ، واستخدما هذه الأدوات البحث التي يستخدمها عادة الأنثروبولوجي الاجتماعي . وبما لا شك فيه أن مثل هذا

٢ - تمويل البحث : قدم معهد البحوث الاجتماعية والدينية بالولايات المتحدة التمويل اللازم لإجراء البحث (١٠) .

٣ - مدة الدراسة الحقلية : أجرى البحث في الفترة من يناير سنة ١٩٢٤ حتى يونيو سنة ١٩٢٥ ، وبذلك تكون جملة الفترة التي قضتها هيئة البحث بالمدينة سنة ونصف (١١) .

٤ - وسائل جمع البيانات : تدلنا الدراسة على أن هيئة البحث قد اعتمدت على أكثر من وسيلة لجمع المادة اللازمة للبحث . ومن ذلك نذكر :

أ - المشاركة في الحياة الاجتماعية (١٢) : حاول أفراد هيئة البحث ، بكل طريقة ممكنة ، خلال فترة البحث الحقلية ، المشاركة في الحياة الاجتماعية في «ميدلتاون» . فهم قد عاشوا في غرف مع الأسر ، كما نشأت بينهم وبين أفراد المجتمع صداقات عديدة . كذلك كان أفراد هيئة البحث يحضرون المآدب والاجتماعات

الاتجاه يعتبر اتجاها عمليا بسلام وأغراض البحث ، ذلك أنه دراسة المدينة الكبيرة ، وكل ما تعتبر مشكلة ليس من البصر التظلم عليها . وفي رأينا أن هذه الدراسة ربما تكون ممثلة لبعض المدن الصغيرة في أواسط الولايات المتحدة ، لكنها لا تمثل الحياة الأمريكية عامة .

ومن العلماء الذين اتجهوا هذا الاتجاه أيضا نذكر «وورنر ووزنلاؤف» في «جونزفيل» ، «فيللا نيجدان» و«وورنر» يقرر أن «جونزفيل» هي (المحل لدراسة سكان أمريكا) . كما نجده يكرر هذا المعنى أيضا فيقول (إننا إذا درس «جونزفيل» فنحن إنما ندرس أمريكا) . انظر

W L. Warner and Associates *Democracy In Jonesville*, (Harper & Brothers, New York, 1949), p. xv.

Ibid, p. xi. (١٠)

Ibid, p. 505. (١١)

Ibid, p. 506 (١٢)

المدرسية والاجتماعات السياسية واجتماعات العمال واجتماعات رجال الدين والمحاضرات العامة .

ب - الرجوع إلى ما كتب عن المدينة (١٣) : كما رجعت هيئة البحث كذلك إلى المراجع من الوثائق والمستندات واستفادت منها بدرجة كبيرة . ومن ذلك نذكر : كتب التاريخ ، بيانات التعداد ، المجلات الخاصة بالإقليم ، ملفات المحاكم ، المجلات المدرسية ، بعض الصحف اليومية التي صدرت خلال عامي ١٨٩٠ و ١٨٩١ ، وكذلك بعض الصحف اليومية التي صدرت خلال عامي ١٩٢٤ و ١٩٢٥ ، محاضر جلسات الكثير من المنظمات (مثل الجمعيات الخيرية ولجنة المكتبات ونادي المرأة) ، أوراق أسئلة الامتحانات خلال عام ١٨٩٠ وكذلك خلال فترة البحث الميداني ، المذكرات اليومية التي كتبها بعض الأهالي بالمدينة ، الخطابات ، نشرات الفرقة التجارية ، الخرائط ، وحوليات المدارس العليا .

ج - تجميع الإحصاءات (١٤) : وفي بعض الحالات ، كان أفراد هيئة البحث يقومون بأنفسهم بتجميع الإحصاءات إذا وجدوا أنها غير متوفرة . ومن الأمثلة على ذلك نذكر : الإحصاءات الخاصة بالأجور ، الترخيم ، حوادث الصناعة ، عضوية الأندية ، العضوية في الكنائس ، التبرعات ، رواد السينما والمرح وملاك السيارات بالمدينة .

د - المقابلة : وتعتبر المقابلة كذلك من أهم أدوات البحث الاجتماعي في

Ibid, p. 306. (١٣)

Ibid, p. 306 (١٤)

ميدلتان . . هذا ويلاحظ أن بعض المقابلات كانت لا تستغرق إلا دقائق ، في حين البعض الآخر منها قد استغرق عدة ساعات . ومن الأمثلة على ذلك : ذكر المقابلة التي أجريت مع قادة جمعية الشبان المسيحية ، فمن قد استغرق حوالي أربعة ساعات .

كما يلاحظ أيضا أن الباحثين في بعض المقابلات قد اعتمدوا - عند توجيه الأسئلة - على استمارات صممتها هيئة البحث . ومن الأمثلة على ذلك نذكر المقابلات التي أجريت مع مجموعة من أسر الطبقة العاملة وعددها ١٢٤ أسرة ، والمقابلات التي أجريت مع مجموعة من أسر طبقة رجال الأعمال وعددها ٤٠ أسرة (١٥) .

هـ - الاستبيان البريدي (١٦) : كما اعتمدت هيئة البحث كذلك على الاستبيان البريدي للحصول على بعض المعلومات اللازمة للبحث . ومن الأمثلة على ذلك نذكر الاستبيان ، الذي صمم سنة ١٩٢٤ عن الأندية بالمدينة والتي يزيد عددها على ٤٠٠ نادي ، لدراسة العضوية والأنشطة بها .

و - الاستعانة بالمسنين : كان أفراد هيئة البحث يستعينون بالمسنين من أفراد المجتمع عند دراسة الماضي . فثلا نجد أنها قد رجعت إلى طبيب مسن من أهل المدينة عند دراسة الحياة الاجتماعية خلال القرن التاسع عشر (مثل وصف المنازل ودخول الكهرباء والتلفراف) (١٧) .

Ibid. p. 507. (١٥)

Ibid, p. 509. (١٦)

Ibid p. 10 (١٧)

— وسائل الإيضاح : نلاحظ أن الكتاب قد دخل كلية من الخرائط والرسوم
البيانية والصور الفوتوغرافية . ومن المعلوم أن الصورة الفوتوغرافية قد
أصبحت تعتبر جزءا هاما من التقارير التي تكتب عن الأبحاث الحقلية في ميدان
الأنثروبولوجيا الاجتماعية . فالصورة تعتبر نوعا من الإثبات للوصف الذي
يقدمه الأنثروبولوجي الاجتماعي (١٨) . ونحن نلاحظ أن الكثير من العلماء قد
ضمنوا تقاريرهم عن المجتمعات التي درسوها صوراً فوتوغرافية . ونذكر على
سبيل المثال لا الحصر ساجمان (١٩) (جنوب السودان) وپريستياني (الكبشجر)
وريموند فيرث (نيكوبيا) وإيمانز پريتشارد (الازاندي) ورادكليف براون
(الانديمان) وردفيلد (شان كوم) .

وبما هو جدير بالملاحظة كذلك أن كتاب *Middletown In Transition*
قد دخل أيضا كلية من الصور الفوتوغرافية .

٦ — استمارات البحث : لم يشمل التقرير النهائي للبحث كذلك على صور
من الاستمارات والاستبيانات البريدية التي استخدمت لجمع المادة من الميدان
خلال مرحلة البحث الحقل . وقد قرر المؤلفان ذلك بقولهما أن ذلك قد تم
تلبية لرغبة المسئولين عن البحث لأستمارات خاصة بحجم الكتاب (٢٠) .

Notes and Queries On Anthropology, (sixth edition, (١٨)
1951), p. 48.

(١٩) يعمل كتاب ساجمان وزوجته من قبائل جنوب السودان على عدد كبير من
الصور الفوتوغرافية . ومن الأمثلة على ذلك لذكر الرجال ، والنساء ، الأكواخ ، القرى ،
الأضرحة ، القبور .

Ibid, p. 509 (٢٠)

٧ — اسم المدينة : لم يذكر لنا المؤلفان الاسم الحقيقي للمدينة التي قاما
بدراستها (Mucelo) وإنما نجد أنها قد أطلقا عليها اسم مستماراهو ميدلتاون .
وجدير بالذكر أن كثيرا من علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية قد اتجهوا لهذا
الاتجاه . ومن الأمثلة على ذلك نذكر دراسة وورنر وزملاؤه في جونزفيل ،
و. أوجيت هولنجهيد ، في المشاون ، و. هاري تيرني هاسي ، في
شانتو جيرار ، (٢١) .

٨ — نظام بحث الفريق : لم يذهب روبرت لند ، وحيدا إلى ميدلتاون ،
لإجراء دراسته الحقلية هناك ، كما فعل غيره من معاصريه من علماء الأنثروبولوجيا
الاجتماعية (٢٢) ، وإنما نجده قد أشرك معه زوجته وعدد من الباحثين (٢٣) .
وجدير بالذكر أن البعض من العلماء قد اتبعوا نفس هذه الطريقة أيضا . ومن
الأمثلة على ذلك نذكر دوبي ، في شاميريت (٢٤) و. وورنر ، وزملاؤه في
بانكي سيتي ، (٢٥) .

(٢١) أنظر ،

W. L. Warner and Associates, *Democracy In Jonesville*, (1940);
August Hollinghead, *Elmtown's Youth* (1947); H. Turney-High,
Chateau - Gerard (1953).

(٢٢) من العلماء القديين نزلوا وحدهم إلى الميدان نذكر مالبوسكي ورادكليف براون
وإيمانز پريتشارد .

Ibid, p. XI, (٢٣)

(٢٤) S. C. Dobe, *Indian Village* (1965), p. 18.

(٢٥) في بداية البحث الحقل في بانكي سيتي ، كان عدد الباحثين أربعة فقط . ثم
أخذوا يتزايدون تدريجيا . ومن ذلك : ونذكر لنا وورنر أن مدمم - خلال فترة البحث
الحقل - كان يتراوح بين ١٥ و ١٠ باحثا . أنظر : =

٩ - الاهتمام بدراسة التغير الاجتماعي : هذا ويهمننا أن نشير أيضا إلى أن روبرت لند، وزوجته قد درسا المدينة وقت إجراء البحث (١٩٢٤ و ١٩٢٥) ، كما أنها كانا - في نفس الوقت - يرجعان إلى الماضي (سنة ١٨٩٠) للتعرف على ما حدث من تغير في جوانب الحياة الاجتماعية . وبعبارة أخرى ، لقد درس المؤلفان الحياة الاجتماعية المعاصرة لإحدى المدن الأمريكية في ضوء التغير الذي حدث بها خلال الخمسة وثلاثين عاما الماضية (٢٦) .

ويذكر لنا المؤلفان أنه قد وقع الاختيار على سنة ١٨٩٠ لتكون نقطة البداية ، نظرا لوفرة البيانات التي يمكن الحصول عليها عن المدينة اعتبارا من ذلك العام (٢٧) .

وللحصول على صورة للحياة الاجتماعية بالمدينة في سنة ١٨٩٠ ، نجد أن المؤلفان قد اعتمدا على مصادر مختلفة نذكر منها : ذاكرة المصنين ، مذكرات بعض الأمالي ، الصحافة المحلية محاضر جلسات المنظمات ، كتب التاريخ (٢٨) .

W. L. Warner and Paul S. Lunt, *The Social Life of A-Modern Community* (1955), p. 42.

ibid. p. 6. (٢٦)

ibid, p. 5. (٢٧)

ibid, p. 506. (٢٨)

سادسا - عرض لبعض نتائج الدراسة

المرأة والعمل في ميدلتاون ، (٢٩) .

أوضحت الدراسة أن نسبة الأفراد الذين يعملون - وقت إجراء البحث - قد بلغت ٤٣ ٪ من جملة عدد السكان بالمدينة . وهذا ويلاحظ أن نسبة العاملين من الذكور (٨٠ ٪) تزيد كثيرا عن نسبة النساء العاملات (٢٠ ٪) .

كما أوضحت الدراسة كذلك أن الرجل الذي لا يعمل يتقدم مكانته بين أفراد المجتمع ، ولا سيما إذا كان سليما من الناحية البدنية . ذلك أن مجتمع ميدلتاون ، سواء في سنة ١٨٩٠ أو في سنة ١٩٢٥ - يوجب العمل بالنسبة للبالغين من الذكور .

أما بالنسبة للمرأة ، فإنه يلاحظ أن نظرة المجتمع إلى اشتغالها قد تباينت ، إلى حد كبير ؛ خلال الخمسة وثلاثين عاما الماضية .

فلقد اعترض الكثير ، من الرجال والنساء على السواء ؛ على نزول المرأة إلى ميدان العمل . ففي سنة ١٨٩٠ ، مثلا ، التحقت فتاة من أسرة مشهورة بالمدينة بوظيفة مراسلة صحفية في إحدى المحاكم . وكانت هذه هي المرة الأولى التي تشغل فيها مثل هذا المنصب . وحينما علت بذلك إحدى السيدات من صديقات والدتها الفتاة أظهرت دهشة ، كما أبدت أيضا اعتراضها الشديد على ذلك بحجة أن مثل هذا العمل ربما ، يفقد الفتاة جنسها ، ١١

كما يلاحظ كذلك أن هناك الكثير من الأفراد في ميدلتاون ، الذين

يؤيدون اشتغال المرأة ويباركون هذا الاتجاه الجديد . ففي سنة ١٩٢٤ أجرت هيئة البحث استفتاء بين ٤٤٦ طالبة في إحدى مدارس البنات بالمدينة ، لتعرف على اتجاهاتهن بالنسبة للعمل بعد التخرج . وقد كانت نتيجة ذلك الاستفتاء كما يلي :

٨٩ .٪ يرغبن في العمل بعد التخرج .

٢ .٪ مترددات .

٣ .٪ لا يرغبن .

٦ .٪ لم يجبن على الأسئلة .

معنى ذلك أن الآلية العظمى من الطالبات يتوین النزول إلى ميدان العمل بعد التخرج ، في حين أن نسبة الطالبات غير المؤيدات كانت نسبة ضئيلة جداً . وفي الوقت الحاضر ، يلاحظ أيضاً أن الزوجات اللاتي لا يعملن يجارن بالشكوى من اشتغال المرأة المتزوجة . فمن رأيهن ، تزاحم الرجل في عمله ، وتعمل على خفض الأجور كما يزدى اشتغالها أيضاً إلى إهمال الأطفال ، وربما تعتمد إلى التهرب من مسؤوليات الإنجاب . وبالإضافة إلى ما تقدم ، فإن الزوجة العاملة ، باختلاطها بغير تكلف بالرجال داخل المصنع ، تشجع على الطلاق . كذلك يبدى الكثير من الأزواج أيضاً اعتراضهم على اشتغال زوجاتهم ، بحجة أن ذلك ربما يعتبر انعكاساً لمدى قدرتهم على إعالة الأسرة .

ورغماً من كل هذه الاعتراضات على اشتغال المرأة المتزوجة ، فإن الإحصاءات تبين أن النساء المتزوجات اللاتي يعملن بأجر ، قد تضاعف عددهن خلال الخمسة والثلاثين عاماً الماضية .

واكن : لماذا تعمل المرأة المتزوجة ؟

أوضحت الدراسة أن امرأة واحدة فقط ، من بين ٤٠ امرأة من طبقة رجال الأعمال ، قد اشتغلت (في الفترة من سنة ١٩٢٠ حتى سنة ١٩٢٤) بفرض الحصول على المال . وجدير بالذكر أن طبيعة العمل الذي التحقت به هذه السيدة كانت تعتبر نصف فنية .

وبالنسبة للطبقة العاملة ، فقد قامت هيئة البحث كذلك بالتعرف على الأسباب التي دعت ٥٥ امرأة متزوجة إلى العمل (في الفترة من سنة ١٩٢٠ حتى سنة ١٩٢٤) وقد تبين الآتي :

عدد النساء أسباب اشتغال المرأة .

٢٤	كانت بطالة الزوج هي السبب الرئيسي .
٦	الحاجة إلى المال اللازم لتعليم الأطفال .
٥	الديون .
٤	الحاجة المتزايدة إلى المال ، ذلك أن دخل شخص واحد بمفرده لم يعد يكفي الأسرة في الوقت الحاضر .
٣	كثرة الأطفال .

أما بقية الجيبات ، وعددهن ١٣ امرأة ، فقد ذكرن إجابات مختلفة :

كنت أشعر بالملل من إدارة شئون البيت . كذلك كان طفلي قد بلغ من العمر خمسة شهور ويمكن تركه لغيري .

كنت في حاجة إلى ملابس .

كنت أرغب في أن أنفق من دخلي الخاص .

لقد تمكن غيري من النساء من أن يعملن ، وشعرت أنا بدوري أنه ينبغي

على أن أعمل مثلهن .

كان زوجي مريضا ، ومن ثم فقد كان لزاما علي أن أعمل .

وجدير بالذكر أن هيئة البحث قد قامت بدراسة لعدد من الحالات (من الزوجات العاملات) ، بغرض إلقاء المزيد من الضوء على العوامل التي تدفع المرأة المتزوجة إلى العمل . وفيما يلي عرض موجز لبعض هذه الحالات :

الحالة رقم ١ : أتبلغ هذه السيدة من العمر ٤٥ عاما . وهي أم لاربعة أولاد أعمارهم كالآتي : ١٨ سنة ، ١٦ سنة ، ١٥ سنة و ١٢ سنة .

وقد اشتغلت في مصنعين مختلفين لمدة خمسة عشر شهرا خلال الخمس سنوات الماضية . وكان أجرها الأسبوعي ، سواء في المصنع الأول أم في المصنع الثاني ، هو خمسة عشر دولار تقريبا . وبالنسبة لعدد ساعات العمل اليومية ، فإنها كانت تعمل في المصنع الأول لمدة عشر ساعات ، وفي المصنع الثاني لمدة تسعة ساعات ونصف . وقد توقفت عن العمل في المصنع الأول نظرا لاستغناء المصنع عن خدماتها ، في حين أنها توقفت عن العمل في المصنع الثاني بسبب اعتلال صحتها .

وتحدثنا هذه السيدة عن الأسباب التي دفعتها إلى العمل ، فتقول :

لقد أجريت لزوجي عملية جراحية ، وقد أردت أن أعاون في دفع حساب الطبيب المعالج . بعد ذلك عاد زوجي إلى عمله ، لكن المصنع لم يلبث أن استغنى عن خدماته . وقد ظل عاطلا عن العمل لمدة تسعة شهور خلال العام الماضي . وبالإضافة إلى ما تقدم ، فقد كان الأولاد في حاجة إلى ملابس ، وكان لزاما علي أن أعمل من أجل ذلك .

وجدير بالذكر أن هذه السيدة كانت تبذل تعاهدي جهدها للعمل في بيتها بعد انتهاء فترة عملها يوميا بالمصنع . كما أنها كانت في يوم الأحد من كل أسبوع ، تغسل ملابس الأسرة ثم تقوم بكيها بعد ذلك . ورغما من ذلك كله ، فقد اضطرت إبنيتها الكبرى إلى التوقف عن مواصلة الدراسة في المدرسة ، وذلك لكي تبقى في البيت لرعاية الأطفال .

الحالة رقم ٢ : تبلغ هذه السيدة من العمر ٤٦ عاما . وهي أم لثلاثة أولاد أعمارهم كالآتي : ١٩ سنة ، ١٣ سنة و ١٠ سنوات . أما زوجها فهو يعمل في إحدى الورش الميكانيكية ، ويبلغ من العمر ٤٩ سنة .

وقد التحق الابن الأكبر بإحدى الكليات . ولما كانت الأم ترغب في تعليم أولادها تعليما عاليا ، فقد التحقت بالعمل في أحد المصانع بالمدينة ، وهي تنوي أن تستمر في عملها حتى تتمكن من تحقيق أميتها .

الحالة رقم ٣ : تبلغ هذه السيدة من العمر ٤٢ عاما . وهي تقوم بالتنظيف في إحدى المؤسسات العامة لمدة ستة أيام في كل أسبوع . أما زوجها فهو يعمل براد مواسير . والأسرة لديها ولدين اثنين فقط ، وقد ألحقتهما في إحدى المدارس .

وبالنسبة للظروف التي أحاطت باشتغال هذه الزوجة ، فإنها تلتخص في الآتي :

التحقت هذه السيدة بالعمل في أثناء الحرب العالمية الأولى ، شأنها في ذلك شأن الكثير من الناس في ذلك الحين . فالأسعار كانت في ارتفاع مستمر ، وكان لزاما عليها أن تساهم لتوفير ما يتطلبه البيت . وفي البداية اعترض الزوج على اشتغال زوجته ، أما الآن فهو لا يمانع في ذلك .

ونتيجة لاشتغال الزوجة فقد تمكنت الأسرة من :

١ - بناء بيت جميل يبلغ ثمنه حوالي ١٠٠٠ دولار .

٢ - شراء سيارة وغسالة كهربائية ومكواة كهربائية ومكنسة شفافة

وثلاجة .

٣ - القيام برحلة إلى بنسلفانيا ، لقضاء إجازة العطلة الصيفية هناك .

وبالنسبة للمستقبل ، فإن الزوجة تنوي أن تستمر في عملها حتى تتمكن من تعليم ولديها تعليما عاليا ، وحتى توفر المصروف اللازم لهما .

الفصل الخامس عشر

يانكي سيتي وجونز فيل

و. ل. وورنر

أولا - لمح من حياة وورنر ومواقفه^(١)

اشتهر عالم الأنثروبولوجيا الأمريكي ، و. ل. وورنر W. L. Warner ، (١٨٩٨ -) بأبحاثه الحقلية عن البدائيين في أستراليا وكذلك بأبحاثه الحقلية عن المجتمعات الحضرية في الولايات المتحدة .

ففي سنة ١٩٢٦ ، سافر وورنر إلى أستراليا للقيام بدراسة حقلية عن الموريجن . وقد استغرقت تلك الدراسة ثلاث سنوات (١٩٢٦-١٩٢٩) . وبالنسبة لنتائج ذلك البحث الحقل ، فقد نشر وورنر عددا من المقالات في عدة

(١) أرسل إل الأستاذ و. ل. وورنر خطابا بتاريخ ١٢ أبريل سنة ١٩٦٨ ذكر به شكرنا من البيانات من أعماله القيمة . كما أنه قد أرسل إل أيضا صورة فوتوغرافية له (الصورة النادرة في الصفحة الغاية) .

دوريات ، كما نشر أيضا كتابا ظهر لأول مرة سنة ١٩٢٧ .

وبعد عودته من استراليا ، اتجه وورنر للقيام بدراسات عديدة عن المجتمع الأمريكي . ومن الأمثلة على تلك الدراسات نذكر دراسته هو وزملاؤه عن « يانكي سيق » ، و « جونزفيل » .

كما يمكننا أن نشير كذلك إلى أن وورنر كان رئيسا لفريق علماء الانثروبولوجيا الاجتماعية الذي أرسله قسم الانثروبولوجيا بجامعة هارفارد إلى أيرلنده لإجراء دراسات حقلية هناك (٢) (١٩٣١ ، ١٩٣٢) .

وبالنسبة للتدريس بالجامعات ، فقد قام وورنر بالتدريس في جامعة هارفارد (١٩٢٩ — ١٩٣٥) ثم في جامعة شيكاغو في الفترة من سنة ١٩٣٥ حتى سنة ١٩٥٩ . ثم انتقل بعد ذلك إلى جامعة ميتشيجان ليشغل وظيفة أستاذ البحوث الاجتماعية هناك .

ومن مؤلفاته نذكر : « A Black Civilization : A Social Study of an Australian Tribe »

New York : Harper & Brothers, 1937.

Color and Human Nature. Co-Author with Buford Junker and Walter A. Adams. Washington, 1941.

Who Shall be Educated ? Co author with Robert I. Havighurst and Martin B. Loeb. New York ; Harper and Brothers, 1945.

W. L. Warner, "Preface" in *Family And Community in Ireland* by Conrad Arensberg and Solon T. Kimball, Harvard University Press, 1940, p. ix.



صورة رقم ٦١/

و . ل . وورنر

Social Class in America, Co-author with Marchia Meeker and Kenneth Eells. Chicago, 1949.

Democracy in Jonesville. Warner and associates. New York : Harper and Brothers, 1949.

The Corporation in the Emergent American Society. New York. Harper and Brothers, 1961.

The Social Life of a Modern Community. Co-author with Paul S. Lunt. New Haven : Yale University Press, 1941.

The Status System of A Modern Community. Co-author with Paul S. Lunt. New Haven ; Yale University Press, 1942.

The Social Systems of American Ethnic Groups. Co-author with Leo Srole. New Haven ; Yale University Press, 1945.

The Social System of The Modern Factory. Co-author with J. O. Low. New Haven ; Yale University Press, 1947.

« Birth Control in Primitive Society » *Birth Control Review*, Vol. xv, No. 4 : 105—107 (April 1931).

« Murogin Warfare », *Oceania*, Vol. I No. 4, « Jan. — Mar., 1931.

« Anthropology », *Encyclopaedia Britannica* (Jan, 1941).

« Social Anthropology and the Modern Community », *American Journal of Sociology*, May 1941.

« The Factory in the Community » by W. Lloyd Warner and J. O. Low in *Industry and Society*, edited by William F. Whyte (New York : Mc Graw-Hill Book Co. Inc., 1946).

A Methodology for the Study of Social Class", in *Social Structure*, edited by Meyer Fortes, Oxford University Press, 1949.

"Social Stratification" in *Review of Sociology* : 1945-55, edited by Joseph B. Guttler, New York: John Wiley & Sons, 1957.
 "Women Executives in the Federal Government", by W. Lloyd Warner and others, *Journal of the Public Personnel Association*, Vol 23, No 4, Oct. 1962, p.p. 327-34.

ثانيا - لمحة عن يانكي سيتي

تقع . يانكي سيتي Yankee city ، في نيو إنجلاند بالولايات المتحدة (٢). وقد أنشئت هذه المدينة في النصف الأول من القرن السابع عشر ، وبذلك فإنها تعتبر من أقدم المدن بالولايات المتحدة .

ومن الناحية العددية ، تعتبر . يانكي سيتي ، من المدن الصغيرة ، فقد بلغ عدد السكان بها ، وقت إجراء البحث ، ١٧,٠٠٠ نسمة تقريبا (٣) .

وأما من ناحية التركيب السكاني ، فإن هيئة البحث قد قسمت سكان المدينة إلى عشر جماعات هي : اليانكي yankees ، أو أبناء البلد ، جماعة الأيرلنديين ، جماعة الفرنسيين ، جماعة اليهود ، جماعة الإيطاليين ، جماعة البولنديين ، جماعة اليونانيين ، جماعة الأرمن ، جماعة الروس ، جماعة الزلوج . وقد أطلقت هيئة البحث على جماعات الأيرلنديين والفرنسيين واليهود والإيطاليين والبولنديين واليونانيين والأرمن والزلوج كلمة ، جماعات إثنية Ethnic groups (٤) .

W. L. Warner and P. S. Lunt, *The Social Life of A* (١)
Modern Community p. 76.

Ibid p. 77 (٢)

ويعتبر بالذکر أن كلمة . إثني ethnic ، لا يقصد بها - في هذا البحث - المولد في بلد أجنبي . لقد كان الفرد يرد ضمن جماعة إثنية معينة إذا كان هو شخصيا يعتبر نفسه عضوا في هذه الجماعة أو إذا كان مجتمع . يانكي سيتي ، يعتبره عضوا في هذه الجماعة . وعلاوة على ما تقدم ، فهناك أيضا مشاركة العضو في الهيئة هذه الجماعة الإثنية . وقد بلغت نسبة . اليانكي ، بالمدينة ٥٣,٨ ٪ من الجملة الكلية لعدد السكان بها ، أما الجماعات الإثنية فقد بلغت نسبتها ٤٥,٥٥ ٪ . وتعتبر جماعة الأيرلنديين هي أكثر الجماعات الإثنية عددا (٣٩,٤٣ نسمة ، في حين أن جماعة الزلوج هي أقلها عددا (٥) (٨ نسمة) .

وتوجد بالمدينة صناعات مختلفة نذكر منها صناعة الأحذية وصناعة الأدوات النحاسية وصناعة القبعات . وتعتبر صناعة الأحذية هي أكبر الصناعات بالمدينة وأكثرها أهمية . وقد بلغت جملة القوة العاملة بالمدينة وقت إجراء البحث ٦,١٥٥ نسمة . وبالنسبة لتقسيم هذه القوة العاملة حسب النوع ، فإننا نلاحظ أن نسبة الذكور (٧١ ٪) تزيد على ضعفى نسبة الإناث (٢٩ ٪) (٦) . ويوجد بالمدينة عدة كنائس ومعبد لليهود (٧) . وكذلك يوجد بها أيضا صحافة عليا وهيئات اجتماعية ، وعدد من المدارس والجمعيات والمنظمات .

Ibid, p. 78 (٥)

Ibid, p. 258 (٦)

Ibid, p. 79 (٧)

ثالثاً - ملاحظات عن كيفية إجراء البحث في يانگی سیتی

١ - تمويل البحث الحالي
تمت جامعة قاردا التمويل اللازم لإجراء
البحث الحالي (١) .

٢ - مدة الدراسة المطلوبة . أجرى البحث الحقل في ديانكي سيتي ، في الفترة من سنة ١٩٢٠ حتى ١٩٢٥ . كما أن هيئة البحث قد عادت ثانية إلى المدينة في سنة ١٩٤٥ بغرض جمع مزيد من المعلومات عن الدراسة التي قامت بها عن التنظيم الاجتماعي في المصنع الحديث ، والتي نشرت لأول مرة سنة ١٩٤٧ (٩) .

٣ - المعايير التي اتخذت لاختيار مجتمع البحث. اشترطت هيئة البحث ضرورة توافر عدة مقاييس بالنسبة للجمع المراد دراسته. ومن هذه المقاييس تذكر (١٠) :

- ١ - أن يكون المجتمع متكاملا بدرجة كبيرة .
- ٢ - أن تكون غالبية سكان المدينة من ، الامرئيين القدامى ، .
- ٣ - أن يكون للمجتمع تقاليد قديمة . بمعنى أن يكون التنظيم الاجتماعي بالمدينة راسخا ، وأن تكون العلاقات بين الافراد محددة بدقة ومعروفة لهم .
- ٤ - أن تكون هناك صناعات industries قليلة ومصانع factories كثيرة .
- ٥ - أن تكون المدينة قائمة بذاتها بدرجة كافية autonomous . بمعنى

Ibid, p. xi (A)

W. L. Warner and J. O. Low, *The Social System of (1)*
The Modern Factory p.p. 5-6

The Social Life of A Modern Community, p.p. 38.39 (10)

أن تكون هذه المدينة لماحياتها الخاصة بها ، ولا تكون مجرد ذيل أو تابع satellite لإحدى المدن الكبيرة .

٦ - أن توجد بالمجتمع عدة جماعات إثنية، حيث أن مثل هذه الجماعات توجد في الغالبية الكبرى من المجتمعات الأمريكية.

٧ - أن تكون المدينة صغيرة من حيث المساحة وعدد السكان . ذلك أن طرق الملاحظة المفصلة يصعب تطبيقها في المدينة الكبيرة بسبب عوامل الوقت والتمويل financing وصغر حجم هيئة البحث . research staff . ومن ثم فقد استقر الرأي على اختيار مدينة يقل عدد السكان بها عن ٢٠٠.٠٠٠ نسمة . فكل هذا المجتمع يمكن أن يعكس الكثير من تعقيد الحياة الحديثة في المجتمع الأمريكي ، ولا تكون هناك - في نفس الوقت - استحالة في إمكانية تطبيق الدراسة المفصلة .

٤ - اسم المدينة . لم يذكر لنا وورنر وزملاؤه الاسم الحقيقي للمدينة التي قاموا بدراسةها (نيو برى پورت Newbury Port) وإنما نجد أنهم قد أطلقوا عليها اسما مستعارا هو : يانكى سیتی Yankee City وجدير بالذكر أن وورنر وزملاؤه - في بحث آخر - قد فعلوا هذا أيضا ، فأطلقوا على المدينة اسم : جونزفيل Jonesville . . .

٥ - فريق البحث . لم يذهب وورنر وحده لإجراء البحث في ، يانكي سيتى ، كما سبق وفعل من قبل في دراسته للورنجين في استراليا ، ومن العلماء الذين أشركوا معه في إجراء ذلك البحث نذكر ل . سرول L. Srole ، ب . من . لنت P. S. Lunt ، ج . لو J. O. Low ، ب . جاردنر B. Gardner ، من . كيمبول Kimball د ، ك . أرنسبرج C. Arensberg

وفي البداية كانت هيئة البحث المحلي تتكون من أربعة باحثين فقط ، ثم ازداد عددهم بعد ذلك . وكان العدد يتراوح بين ١٠ و ١٥ باحثا (١١) .
وبالنسبة لتوزيع الباحثين ، فقد راعت الهيئة مدى كفاءة الباحث واستعداده .
فثلاث أئمت الهيئة دراسة البنوك بالمدينة إلى أحد الباحثين في علم الاقتصاد an economist . كما أئمت دراسة التعليم إلى باحث لديه معرفة كبيرة بالتعليم هناك .

ولا شك أن لم جامعة هارفرد كان له أثره الكبير في حصول أفراد هيئة البحث على ثقة واحترام مجتمع . يانكي سيق ، (١٢) .

وجدير بالذكر أن نظرة أفراد المجتمع إلى مهمة فريق البحث بالمدينة قد تبأنت إلى حد كبير . فقد ظن الكثير من المسنين أن الفريق يهتم بدراسة التاريخ الاجتماعي social history . كما اعتقد رجال الصناعة والبعض من الأعمال أن مهمة الفريق هي دراسة الاقتصاد الاجتماعي بالمدينة . وكذلك يتأثر إلى ذهن الكثيرات من السيدات المسنات أن مهمة الفريق هي دراسة تاريخ الأنساب genealogical history . أما أولئك الأشخاص الذين كانوا كثيرا ما يشاهدون أعضاء الفريق في الحفلات والمآدب ، فقد نظروا إليهم على أنهم مجرد جماعة من الشبان لديهم وقتا كافيا للهو ، ولا يهتمون كثيرا بالالتفات إلى أعمالهم (١٣) .

Ibid, p. 42 (١١)
Ibid, p. 43 (١٢)
Ibid, p. 43 (١٣)

٦٢ - وسائل جمع البيانات : قام كثير من علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية عند عرض النتائج النهائية لدراساتهم المحلية - بتخصيص جزء من تقاريرهم لشرح المنهج الذي اتبعوه والأدوات التي اعتمدوا عليها لجمع المعلومات . ومن الأمثلة على ذلك بلذكر رينرز ، مالفينوسكي وريغوند فيرت . ولقد سار وورنر وزملاؤه على هذا المثال ، فخصصوا جزءا من الكتاب الأول في سلسلة يانكي سيق ، لايضاح وسائل جمع البيانات (١٤) . وفيما يلي عرض موجز لهذه الوسائل :

أقام أعضاء فريق البحث بالمدينة عدة سنوات ، وشاركوا خلالها في الحياة الاجتماعية هناك . فثلاث أئمت هيئة البحث بعض الباحثين fieldmen بالمصانع لملاحظة سلوك العمال وعلاقاتهم الاجتماعية . كما خصصت بعض الباحثين ليكولوا في صفوف العمال أثناء فترة الاضراب strike عن العمل بالمصانع (١٥) .

ولقد كانت المقابلة interview هي الإدارة الأساسية (١٦) لجمع المعلومات كما أنها كانت تعتبر أكثر الأدوات أهمية . وهناك أيضا الملاحظة والإحصاءات المختلفة والوثائق فضلا عن ذلك ، فقد تم الاعتماد على وسائل أخرى نذكر منها :

١ - استمارة البحث : مثلاً نجد أن هيئة البحث قد صنفت استمارات لدراسة ميزانية بعض الأسر بالمدينة . وجدير بالذكر أن هذه الاستمارة قد اشتملت على كثير من البيانات نذكر منها : وصف الأسرة ، وصف المسكن ، الدخل ،

Ibid, p. 88-75 (١٤)
Ibid, p. 43 (١٥)
Ibid, p. 44. (١٦)

الإيجار ، الطعام ، الملابس ، إدارة المحكن ، السيارة ، التسلية ، الإحصاء ، التعليم ، الطابا ، نفقات العلاج ، نفقات الدفن ، الضرائب ، المرفر المدخرات ، الديون . كذلك نلاحظ أن هيئة البحث قد صممت أيضا استمارة لجمع معلومات عن تلاميذ المدارس وأسرهم . وقد أطلعت على هذه الاستمارة : الإحصاء التاريخي والجينالوجي للدارس في نيو إنجلاند ، (١٧) .

ب - سلاسل النسب : اهتم فريق البحث بدراسة سلاسل النسب الخاصة بالأسر . كذلك نلاحظ أنهم قد درسوا أيضا سلاسل النسب الخاصة بالمنازل القديمة بالمدينة (١٨) .

ج - السير : مثلاً نلاحظ أن هيئة البحث قد جمعت سير بعض رجال البنوك ، وبعض الشخصيات السياسية وكذلك بعض الأشخاص الناجحين في ميدان صناعة الأحذية (١٩) .

د - الصحافة المحلية . كانت الهيئة تجمع قصصاً من الصحف تحت عناوين مختلفة مثل : البنوك ، السيارات ، السجون ، المحاكم ، الصحة ، المهنات الاجتماعية ، الكنائس ، الأسرة (المواليد - الخطوبة - الطلاق - أعياد الميلاد - الوفيات) . وترى هيئة البحث أن الصحافة قد أفادت لأنها كانت تمدها بوصف للأحداث بالمدينة . هذا فضلاً عن أن الصحافة كانت أيضاً تعكس اتجاهات بعض الجماعات الاجتماعية بالمدينة (٢٠) .

Ibid, p. 57 (١٧)

Ibid, p. p 60-61 (١٨)

Ibid, p. 59 (١٩)

Ibid, p. p. 65-68 (٢٠)

هـ - الصور التوثيقية والجغرافية : تضمنت التقارير الخاصة بنتائج بحث : يانكي سيتي ، عدداً من الرسوم البيانية . إلا أننا نلاحظ أن هيئة البحث لم تضمن تقاريرها صوراً فوتوغرافية رغم أنها قد ذكرت صراحة أنها قد قامت بتصوير المنازل بالمدينة (٢١) .

وأما بالنسبة للخرائط ، فقد ضمنت هيئة البحث تقاريرها خريطة للناطق الإيكولوجية بالمدينة (٢٢) ، ولكنها لم تقدم لنا خريطة توضح موقع المدينة في الولايات المتحدة .

نشر نتائج الدراسة لم تشر نتائج هذه الدراسة الميدانية في كتاب واحد ؛ وإنما نجد أن وورنر وزملاؤه قد نشروا سلسلة من الكتب أطلقوا عليها ، سلسلة يانكي سيتي ، . وقد ظهر الكتاب الأول في هذه السلسلة لأول مرة سنة ١٩٤١ . وفيما يلي ملاحظات موجزة عن بعض هذه الكتب :

The Social Life of A Modern Community. Co-author With Paul S. Lunt New Haven : Yale University Press, 1941.

هذا الكتاب هو الكتاب الأول في سلسلة يانكي سيتي ؛ وقد نشر لأول مرة سنة ١٩٤١ . ويعد القارئ في هذا الكتاب وصفاً للذبح الذي طبقته هيئة البحث ، كما أنه يجد أيضاً وصفاً تفصيلياً للحياة الثقافية للجمع . ومن النقاط التي توجد في هذا الكتاب نذكر : توزيع السكان في الطبقات الاجتماعية ، وتوزيع أفراد الطبقات الاجتماعية حسب النوع وكذلك حسب فئات الأعمار ، المناطق

Ibid, p. 44 (٢١)

Ibid, p. 228 (٢٢)

الإيكولوجية ، المساكن ، الزواج والأسرة ، الحياة الاقتصادية ، دراسة ميزانية كل طبقة ، الهيئات الاجتماعية ، الكنائس .

The Status System of A Modern Community. Co-author With Paul S. Lunt. New Haven : Yale University Press, 1943.

ويحتوي هذا الكتاب على وصف تفصيلي وتحليل دقيق للنظام الطبقي بالمدينة. وقد نشر هذا الكتاب لأول مرة سنة ١٩٤٢ .

The Social Systems of American Ethnic Groups. Co-author With Leo Stole. New W Haven: Yale University Press, 1945

ويحتوي هذا الكتاب — الذي نشر لأول مرة سنة ١٩٤٥ — على دراسة تفصيلية للحياة الاجتماعية لعدد من الجماعات الإثنية بالمدينة . ويعد القارئ في هذا الكتاب تفسيراً للكيفية التي تحاول بها تلك الجماعات الإثنية أن تحافظ على تقاليدهما الثقافية القديمة ؛ كما أنه يجد في نفس الوقت أيضاً وصفاً لمظاهر التغير الاجتماعي الذي يطرأ على هذه الجماعات . ومن موضوعات هذا الكتاب نذكر : توزيع الجماعات الإثنية حسب المناطق السكنية ، الجماعات الإثنية والحياة الاقتصادية ، الجماعات الإثنية والطبقات الاجتماعية . الكنيسة ، اللغة والمدرسة ، الهيئات الاجتماعية .

The Social System of The Modern Factory Co-author With J. O. Low. New Haven : Yale University Press, 1947.

نشر هذا الكتاب لأول مرة سنة ١٩٤٧ . وقد سبق وأشرنا من قبل إلى أن البيانات الخاصة بهذا الكتاب قد جمعت في الفترة من سنة ١٩٣٠ حتى سنة ١٩٣٥ ،

نشر هذا الكتاب لأول مرة سنة ١٩٤٧ . وقد سبق وأشرنا من قبل إلى أن البيانات الخاصة بهذا الكتاب قد جمعت في الفترة من سنة ١٩٣٠ حتى سنة ١٩٣٥ ، وكذلك في خلال عام ١٩٤٥ . ويحتوي هذا الكتاب على دراسة للتظيم الاجتماعي في المصنع الحديث . وجدير بالذكر أن الكتاب يحتوي على دراسة تحليلية لظاهرة إضراب العمال عن العمل في المصانع (٢٢) .

(٢٣) ذكر الأستاذ و ل وورنر (في خطاب أرسله إلى بيارغ ١٠ نوفمبر سنة ١٩٥٩)

أن كتاب *Data Book For the Yankee City Series* لم ينشر بعد .

رابعاً - عرض لبعض نتائج الدراسة في يانكي سيتي

(١)

الطبقات الاجتماعية

تبين من الدراسة الميدانية أن مجتمع يانكي سيتي ، ينقسم إلى ست طبقات اجتماعية هي :

١ - الطبقة العليا العليا	Upper — upper class
٢ - الطبقة العليا السفلى	Lower — upper class
٣ - الطبقة الوسطى العليا	Upper — middle class
٤ - الطبقة الوسطى السفلى	Lower — middle class
٥ - الطبقة الدنيا العليا	Upper — lower class
٦ - الطبقة الدنيا السفلى	Lower — lower class

جدول رقم ٢ /

النسبة المئوية لتوزيع الأفراد بالطبقات الاجتماعية

الطبقة الاجتماعية	النسبة المئوية
العليا العليا	١,٤٤
العليا السفلى	١,٥٦
الوسطى العليا	١٠,٢٢
الوسطى السفلى	٢٨,١٢
الدنيا العليا	٢٢,٦٠
الدنيا السفلى	٢٥,٢٢
غير معلوم	١,٨٤
الجملة	١٠٠ ٪

ويتضح لنا من دراسة الجدول السابق أن الطبقة العليا العليا هي أقل الطبقات الاجتماعية عدداً (١,٤٤ ٪) ؛ كما يتضح لنا أيضاً أن الطبقة الدنيا العليا هي أكثر الطبقات عدداً (٢٢,٦٠ ٪) . ورغم أن الأرقام بالجدول السابق تبين لنا أن حجم الطبقة - بصفة عامة - يزداد كلما نزلنا في السلم الطبقي ، إلا أننا نلاحظ أن توزيع السكان في الطبقات الاجتماعية لا يتخذ شكلاً هرمياً . فالطبقة الدنيا السفلى ليست هي أكثر الطبقات الاجتماعية عدداً (٢٥,٢٢ ٪) (٢٤) . و جدير بالذكر أن الدراسة المحلية التي قام بها وورنر وزملاؤه في جوفرفيل ، فيما بعد ، قد أوضحت لنا أيضاً أن توزيع السكان في الطبقات الاجتماعية هناك لا يتخذ شكلاً هرمياً (٢٥) .

(٢)

الزواج والأسرة

تبين من الدراسة أن ثلث سكان المدينة ، الذين بلغوا من العمر خمسة عشر عاماً فأكثر ، لم يتزوجوا أبداً .

وبالنسبة لحجم الأسرة ، فقد أوضحت الدراسة أن أسر الطبقة العليا تندم بصغر حجمها ، في حين أن أسر الطبقة الدنيا تندم بكثرة عددها .

وبالنسبة لسن الزوج و سن الزوجة ، فقد أوضحت الدراسة أن غالبية المتزوجين (٧١,٦٧ ٪) من أهل المدينة قد تزوجوا من نساء أصغر منهم سناً ، بينما بلغت نسبة الرجال الذين تزوجوا من نساء أكبر منهم سناً ١٧,٥٨ ٪ . أما الرجال الذين تزوجوا من نساء من نفس سنهم ، فقد بلغت نسبتهم ١٠,٧٥ ٪ .

Ibid. p. 203 (٢٤)

W. L. Warner and Associates, *Democracy In* (٢٥)

Jonesville p. p 24—25.

كذلك أوضحت لنا الدراسة أن متوسط السن عند الزواج يزداد كلما ارتفعنا في السلم الطبقي . فالطبقة العليا العليا هي صاحبة أعلى متوسط للسن عند الزواج ، في حين أن الطبقة الدنيا السفلى هي صاحبة أقل متوسط للسن عند الزواج . والأرقام الواردة بالجدول رقم ٢ / توضح لنا ذلك (٢٦) .

جدول رقم ٢ /

متوسط السن عند الزواج في كل طبقة اجتماعية

الطبقة الاجتماعية	متوسط السن عند الزواج (بالسنوات)
العليا العليا	٢٧،٩٠
العليا السفلى	٢٦،٦٠
الوسطى العليا	٢٦،١٠
الوسطى السفلى	٢٥،١٠
الدنيا العليا	٢٤،٤٠
الدنيا السفلى	٢٣،١٠
للمجتمع بأكمله عامة	٢٤،٤٠

(٣)

الصفات الاجتماعية

الخاصة بأفراد الطبقة الدنيا السفلى

ويجد القارىء في سلسلة « يانكي ستي » عرضاً تفصيلياً لصفات الاجتماعية المميزة لكل طبقة اجتماعية ونحن نكتفى هنا بتقديم عرض موجز لصفات الاجتماعية الخاصة بأفراد الطبقة الدنيا السفلى :

تختلف هذه الطبقة عن جميع الطبقات الأخرى من ناحية التقسيم حسب النوع . فقد بلغت نسبة الذكور بها ٥٢،٨٢ ٪ ، بينما نجد أن نسبة الذكور في جميع الطبقات الأخرى تقل عن نسبة الإناث بها [مثلاً : نسبة الإناث في الطبقة العليا هي ٦٠ ٪ ، وفي الطبقة المتوسطة العليا هي ٥٥ ٪] . وبالنسبة للأفراد الذين تزيد أعمارهم عن ٦٠ سنة ، فإن هذه الطبقة هي صاحبة أقل نسبة بين الطبقات جميعاً .

وتتسم هذه الطبقة بوجود نسبة كبيرة من الأفراد من الجماعات الإثنية بها . (مثلاً : ينتمى كل الزنوج بالمدينة إلى هذه الطبقة . كما ينتمى بئس من جماعة البولنديين إلى هذه الطبقة) .

وأفراد هذه الطبقة يتزوجون مبكراً عن غيرهم من أفراد الطبقات الأخرى . وقد بلغت نسبة الزيجات التي تمت في سن أقل من ٢١ سنة في هذه الطبقة حوالي ٣٥ ٪ من جملة الزيجات بها .

وتوجد في هذه الطبقة أعلى نسبة للعمال شبه المهرة والعمال غير المهرة . وتعمل نسبة كبيرة من أفراد هذه الطبقة في مصانع الأحذية والقبعات وكذلك في النقل .

وهذه الطبقة هي صاحبة أعلى نسبة للبطالة بين الطبقات جميعا . كما أنها أيضا هي صاحبة أكبر نسبة للأشخاص الذين لديهم عملا بعض الوقت فقط .

ويحصل حوالى ثلث أفراد هذه الطبقة على معونات من مصادر مختلفة . وقد بلغت نسبتهم ٦٥ ٪ من الجملة الكلية للأفراد الذين يتلقون إعانات المدينة كلها .

وتتسم مساكن أفراد هذه الطبقة بارتفاع نسبة المساكن الصغيرة والرديئة . كما أن ثمن مساكن أفراد هذه الطبقة يقل كثيرا عن ثمن مساكن الأفراد بالطبقات الأخرى . ومن ناحية ملكية المسكن ، فإن قلة ضئيلة (٦ ٪) هي التى تمتلك مسكنا . وفضلا عن ذلك ، فإن إيجارات هذه المساكن هي أقل الإيجارات فى جميع الطبقات . وبالنسبة لموقع مساكن أفراد هذه الطبقة ، فإن الدراسة تبين أن نسبة كبيرة منها تقع فى مناطق سكنية رديئة تشمل منطقة ريفر بروك Riverbrook ، التى تعتبر أحط منطقة سكنية بالمدينة .

وقد بلغت نسبة الأشخاص المقبوض عليهم من أفراد هذه الطبقة بواسطة البوليس ٦٥ ٪ من جملة الأشخاص المقبوض عليهم بالمدينة كلها . كما بلغت نسبة الأشخاص (من أفراد هذه الطبقة) الذين تم القبض عليهم ١١ ٪ من الجملة الكلية لأفراد هذه الطبقة ، تقل أعمارهم عن ثمانية عشر عاما .

وترفع نسبة الأطفال الذين يعملون من أبناء هذه الطبقة . وينزل الكثير منهم إلى ميدان العمل قبل بلوغ السادسة عشر من عمرهم .

ومن دراسة توزيع المستفيدين بخدمات المكتبات العامة حسب الطبقة ، يتضح لنا أن نسبة ضئيلة تنتمى إلى الطبقة الدنيا السفلى .

خامسا - جونزفيل

تقع جونزفيل Jonesville ، فى ولاية نورث كارولاينا North Carolina ، بالولايات المتحدة (٢٨) . وقد أنشئت هذه المدينة خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر (٢٩) (سنة ١٨٣٤) . وفى سنة ١٩٤٨ كان عدد سكانها قد بلغ ١٥٠ نسمة . ثم أخذ عدد السكان يزداد بعد ذلك حتى أصبح وقت إجراء البحث ٦٠٠٠٠ نسمة تقريبا (٣٠) .

ويوجد بالمدينة مصنع كبير وعدة مصانع صغيرة . وفضلا عن ذلك فهناك أيضا نشاط تجارى ملحوظ . ويوجد بالمدينة كذلك هيئات اجتماعية مختلفة (جمعيات خيرية ، أندية اجتماعية) وقد بلغ عددها ١٧٦ هيئة (٣١) .

وقد انتهت هيئة البحث من الدراسة إلى أن مجتمع جونزفيل ، ينقسم إلى خمس طبقات اجتماعية هي : الطبقة العليا (٣ ٪) ، الطبقة الوسطى العليا (١١ ٪) ، الطبقة الوسطى السفلى (٣١ ٪) ، الطبقة الدنيا العليا (٤١ ٪) ، الطبقة الدنيا السفلى (١٤ ٪) . وبذلك تكون الطبقة الدنيا العليا هي أكثر الطبقات عدداً . وبعبارة أخرى ، يلاحظ أن توزيع السكان فى الطبقات الاجتماعية بالمدينة لا يتخذ شكلا هرميا ، تماما كما هو الحال فى يانكي سيتى (٣٢) .

وكما هو الحال فى يانكي سيتى ، نلاحظ أن وورنر قد أمضى عدة سنوات

W L. Warner and Associates, *Democracy In Jonesville*, p. ٢٧ (٢٨)

Ibid, p. 5. (٢٩)

Ibid, p. 267 (٣٠)

Ibid, p. 115. (٣١)

Ibid, pp. 24, ٢5 (٣٢)

في دراسة هذه المدينة . واشترك معه فريق من الباحثين من تخصصات مختلفة . ومن العلماء الذين اشتركوا معه في إجراء ذلك البحث نذكر : م . ميكر J. M. Meeker ، I. M. Meeker ، E. Vogt ، و . بaily ، W. Baily ، I. هو لزهده A. Hollingshead . وجدير بالذكر أن هؤلاء الباحثين قد شاركوا في البحث الحقل وكذلك في كتابة التقرير النهائي للبحث . أما وورنر فقد كان مديرا للبحث الحقل ، كما أنه كان محررا للكتاب أيضا . فضلا عن ذلك فقد كتب وشارك في كتابة عدة فصول من الكتاب .

ويحتوي الكتاب على مقدمة وستة عشر فصلا تبحث في جوانب مختلفة من الحياة الاجتماعية بالمدينة . ومن موضوعات هذا الكتاب نذكر : الطبقات الاجتماعية وكيفية تحديد منزلة الفرد ، الحراك الاجتماعي ، الصناعة ، الهيئات ، الحرب العالمية الثانية والمدينة . وجدير بالذكر أن وورنر وزملاؤه قد اهتموا بدراسة تاريخ المدينة منذ نشأتها حتى وقت إجراء البحث ؛ وقد خصصوا الفصل الأول من الكتاب لدراسة هذه الناحية .

وكما هو الحال في يانكي سيتي فقد خلا الكتاب كلية من الصور الفوتوغرافية . وكما هو الحال في يانكي سيتي ، أيضا ، فإن وورنر وزملاؤه لم يستخدموا الاسم الحقيقي للمدينة ، وإنما نجدهم قد استخدموا اسما مستعارا هو « جونزفيل » (٢٣) .

(٢٣) في سنة ١٩٤١ توجه أ . ب . هولنزهده A. B. Hollingshead إلى « جونزفيل » لدراسة سلوك الشباب فيها . وفي ذلك الوقت أيضا ، كان وورنر وزملاؤه يقومون بأبحاثهم هناك . وجدير بالذكر أن هولنزهده - منذ نشر نتائج دراسته عن الشباب في تلك المدينة - لم يستخدم الاسم المستعار الذي أطلقه وورنر وهو (جونزفيل) ، وإنما استخدم اسما مستعارا آخر هو « إلمتاون Elmtown » . أنظر : J. A. Kahl, *American Class Structure* (Rinehart & Company, Inc., New York, 1957), p. 36.

وهذا ويهنا أن نشير هنا إلى أن وورنر وزملاؤه لم يهتموا كتابهم عن « جونزفيل » ، ببيانات تفصيلية عن كيفية إجراء البحث (مثل : مدة الدراسة الحقلية ، تمويل البحث ، وسائل جمع البيانات ، ملاحظات هيئة البحث عن وسائل جمع البيانات ، كيفية التنسيق بين جهود الباحثين) .

سادسا - الطبقات الاجتماعية في يانكي سيتي وجونزفيل

في بداية البحث في « يانكي سيتي » ، كان هناك اعتقاد بأن البناء الاقتصادي هو البناء الأساسي في المجتمع (٢٤) . ولقد كانت المقابلات الأولى لأفراد فريق البحث تتجه نحو الميل لتأييد هذا الاعتقاد . لكن هيئة البحث سرعان ما انحوت عن هذا الفرض الاقتصادي وأسقطته من حسابها . فقد تبين أن بعض الأفراد كانوا يوضعون في أسفل السلم الاجتماعي رغم أن لديهم دخلا يزيد على دخل أفراد يوضعون في درجة أعلى في السلم الاجتماعي . وعلاوة على ما تقدم ، فقد تبين أيضا أن المنزلة الاجتماعية للأفراد الذين كانوا يعملون في مهنة واحدة ، كالطب مثلا ، ليست واحدة . فبينما كان البعض من الأطباء يتمتعون بأعلى منزلة اجتماعية في المجتمع ، كان هناك أطباء آخرون يوضعون في منزلة اجتماعية أدنى (٢٥) . ونتيجة للأدلة التي أخذت تتجمع لدى هيئة البحث ، فقد أصبح من العسير عليها أن تتقبل ذلك الفرض الاقتصادي . وإذا كانت الدراسة تبين أن المهنة والثروة تساهمان بنصيب كبير في تحديد منزلة الفرد الاجتماعية ، فإن الدراسة تبين كذلك أن هناك عوامل أخرى تلعب دورها الهام أيضا في تحديد

The Social Life of A Modern Community p. 81 (٢٤)

Ibid, p. p 81.82 (٢٥)

المنزلة الاجتماعية للأفراد بالمجتمع . وقد انتهت هيئة البحث إلى القول بأن منزلة الفرد الاجتماعية إنما تتحدد نتيجة لمجموعة مختلفة من العوامل مثل التعليم ، المهنة occupation الثروة wealth ، الدخل Income ، العائلة education ، الثروة ، الهيئات الاجتماعية التي يشترك فيها ، الآداب الاجتماعية ، نوع المسكن ، المنطقة السكنية (٣٦) . ومن ثم فإنه ليس من العسير على الباحث أن يحدد منزلة الفرد إذا تمكن من الحصول على بيانات عن هذه العوامل المختلفة . كذلك انتهت هيئة البحث إلى التعريف الآتي للطبقة الاجتماعية class : يقصد بالطبقة الاجتماعية وجود نظامين أو أكثر من الناس ، يعتقد أفراد المجتمع المحلي أن أحدهما في درجة عليا والآخر في درجة دنيا . وبناء على ذلك ، فإن أفراد المجتمع المحلي يعدون أحدهما في منزلة اجتماعية عليا والآخر في منزلة اجتماعية دنيا ، (٣٧) .

كما انتهت هيئة البحث من الدراسة أيضا إلى القول بأن مجتمع ديانكي سيتي ، ينقسم إلى ست طبقات اجتماعية هي : العليا العليا ، العليا السفلى ، الوسطى العليا ، الوسطى السفلى ، الدنيا العليا ، الدنيا السفلى .

وفي سنة ١٩٤٩ ظهر كتاب Social Class in America . والفرض من هذا الكتاب هو مد علماء الاجتماع بطريقة وورنر لتحديد المستويات الطبقيّة في المجتمع ، وكذلك لتحديد الطبقة الاجتماعية الخاصة بالفرد أو الأسرة (٣٨) . ويحتوي هذا الكتاب على شرح لطريقة المشاركة المقيمة ، وطريقة دليل خصائص المنزلة الاجتماعية ، . وجدير بالذكر أن هذه الطريقة لدراسة الطبقات

Ibid, p. 83 (٣٦)

Ibid, p. 82 (٣٧)

W. L. Warner and Associates, Social Class In America p. 85.

الاجتماعية قد ظهرت من قبل في صورة مختصرة في مقال نشره وورنر بعنوان (٣٩) :

A Methodology For the Study of Social Class

وبما هو جدير بالذكر كذلك أن وورنر وزملاؤه لم يوضحوا لنا ما إذا كانت هذه الطريقة (طريقة المشاركة المقيمة وطريقة دليل خصائص المنزلة الاجتماعية) قد طبقت بالضبط في ديانكي سيتي ، أم لا . ولكن من الواضح أنها كانت لا تزال في طور التجربة في ذلك الحين ، ولم تصل إلى هذه الصورة التي تراها في كتاب Social Class in America إلا نتيجة للدراسة في جونزفيل ، (٤٠) . ويهمننا أن نشير بشيء من الإيجاز إلى طريقة المشاركة المقيمة وطريقة دليل خصائص المنزلة الاجتماعية :

طريقة المشاركة المقيمة E. P. تهدف هذه الطريقة ، التي تتكون من ست أدوات ، إلى اكتشاف عدد الطبقات بالمجتمع وإلى تحديد وضع الأفراد أو العائلات في النظام الطبقي . وتقوم هذه الطريقة على افتراض أن هؤلاء الذين يتفاعلون في النسق الاجتماعي يقيمون مشاركة الأفراد الذين يعيشون حولهم ، وأنهم يستطيعون ترجمة هذه التقييمات للمشاركة الاجتماعية إلى تقديرات الطبقات الاجتماعية . وحينئذ فن واجب الباحث المحلي أن يستخدم كل براعته في فن المقابلة ليستخرج البيانات اللازمة . وهو ، بذلك ، يساعد الباحث الذي يقوم بتحليل المنزلة الاجتماعية على تحديد عدد المستويات الطبقيّة الموجودة بالمجتمع وكذلك على تحديد منزلة كل فرد فيه .

W. L. Warner " A Methodology For the Study of Social Class " in Social Structure edited by Meyer Fortes, Oxford University Press 1948

Joseph Kahl, The American Class Structure p. 33 (٤٠)

Social Class in America, p. p. 35-89 (٤١)

ويؤخذ على هذه الطريقة أنها لا يمكن أن تطبق إلا في المجتمعات الصغيرة والمتوسطة . فالأفراد في مثل هذه المجتمعات يعرفون بعضهم بعضا ، وبذلك يمكن الاعتماد على المخبزين فيما يختص بتحديد عدد الطبقات والوضع الطبقي للأفراد في المجتمع المحلي .

دليل خصائص المنزل الاجتماعية I. S. C. يقول وورنر أن هذه الطريقة قد سمحت لتمدنا بأداة موضوعية لتحديد المستوى الاجتماعي لكل فرد في المجتمع . وفي بداية البحث في وورنر فيل ، كان الدليل يرتكز على ست خصائص هي : المهنة ، مقدار الدخل ، مصدر الدخل ، التعليم ، نوع المسكن ، المنطقة السكنية (١٢) . لكن هذا الدليل مالمالك أن اقتصر بعد ذلك على أربع خصائص هي : المهنة ، مصدر الدخل ، source of income ، نوع المسكن house type المنطقة السكنية dwelling area (١٣) .

خاتمة

١ — أشرنا في الصفحات السابقة إلى أن عالم الأنثروبولوجيا الأمريكي و. ل. وورنر قد توجه لدراسة المجتمع البدائي في أستراليا في الفترة من سنة ١٩٢٦ حتى سنة ١٩٢٩ . كما أشرنا كذلك إلى أنه قد أتجه — بعد عودته من أستراليا — لدراسة المجتمع الحضري في الولايات المتحدة .

وإن نظرة واحدة للتغيرات التي حدثت في ميدان الأنثروبولوجيا الاجتماعية خلال الربع الثاني من القرن العشرين لكيفية بأن توضح لنا بأن ما قام به وورنر (أي دراسة المجتمع البدائي والمجتمع الحضري) ماهو في حقيقته إلا تعبير عن اتجاه ظهر في تلك الحقبة من الزمن . فلقد كان علماء الأنثروبولوجيا

(١٢) Ibid, p. 131.

(١٣) Ibid, p. 122.

الاجتماعية يقصرون أنماهم على المجتمعات البدائية . وحتى عام ١٩٢٥ لم يسمح عالم الأنثروبولوجيا الأمريكي فرانز بواس لاحد من تلاميذه بدراسة أي مجتمع غير قبائل الهنود الحمر في أمريكا (١٤) ، غير أن هذا الفصل بين دراسة المجتمعات البدائية ودراسة المجتمعات الحضرية لم يدم طويلا . فلقد قام آر. سبرج بدراسة الفلاحين في جنوب أيرلنده ، كما درس جون إمبى القرية اليابانية . وأما في المدن ، فهناك الكثير من الدراسات ، كما تعددت الموضوعات التي طرقتها الباحثون . ففي ميدان العلاقات الصناعية في أمريكا نجد أمثال إلتون ماير ، ج . وست ، و . ل . وورنر . كذلك حظيت دراسة الطبقات الاجتماعية بمنايا وورنر وتلاميذه . كما أهتم البحث الأنثروبولوجي كذلك بدراسة المشاكل العنصرية . ونخص بالذكر في هذا المجال ج . دولارد ، س . باترسون (١٥) ولايفوتنا أن نشير هناك أيضا إلى دراسة روبرت لند وهيلين لند ، ميدلتاون .

لم يكن إذا وورنر — حينما قام بدراسته للمجتمع البدائي وللمجتمع الحضري في أمريكا — إلا ممثلا لاتجاه ظهر في ميدان الأنثروبولوجيا الاجتماعية بل ولقد كان هو نفسه من العوامل الفعالة التي ساهمت في إحداث ذلك التغيير . ولقد أشار وورنر كثيرا بأن عالم الأنثروبولوجيا الاجتماعية يدرس المجتمعات البدائية وكذلك المجتمعات الحضرية .

• • •

٢ — لكن انتقال العلماء لدراسة المجتمعات الحضرية قد قابلته عدة صعاب .

S.T. Kimball., Problems of Studying American Culture. (١١)

American Anthropologist, (1955). p. 1132.

"Social Anthropology" in Encyclopaedia Britannica, (١٠)

(15 th edition, 1954). p. 863.

والجميع الأمريكي بضخامة وتعدد الحياة فيه يسبب لباحث كثيرا من التساعب لا يمكن مقارنتها بما يوجد عند دراسة لتيبة بدائية .

ولقد أدت هذه الضخامة وهذا التعقيد في المجتمع الأمريكي إلى إدخال وسائل جديدة خاصة بالبحث الأنثروبولوجي . فلم يكن من الممكن أن يذهب وورنر وحيدا لبحث في ، يانكي سيتي ، أو في ، جونزفيل ، ، وكان لزاما عليه أن يتجه إلى نظام ، بحث الفريق ، . وذلك نقطة أخرى جديرة بالملاحظة . فلقد كانت الدراسات الحقلية التقليدية في ميدان الأنثروبولوجيا لا تشمل إلا على القليل من البيانات الإحصائية . ولقد تنبه علماء الأنثروبولوجيا في العصر الحديث إلى هذا النقص . وكان Blackhorn من الأوائل الذين لفتوا الأنظار إلى هذه الناحية . ولم يتخلف وورنر في هذا المضمار . فحقن نجده ضمن تقاريره كثيرا من البيانات الإحصائية . كما أنه قد ابتكر طريقة إحصائية (طريقة دليل خصائص النزلة الاجتماعية I. S. C) لدراسة التوزيع الطبقي في المجتمع .

ومن مشكلات انتقال علماء الأنثروبولوجيا لدراسة المجتمع الأمريكي يهنا أن تشير إلى التكاليف الباهظة والوقت الطويل اللازم لإجراء تلك البحوث . ويكفي أن نشير هنا إلى أنه قد مرت فترة تزيد على عشر سنوات بين بداية البحث الحقل في ، يانكي سيتي ، ونشر أول تقرير عن تلك الدراسة .

• • •

٣ — يقول وورنر أنه بعد عودته من استراليا أخذ يبحث عن مجتمع أمريكي لدراسة مستخدما نفس الأدوات التي سبق استخدامها في استراليا . وفي تلك المرحلة بالذات ، أي في عام ١٩٣٠ تقريبا ، نجد أن ، إلتون مايو ، يساهم مع في أبحاثه . والملاحظ أنه رغم أن اعتقادها التام بأن المدينة الكبيرة

هي البيئة الاجتماعية المثلى للصناعة الحديثة ، إلا أنهما قد شعرا بأن دراسة المدينة الكبيرة ، ككل ، من وجهة نظر الأنثروبولوجيا الاجتماعية كان مشكلة ليس من الهين التغلب عليها سواء من ناحية أدوات البحث أو من الناحية المالية . وبناء عليه فقد بدا لهما أنه من الحكمة أن يتم اختيار مجتمع صغير حتى يمكن تطبيق مناهج الأنثروبولوجيا الاجتماعية (مثل يانكي سيتي وجونزفيل) . ويرى جوزيف كهل أن اتجاه وورنر إلى التركيز على دراسة المجتمعات الصغيرة والمتجانسة قد يكون اتجاهها عمليا يتلاءم وأغراض البحث عند استخدام أدوات الأنثروبولوجيا الاجتماعية . ولكنه يعتبر — من الناحية النظرية — أمره خطوره . فهذه المجتمعات الصغيرة لا تمثل كل أمريكا . رغم أن الحقيقة بأن قسما كبيرا من سكان الولايات المتحدة يعيش في أماكن يقل عدد السكان بها عن ٢٥٠٠٠ نسمة (٤٦)

على ذلك نذكر دراسة ريفرز (التودا) ودراسة راد كليف براون (الانديمان)
و دراسة ساجان (قبائل جنوب السودان) ودراسة مالىنوسكى (التروبريان)
و دراسة إيمانز پريتشارد (الازاندى والنوير) ودراسة ريموند فيرث (نيكوبيا)
و دراسة پريستيلى (الكبيجس) ودراسة فوربس (التاليس) ودراسة وورتر
(المورنجن) .

ولكن : ماهى الاسباب التى دعت علماء الانثروبولوجيا الاجتماعية إلى
الاهتمام بدراسة المجتمعات البدائية ؟

يرى مالىنوسكى أن الشعوب البدائية تتغير بسرعة ، ومن ثم فإنه يجب على
العلماء أن يعارضوا إلى دراستها قبل فوات الأوان . وهو يرى أن ذلك له
فائدته من الناحيتين العلمية والعملية :

• The study of the rapidly vanishing savage races is one of
those duties of civilization now actively engaged in the destruc-
tion of primitive life which so far has been lamentably neglected.
The task is not only of high scientific and cultural importance,
but also not devoid of considerable practical value, in that it can
help the white man to govern, exploit and "improve" the native
with less pernicious results to the latter .

(B. Malinowski, Crime and Custom in Savage society
p. xi) .

ويرى وورتر أن المجتمعات البدائية تعتبر بالنسبة للأنثروبولوجى الاجتماعى
بمشاهدة المعمل الذى يمكن أن يختبر فيه أفكاره وطرائقه فى البحث الاجتماعى :

الفصل السادس عشر

دراسة المجتمعات البدائية والحقلية والحضرية

سبق أن ذكرنا أن الأنثروبولوجيا الاجتماعية علم حديث ؛ وأنها لم تظهر
إلا فى منتصف القرن التاسع عشر تقريبا . كما أشرنا كذلك إلى أن النصف الثانى
من القرن التاسع عشر قد شاهد كتابات عديدة عن مناطق مختلفة من العالم قدمها
لنا الرحالة والمبشرون ورجال الإدارة والتجار . وقد كان الكثير من هذه الدراسات
يتم بالمعطية ، بينما كان البعض الآخر منها يتسم بالدقة والأمانة . ولقد كان
نتيجة لعدم اهتمام العدد الأكبر من علماء النصف الثانى من القرن التاسع عشر
بالنزول إلى الميدان لملاحظة الظواهر الاجتماعية بأنفسهم ، أننا نجد أن الدراسات
الحقلية التى قام بها هؤلاء العلماء كانت قليلة . فهناك دراسة مورجان (الايروكوا)
و دراسة برايس (الاسكيمو) ودراسة بمشة جامعة كبرديج (جزر مضائق
توريس) .

ومنذ بداية القرن العشرين ، نلاحظ أن كثيرا من العلماء قد نزولوا إلى
الميدان ، وقاموا بدراسات حقلية عديدة عن المجتمعات البدائية . ومن الأمثلة

و. ل. وورنر يناقش بأن مجال الأنثروبولوجيا الاجتماعية يشمل المجتمعات البدائية والمجتمعات القروية والحضرية. وبما هو جدير بالذكر أن وورنر قد قام فعلاً بدراسة مجتمع بناني في استراليا (٢٦ - ١٩٢٩) : كما درس أيضاً مجتمعاً حضرياً في أمريكا بعد عودته من استراليا. وفي سنة ١٩٤٤ نجد أن راد كليف براون يقرر أن الأنثروبولوجيا الاجتماعية لا تقتصر مجال دراستها على المجتمعات البدائية فقط، بل إنها تدرس كل المجتمعات الإنسانية. كما نجد أيضاً أن إيفانز برينشارد يؤكد لنا أن الأنثروبولوجيا الاجتماعية تدرس كل المجتمعات الإنسانية :

« But though we give chief attention to primitive societies I must make it clear that we do not restrict our attention to them. In America, where social anthropology is better represented in the universities than in the British Empire; a number of important studies of more advanced societies have already been made by American or American-trained anthropologists — in Ireland, in Japan, in China, in Mexico, in Canada, and in the United States itself » . (٣)

ومن الأمثلة على الدراسات التي قام بها العلماء في المجتمعات القروية والحضرية نذكر دراسة جون إمبيري (سومي مورا) ودراسة آر. سبرج للفلاحين في أيرلند ودراسة (شامبريت) ودراسة روبرت لند وهيلين لند (ميدلتاون) ودراسة وورنر وزملائه (يانكي سيتي) .

E. E. Evans - Pritchard, *Social Anthropology and Other Essays*, (The Free Press, New York, 1966) p.p. 9, 10.

« The more simple types of Communities with their smaller populations, less numerous social institutions, less complex institutional and technical systems, provide the social anthropologist with the equivalent of a laboratory wherein to test his ideas and research techniques. By investigation of these simple societies he is able to equip himself better for the analysis of more complex forms of human society » . (W. L. Warner, *The Social Life of A Modern Community*, p. 3) .

كما يذكر لنا إيفانز برينشارد أن هناك عوامل مختلفة قد دفعت العلماء إلى تركيز جهودهم لدراسة المجتمعات البدائية. فقد اهتم بدراسة علماء القرن التاسع عشر لاعتقادهم بأن ذلك سرق يساعدهم في بحوثهم عن أصل النظم الاجتماعية، كما اهتم بها البعض الآخر من العلماء لاعتقادهم بأنها تعرض النظم الاجتماعية في أبسط أشكالها، وأن التسبج العلم يوجب البدء بدراسة النظم الأكثر بساطة ثم الانتقال بعد ذلك لدراسة النظم الأكثر تعقيداً. وعلاوة على ما تقدم، فإن للمجتمعات البدائية تنوعاً سريعاً، ومن الواجب دراستها قبل قوات الأوان (١) .

إلا أننا نلاحظ أن العلماء قد اتجهوا خلال الربع الثاني من القرن العشرين — إلى عدم قصر مجال دراستهم على المجتمعات البدائية. ففي سنة ١٩٣٩ نجد أن

E. E. Evans - Pritchard, *Social Anthropology and Other Essays* (1) (The Free Press, New York, 1966). pp. 8-9.

وهذا ويهنا أن نشير إلى أن انتقال العلماء للدراسة في هذا الميدان الجديد له مزاياه . ومن ذلك نذكر :

١ — اللغة : تحتاج الدراسة في المجتمعات البدائية ، في الأغلب ، إلى دراسة لغات غريبة بالنسبة للباحث . ولم يكن ذلك أمرا هينا في جميع الأحوال .

٢ — مشكلة السفر والإقامة : وهناك أيضا مشقة السفر إلى تلك المناطق البدائية النائية ثم الإقامة في ظروف قد تختلف كثيرا عن موطن الباحث من حيث الحالة الصحية أو من الناحية الجغرافية . وقد أوضحت لنا الدراسة كذلك أن بعض الباحثين قد عانوا كثيرا من شعور الأمل بالتعالى أو بالكراهية نحوهم . (مثل إيفانز بريشارد في مجتمع النوير) .

٣ — الوثائق والإحصاءات : يستطيع الباحث الأنثروبولوجي في مجتمعات الحديث أن يعتمد الكثير من المعلومات من الوثائق والإحصاءات الموجودة (مثل كتب التاريخ — السجلات الحكومية — تعدادات السكان . . . الخ) . وهذه الوثائق والإحصاءات تساعد في تكوين الصورة العلمية لموضوع دراسته ، كما أنها تساعد ، أيضا ، في عقد مقارنات بين ماضي ذلك المجتمع وحاضره . أما في المجتمعات البدائية ، فالباحث عادة كان يعمل دون أن تكون لديه سجلات عن الماضي أو إحصاءات صالحة عن الحاضر .

٤ — الامتعان بالمتخصصين : في المجتمعات الحضرية ، يستطيع الباحث أن يرجع إلى المتخصصين (رجال الاقتصاد أو رجال القانون مثلا) لاستشارتهم أو لإشراكهم معه في أبحاثه . أما في المجتمعات البدائية ، فإن ذلك كان يعتبر أمرا عسيرا .

كما يهنا أن نشير كذلك إلى أن العلماء الذين انتقلوا لدراسة المجتمع الحديث قد قابلتهم مصاعب جمة نذكر منها : ضخامة المجتمع من الناحية العددية ، عدم التجانس ، وجود تراث مكتوب ضخم ووسائل اتصال عديدة (مثل الراديو والتليفزيون والسينما والصحافة) ، التقدم التكنولوجي . ولقد أدت هذه الضخامة في العدد وهذا التقدم إلى إدخال وسائل جديدة خاصة بالبحث الأنثروبولوجي . فهناك ، مثلا ، نظام بحث الفريق (مثلا في ميدلتاون ويانكي سيتي) . ولما كان الفريق يحتاج إلى الإقامة في مجتمع البحث ، فإن الأمر قد أصبح يتطلب تمويلا كبيرا .

(١)

تمويل البحث - و٣

تبين لنا من الدراسة أن هناك مصادر مختلفة لتمويل البحوث ؛ ومن هذه المصادر نذكر : الحكومات ، الهيئات العلمية ، الأفراد . ومن الأمثلة على ذلك نذكر : حكومة السودان (أبحاث سلجمان وإيفانز برينشارد في جنوب السودان) وحكومة أستراليا (سامت في دراسة مالنوسكي في جزر التروبريان) ، والمجلس القومى للبحوث في أستراليا (دراسة ريموند فيرث في جزيرة نيكوبيا) والمعهد الدولى للغات والثقافات الإفريقية (دراسة فورتس عن التالفى) ، الجمعية الملكية في بريطانيا (سامت في تمويل بحث إيفانز برينشارد عن الأزاندى) . ومن الأفراد الذين ساهموا في تمويل البحوث الحقلية نذكر ساجمان (ساهم في بحث مالنوسكي عن جزر التروبريان) ووالد بريستيان (دراسة بريستيان عن الكبيجس في كينيا) .

(٢)

مدة الدراسة الحقلية

تدلنا الدراسة على أن الفترة التي كان يقضيها الباحث الحقل في مجتمع البحث قد اختلفت من باحث إلى آخر . فاعضاء بعثة جامعة كبرديج (مضائق تورييس) وريموند فيرث (نيكوبيا) و ف . بواس (الاسكيمو) قد قضوا في مجتمع البحث مدة عام واحد فقط . في حين أن إيفانز برينشارد قد قضى فترة عشرين شهرا بين الأزاندى في جنوب السودان . أما مالنوسكي فقد قضى سنتين في جزر التروبريان .

الفصل السابع عشر ملاحظات عن البحث الحقلى

- ١ - تمويل البحوث .
- ٢ - مدة الدراسة الحقلية .
- ٣ - إيضاح الظروف التي أحاطت بإجراء البحث .
- ٤ - الإطلاع على الدراسات السابقة .
- ٥ - اختيار المخبرين .
- ٦ - الملاحظة والمشاركة .
- ٧ - الجمع بين الملاحظة والملاحظة .
- ٨ - تسجيل الملاحظة والملاحظة .
- ٩ - الصور الفوتوغرافية .
- ١٠ - الاستخبار .
- ١١ - دراسة سلاسل الأنساب .
- ١٢ - اللغة كأداة البحث الحقلى .
- ١٣ - البيانات الإحصائية .
- ١٤ - بحث الفريق .
- ١٥ - عامة ومقترحات .

وبما لاشك فيه أن مدة البحث الحقلى تتوقف على عوامل كثيرة ، نذكر منها : طبيعة الموضوع الذى يتناوله الباحث ، بالدراسة ، حجم المجتمع المراد دراسته ، الدراسات التى سبق إجرائها عن منطقة البحث ، شخصية الباحث وخبرته الحقلية ، مدى معرفة الباحث بلغة الأهالى ، درجة تقبل المجتمع للباحث الحقلى . ونحن نعتقد أن الاتجاه إلى نظام بحث الفريق ، فى ميدان الدراسات الانثروبولوجية سوف يكون له أثره فى العمل على تقصير فترة البحث الحقلى .

وجدير بالذكر أن البعض من العلماء كانوا يقضون فترة البحث الحقلى كلها بالمنطقة دون أن تتخللها فترة أو فترات يغادرون خلالها منطقة البحث . بينما نجد أن البعض الآخر من العلماء كانوا يغادرون منطقة البحث بعد فترة من بداية البحث الحقلى ويقيمون - فى أوطانهم مثلا - فترة معينة ثم يعودون إلى منطقة البحث مرة ثانية . فنلا نجد أن إيفانز پريتشارد قد أجرى بحثه فى بلاد الأزاندى (١٩٢٦ - ١٩٣٠) . وقد قام بثلاث بعثات إلى هناك خلال تلك الفترة . وهو يذكر لنا أنه كان يقضى الفترة بين كل بعثة وأخرى فى تحليل المادة التى جمعها من الميدان واستشارة العلماء للاستفادة بأرائهم . ومن العلماء الذين استشارهم نذكر ساجان وشابيرا وفورتس . ونحن نعتقد أن الطريقة الثانية لها مزاياها العديدة . فالباحث الحقلى يمكنه - خلال الفترة التى يقضيها بعيدا عن منطقة البحث - أن يقوم بدراسة وتحليل المادة التى جمعها من الميدان . كما أنه يمكنه أن يطلع على أحدث الدراسات فى مجال تخصصه وذلك للاستفادة منها سواء من ناحية المنهج أم من ناحية المعلومات . فضلا عن ذلك ، فإنه يمكنه مناقشة مادته العلمية التى جمعها من الميدان فى حلقات بحث فى الهيئات العلمية فى مجال تخصصه (أقسام

الانثروبولوجيا مثلا) . فنل هذه المناقشات من جانب المتخصصين قد تؤدي إلى إظهار النقص أو الثغرات فى المعلومات التى جمعها الباحث فى الميدان ، كما أنها قد تؤدي إلى إثارة قضايا جديدة ذات فائدة للبحث بصفة عامة .

(٣)

إيضاح الظروف التى أحاطت بإجراء البحث

خصص مالينوسكى فى كتابه ، أرجونوتس ، (الذى ظهر لأول مرة سنة ١٩٢٢) مقدمة Introduction بعنوان :

The Subject, Method, And Scope Of This Inquiry.
شرح لنا فيها الظروف المختلفة التى أحاطت بإجراء البحث فى جزر التروبريانند (مثلا : البدايات الأولى لفترة البحث والعصوبات التى واجهت الباحث - اللغة - وجهة نظره فى آراء المستوطنين البيض عن سكان جزر التروبريانند - الإقامة الدائمة فى مجتمع البحث . . . الخ) . وهو يذكر لنا أن العادة قد جرت بالنسبة لكثير من العلوم ، كالكيمياء والفيزياء مثلا ، على أن يقدم لنا الباحث التفاصيل الخاصة بترتيبات تجربته التى قام بها فى المعمل قبل أن يمرض لنا نتائجها التى توصل إليها . فهو ، مثلا ، ينبغي عليه أن يقدم لنا وصفا دقيقا للأجهزة التى استخدمها فى إجراء تجربته ، كيفية إجراء الملاحظة observation ، عدد مرات الملاحظة ، الزمن الذى استغرقته . . . الخ . أما فى ميدان الانثروبولوجيا الاجتماعية - حيث الحاجة أشد لمثل هذه البيانات - فإن ذلك ، لسوء الحظ ، لم يتحقق دائما فى الماضى بالدرجة المرجوة فى كتابات كثير من الباحثين (١) .

ويقول ريدز فيرث (وهو من تلاميذ مالتوسكي) أن الباحثين الحقلين
المحدثين في ميدان الأنثروبولوجيا الاجتماعية يتفقون فيما بينهم على ضرورة
تخصيص جزء من التقرير النهائي للبحث لوصف الوسائل التي تم بواسطتها جمع
المعلومات . فهو يرى أن الباحث المختل ينبغي عليه أن يوضح لنا النقاط الآتية:
ما مدى علاقة الباحث بالمعتنطين من الأوربيين ؟ هل كان يعيش في عزلة
تامة عنهم ؟ أم أنه كان على اتصال يومي بهم ؟
ما هي اللغة التي كان يستخدمها الباحث في مخاطبه مع الأهالي ؟ هل استخدم
لغة الأهالي أنفسهم ؟ هل استخدم pigiu - English ؟ أم هل اعتمد على
الترجمين ؟

ما مصدر المعلومات التي ذكرها الباحث في تقريره ؟ رواية شاهد عيان
eye - Witness ؟ خبر سمعه أحد المخبرين ؟ أم أنها ملاحظة شخصية للباحث
نفسه Personal observation ؟

كذلك ينبغي على الباحث أن يوضح لنا أيضا ما إذا كانت النظم التي
يتحدث عنها في تقريره لا تزال موجودة أم أنها قد اندثرت وأصبحت غير موجودة
وقت إجراء البحث .

وعلاوة على ما تقدم فإنه ينبغي عليه أيضا أن يوضح لنا مدى الأمثلة التي
اعتمد عليها لكي يصل إلى تعميماته generalizations التي ذكرها في تقريره (٢) .
كما أننا نجد أن وورنر وزملاؤه قد خصصوا فصلا في أول كتاب ظهر في
سلسلة . يانكي سيتي ، أوضحوا لنا فيه الإطار النظري للبحث وكذلك
الأدوات التي تم استخدامها لجمع المعلومات أثناء فترة البحث الحقل . ذلك
أن للقارىء - كما يقول وورنر وزملاؤه - أن يتمكن من فهم نتائج الدراسة

R. Firth, *We, The Tikopia*, (Second Edition 1967) p. 30 (٢)

أو يقدر قيمتها إلا إذا تعرف بكل وضوح على كل الظروف التي أحاطت
بإجراء البحث (٣) .

• • •

والذي لا شك فيه أن قيام الباحث بإيضاح الظروف المختلفة التي أحاطت
بإجراء البحث ، سوف يساعدنا كثيرا في فهم وتقييم لنتائج النهائية التي توصل
إليها . ومن ثم فإننا ننصح الباحثين بصفة عامة أن يخصصوا جزءا من تقريرهم
النهائي للبحث لهذا الغرض . ومن النقاط التي ينبغي أن يشمل عليها هذا
الجزء المذكور : فروض البحث ، الإطار النظري للبحث ، كيفية اختيار
مجتمع البحث ، مجال البحث ، مدى تقبل مجتمع البحث للباحث : فدور ؟
عدم أكثرات ؟ ، العوامل التي ساعدت على تسهيل مهمة الباحث ، العوامل
التي جعلت مهمة الباحث صعبة ، المراحل المختلفة التي مر بها البحث ، الوسائل
التي اعتمد عليها الباحث لجمع البيانات ورأيه الشخصي في مدى إمكان الاعتماد
عليها (مثلا : اللغة : لغة الأهالي ؟ الاعتماد على المترجمين ؟ وفي حالة تصميم
استخبار لجمع المعلومات في مجتمعنا المصري : ما هي اللغة التي استخدمها
الباحث ؟ اللغة العربية ؟ اللغة العامية ؟ وفي حالة استخدام اللغة العامية توضح
الأسباب) .

كما أننا ندعو الباحثين أن يسجلوا لنا في تقاريرهم أيضا اعترافهم الكاملة
بالأخطاء التي وقعوا فيها أثناء إجراء البحث الحقل حتى يمكن أن يتجنبها من
يأتي بعدهم من الباحثين .

W. L. Warner And P. S. Lunt, *The Social Life of* (٢)
A Modern Community, (New Haven, Ninth printing 1955),
pp. 8-75.

(٤)

الاطلاع على الدراسات السابقة

تدلنا الدراسة على أن العلماء (مثل بواس و راد كليف براون و مالىنوسكى . الخ) قد قاموا بالرجوع إلى الدراسات السابقة (مثل كتابات رجال الإدارة والمبشرين والعسكريين . . الخ) . فمثلا نجد أن ساجمان وزوجته قد رجعا إلى ما كتبه المبشرون ورجال الإدارة في جنوب السودان . كما أننا نجد أن مالىنوسكى قد رجعا إلى ما كتبه ساجمان عن منطقة بحثه (جزر التروبرياندا) . أما ريموند فيرث (جزيرة تيكوريا) فهو يذكر لنا أنه قد إطلع على مذكرات أحد المبشرين عن الجزيرة . كما أنه قد إطلع أيضا على ما كتبه ريفرز Rivers عن جزيرة تيكوريا ، ووجه إليه نقدا شديدا . فلقد تبين فيرث أن ريفرز لم يمكنه في منطقة البحث إلا يوما واحدا ؛ كما أنه قد حصل على معلوماته كلها تقريبا من مخبر واحد فقط . وكان ذلك المخبر أجنبيا عاش في الجزيرة لمدة عشرين سنة . وأما بالنسبة للغة البحث ، فقد استخدم ريفرز lingua franca . كذلك لم يقم ريفرز بأية محاولة لمراجعة معلوماته عن طريق الملاحظة المباشرة . ونتيجة لكل ذلك ، فقد خلص فيرث إلى القول بأن معلومات ريفرز تنقسم بأنها غير صحيحة بالنسبة لكثير من عادات الأهالي (٤) .

• • •

R. Firth, W., *The Tikopia* (London, Second edition. (1) 1957), p xxiv

ومن ثم ، فإنه ينبغي على الباحث الحقلى - قبل التوجه إلى منطقة البحث - أن يتعرف على الدراسات السابقة عن موضوع بحثه . فإذا كانت هذه الدراسات كافية وصحيحة فإنها توفر وقته وجهده . كما أنها سوف تساعد أيضا في مراجعة ملاحظاته الحقلية . أما إذا كانت هذه الدراسات غير كافية أو ناقصة ، فإن الباحث يوجه انتباهه إلى الحقائق التى أهملها أو التى أساء فهمها من سبقه من الباحثين (٥) .

(٥)

اختيار المخبرين

كلمة ، مخبر ، هي الترجمة العربية للكلمة الانجليزية informant . والمقصود بالمخبر هو الشخص الذى يقدم المعلومات إلى الباحث الحقلى . هذا وتدلنا الدراسة على أن العلماء قد اعتمدوا ، أثناء دراساتهم الحقلية ، على المخبرين كوسيلة مامة من وسائل جمع المعلومات (مثلا للحصول على معلومات عن المجتمع في الماضى - لدراسة الاساطير - في الحالات التى تتعذر فيها الملاحظة - لمراجعة المعلومات التى تم جمعها عن طريق الملاحظة) . فمثلا ، نجد أن بواس ، أثناء دراسته الحقلية للاسكيمو في النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، كان يقابل المخبرين المستنيرين للحصول على معلومات عن حالة المنطقة في السنوات السابقة على قدوم الصيادين إليها . كذلك نجد أن راد كليف براون قد اعتمد

(٥) *Notes And Queries On Anthropology* (Sixth edition, 1951) p, 28.

على المخبرين عند دراسة الأساطير في جزر الأنيمان . وبذكر لنا إيفانز
بريتشارد أنه قد اعتمد على المخبرين لدراسة طريقة جمع السم العراف في
الكوتيفو . فهو يقول أنه كان يتوهم أن يفر إلى الكوتيفو ملاحظة ذلك
يقينه ، إلا إن الضرر الشديد الذي أصابه قد حال دون إتمام ذلك . ومن
ثم قد اعتمد على أقوال المخبرين من الأمالي . وفضلا عما تقدم فنحن نجد
أن الكثير من العلماء قد اعتمدوا على المخبرين لمراجعة المعلومات التي قاموا
بجمعها عن طريق الملاحظة .

ومما عوامل عطفة بعضها العلماء في اعتبارهم عند اختيارهم للمخبرين .
ومن هذه العوامل تذكر : الذكاء ، الذاكرة القوية ، مقدرة المخبر على التخاطب
بلغة الباحث ، درجة التعليم ، المعرفة أو الخبرة الخاصة بتيمة البحث أو للمزلة
الاجتماعية أو الحرة .

ويبقى على الباحث - كما أمكن ذلك - أن يحصل على معلومات
مباشرة من التخصصين specialists من أفراد المجتمع (مثلا : رجال
الدين ، صانع الأمطار - الخ) . فمثلا ، نجد أن إيفانز بريتشارد (أثناء
دراسة الأزاندي) يعمل على معلومات عن الرحلات التي يقوم بها
الأمالي لجمع ، التيجي ، من الكوتيفو من مخبر له خبرة طويلة بإعداد مثل
هذه الرحلات . .

ويبقى على الباحث كذلك - عند حصوله على معلومات من أحد
المخبرين - أن يرجع إلى عدد من المخبرين لمناقشتهم في هذه المعلومات . ذلك

أن المخبر الواحد قد يتجه - عمدا أو بدون قصد - إلى عداغ وتحليل الباحث
الحقلي . ونحن نرى أن توجيه الأسئلة إلى عدد من المخبرين له أهمية ليس فقط
من ناحية مراجعة دقة المعلومات ، بل وأيضا من ناحية التصديق على الآراء
المختلفة عن حوادث معينة تقع في المجتمع . فلباحث مثلا ، يجد اختلافا في
الآراء بين الرجال والنساء أو بين المسنين والشباب أو بين الرعاة وعامة الشعب .
وبجدير بالذكر أن ريموند فيرت - بعد أن إطلع على ماكتبه ريفورز عن جزيرة
تيكوييا - قد وجه إليه نقدا شديدا لأنه قد حصل على كل معلوماته تقريبا
من مخبر واحد فقط .

وبجدير بالذكر أن البعض من العلماء قد قاموا بنشر أسماء من تعاونوا معهم
من المخبرين حتى يستطيع من يأتي بعدهم من الباحثين الرجوع إلى هؤلاء المخبرين
فتلا نجد أن إيفانز بريتشارد قد ذكر لنا أسماء المخبرين الذين أمدهم بالمعلومات
في بلاد الأزاندي . كما أنه قد قسم لنا أيضا صورتين فوتوغرافيتين
لأثنين من المخبرين (في كتابه الذي نشره عن الأزاندي لأول مرة سنة
١٩٣٧) .

(٦)

الملاحظة بالمشاركة

تدلنا الدراسة على أن استخدام أسلوب الملاحظة بالمشاركة
participant observation بواسطة العلماء قد شاع استخدامه لدراسة
المجتمعات البدائية والقروية والحضرية . ومن الأمثلة على ذلك ذكر مالنوسكي
(جزر التروبرياندا) ، روبرت لند وهيلين لند (في مينداناو بالولايات
المتحدة) ، وورنر وزملاؤه (في بانكي سيتي بالولايات المتحدة) .

واللاحظ المشارك participant observer هو باحث يقوم بمشاركة أفراد المجتمع الذين يلاحظهم في أنشطتهم بهدف البحث العلمي (مثلا : بدخل المدن لدراسة المرحومين ، أو يلتحق بالعمل في أحد المعانع لدراسة سلوك العمال وقت العمل وفي وقت الفراغ) . وقد ينصح الباحث عن شخصيته لأفراد مجتمع البحث ؛ كما أنه قد يمتحن ذلك عنهم طويلا فترة البحث الخفي .

يقول مالينوسكي :

«While engaged in my field-work in the Trehanda, I used always to live right among the natives, pitching my tent in the village, and being thus forcibly present at all that happened, trivial or solemn».

B. Malinowski, *Crime and Custom in Savage Society*. (London, 1949), p. p. 76-77.

ويقول مالينوسكي أيضا :

«... it is good for the ethnographer sometimes to put aside camera, note book and pencil, and to join in himself in what is going on. He can take part in the natives' games, he can follow them on their visits and walks, sit down and listen and share in their conversations».

B. Malinowski, *Argonauts of The Western Pacific*, p. 21.

ومثل هذه العوامل مختلفة تحول دون مشاركة الباحث الخفي مشاركة كاملة .

ومن هذه العوامل تذكر : الخلفية الثقافية للباحث Cultural background

هو الباحث age النوع sex . فمثلا إذا كان أفراد مجتمع البحث يدون احتراماً كبيراً نحو المسنين ، فإن الباحث الخفي الشاب سوف يكون من الصعب عليه أن يحظى بدرجة كبيرة من اللقطة معها كان محبوباً من جانب أفراد ذلك المجتمع . كذلك فإن الباحث - إذا كان من الذكور - لن يتمكن من المشاركة الكاملة في حياة النساء . وبالمثل أيضا فإن الباحثة لن تتمكن من المشاركة الكاملة في حياة الرجال . ولهذا السبب فإنا نرى أن اشتراك باحث وباحثة لدراسة المجتمع يعتبر أمراً له مزاياه العديدة في هذه الناحية . ولدينا أمثلة عديدة على ذلك ، نذكر منها : دراسة ريموند فيث وزوجته (اللابري) ودراسة جيمون إمبوي وزوجته (سومي مورا باليابان) ودراسة مرجريت ميد وفورش Fortune (غينيا الجديدة) . فمثلا نذكر لنا مرجريت ميد أن فورش قد ساعدنا في الحصول على كثير من المعلومات عن جوانب الحياة الخاصة بالرجال في تلك المنطقة والتي يتعذر على المرأة أن تحصل عليها لثقافتها .

ومن مظاهر الملاحظة بالمشاركة كأداة لجمع المعلومات أن الملاحظ قد يوثق ملته ، بدرجة كبيرة جداً ، بجماعة معينة في المجتمع (٦) (مثلا : طبقة إجتماعية معينة) . وقد يؤدي ظهوره بهذا المظهر إلى وضع الكثير من العقبات في طريقه إذا ما أراد أن يحصل على المعلومات من أفراد الطبقات الإجتماعية الأخرى الموجودة في المجتمع . ومن ثم فإنه ينبغي على الباحث الخفي أن يعتمد عن الخصومات الحزبية بين أفراد المجتمع إذا أراد أن يحصل تعاون مختلف الجماعات معه في دراسته .

Ralph Piddington, *An Introduction To Social Anthropology*, Volume Two, 1957, p. 549.

(٧)

الجمع بين المقابلة والملاحظة.

ينبغي على الباحث ، كلما أمكن ذلك ، أن يجمع بين المقابلة والملاحظة . فالملاحظة - observation يمكن استخدامها لمراجعة المعلومات information التي حصل عليها الباحث أثناء المقابلة . كما أنه يمكن استخدام المقابلة interview للحصول على معلومات عن بعض الحقائق التي قام الباحث بملاحظتها . ومن العلماء الذين كانوا يجمعون بين الملاحظة والمقابلة أثناء إجراء دراساتهم الحقلية نذكر ب . مالبينوسكي (جزر التروبرياندا) ، نادل (النوبي) ، و . ل . وورنر (يانكي سيتي) . يقول وورنر :

« The virtues of a combination of interview and observation are manifold . When these two techniques are used to check each other, they unquestionably yield the most valuable insight into the life of a community » (٧) .

وفيما يلي أحد الأمثلة لإيضاح كيفية الجمع بين الملاحظة والمقابلة :

يقوم بعض أفراد إحدى القبائل الأسترالية بالرقص والغناء تحت قيادة أحد زعمائهم ؛ وذلك بعد طلاء أجسامهم بطلاء معين . . ولدراسة ذلك الاحتفال ، ينبغي على الباحث الحقل fieldworker أن يراعى الآتي :

W. L. Warner and Paul S. Lunt, *The Social Life of* (٧)
A Modern Community, p. 54.

١ - قبل الاحتفال ، يقوم الباحث بمقابلة الأفراد الذين سيشاركون فيه the participants ، وذلك بغرض الحصول منهم على صورة ما سوف يحدث أثناء الاحتفال . (وصف النمط المثالي المتوقع السلوك : حركاتهم الجسمية - كلمات الأغنية - العلاقات بين الكلمات وما يقومون بعمله . . الخ) .

٢ - أثناء الاحتفال ، يقوم الباحث بالملاحظة وتسجيل كل ما يشاهده أمامه .

٣ - بعد انتهاء الاحتفال ، يقوم الباحث بمراجعة كل ما حدث أثناء الاحتفال مع الأفراد الذين شاركوا فيه ، وكذلك مع غيرهم من أفراد المجتمع .

وبهذه الطريقة تتجمع لدى الباحث معلومات عن الصورة التي يتخيلها الأفراد عن الاحتفال قبل إجرائه ، ملاحظات الباحث نفسه عن الاحتفال ، أقوال المخبرين عن الاحتفال بعد الانتهاء منه (٨) .

• • •

هذا ويهمننا أن نشير هنا إلى أن هناك معلومات يحصل عليها الباحث عن طريق المقابلة ، ولكنه قد يتعذر عليه أن يقوم بمراجعتها عن طريق الملاحظة . ومن الأمثلة على ذلك تذكر الحالات الماضية والسلوك الجنسي . فمثلا نجد أن مالبينوسكي عند وصفه لسلوك الجنس قد اعتمد على المخبرين هناك . كما أنه قد اعتمد أيضا على المخبرين عند دراسته لحالات الاتجار التي حدثت في الماضي . (جزر التروبرياندا) . كذلك نجد أن ريموند فيرث (في جزيرة تيكوبيا) عند

حديثه عن واد الاطفال غير المرغوب فيهم وكذلك عند حديثه عن العزل
Gaitis interruptus قد اعتمد على المخبرين من الاهالي .

° ° °

وفي حالة تعذر استخدام الملاحظة لمراجعة المعلومات التي يحصل عليها الباحث
من المقابلة ، فإننا نصح بتكرار المقابلة مع عدد من المخبرين لمناقشتهم في تلك
المعلومات . وقد يجد الباحث اختلافات بين المعلومات التي يقوم بجمعها من
المخبرين ؛ ذلك أن الأشخاص قد يختلفون فيما بينهم أحيانا عندما يقومون
بوصف بعض الحقائق . وهذا الاختلاف في معلومات المخبرين يرجع إلى
أسباب مختلفة نذكر منها : اختلاف وجهات النظر ، مدى دقة الخبر ، مقدار
معلوماته عن موضوع البحث (وهذا قد يختلف نتيجة لعوامل مختلفة نذكر
منها : السن age ، النوع sex ، المنزلة الاجتماعية) .

وفي بعض الأحيان ، قد لا يجد الباحث أمامه على قيد الحياة إلا مخبرا واحدا
فقط ، هو مصدره الوحيد للمعلومات (مثلا : لا يوجد إلا زعيم معين يتذكر
أساطير القبيلة) . وفي هذه الحالة يتعين على الباحث أن يذكر لنا صراحة مصدر
معلوماته ، وكذلك مدى درجة الثقة في هذه المعلومات .

(٨)

تسجيل الملاحظة والمقابلة

فيما يلي بعض الملاحظات عن تسجيل ملاحظات الباحث الحقلية للأنشطة التي
يقوم بها أفراد مجتمع البحث أو عن تسجيل أقوال المخبرين :

١ — ينبغي على الباحث الحقلية أن يقوم أولا بكتابة التاريخ date ومكان
تدوين الملاحظات قبل أن يقوم بتدوين ملاحظاته عن أنشطة الاهالي أو عن
أقوال المخبرين .

٢ — ينبغي على الباحث أن يبين كذلك بكل وضوح مصدر الملاحظات
التي قام بتسجيلها : هل هي ملاحظة observation مباشرة للباحث نفسه ؟ هل هي
إجابة أحد المخبرين ذكرها ردا على أسئلة وجهها إليه الباحث ؟ أم أنها معلومات
قدمها له أحد المخبرين طوعا ؟

٣ — كذلك ينبغي على الباحث أن يذكر أسماء المخبرين informants الذين
قدموا له المعلومات التي قام بتسجيلها .

٤ — ينبغي على الباحث أن يتعرف على اتجاهات الاهالي في مجتمع البحث
فهم تدوين الملاحظات note-taking أمامهم . فهناك أفراد لا يبدون
اعتراضا على ذلك ، بينما نجد ، في نفس الوقت ، أفرادا ينزعجون من جراء ذلك
(مثلا قد يظن بعض الأفراد أن الغرض من ذلك هو فرض ضرائب عليهم) .

ونحن نرى أنه ينبغي على الباحث — كلما كان ذلك ممكنا — أن يسجل
ملاحظاته notes أثناء المقابلة . وفي حالة تعذر التسجيل أثناء المقابلة ، فإنه
يتعين عليه أن يقوم بذلك بعد المقابلة مباشرة . وإذا لم يقوم الباحث بذلك ،
فإن من المحتمل أن ينسى تسجيل الكثير من المعلومات .

والذي لا شك فيه أن الطريقة التي يتبناها الباحث الحقلية بالنسبة لتدوين
ملاحظاته إنما تتوقف على اعتبارات عديدة ، نذكر منها : مدى قدرة الباحث

على الكتابة بسرعة ، تسجيل الباحث الحقل أقوال المخبرين بلغة الأهل أم بترجمته لها ، استخدام الاختزال ، ذاكرة الباحث الحقل نفسه .

ومن العلماء الذين كانوا يسجلون ملاحظاتهم أمام المخبرين نذكر عالم الأنثروبولوجيا س. ف. نادل S. F. Nadel . وهو يذكر لنا أنهم لم يعترضوا أبداً على ذلك . وبالنسبة لتسجيل المقابلات في بحث (ميدلتاون) فإن روبرت لندوم . لند يذكر أن الباحث الحقل كان يقوم — أثناء المقابلة — بكتابة أكبر قدر ممكن من النقاط الموجزة عما دار فيها . ثم يسارع بعد انتهاء المقابلة ، إلى تسجيلها بالتفصيل وبالكيفية المتفق عليها بين أفراد هيئة البحث . ولكن إذا تعذر على الباحث القيام بتسجيل أية نقاط موجزة أثناء المقابلة ، فإنه يسارع ، عقب الانتهاء منها مباشرة ، إلى تسجيلها بالتفصيل اعتماداً على ذاكرته .

هـ — ينبغي على الباحث الحقل أن يفرق بين ملاحظاته وبين تفسيراته الشخصية لها .

٦ — لقد اتجه بعض الباحثين الحقلين إلى استخدام أجهزة تسجيل صوتية لتسجيل أقوال المخبرين أو لتسجيل ملاحظاتهم . ونحن نرى — في حالة استخدام هذه الأجهزة لتسجيل أقوال المخبرين — أن يكون ذلك بعلم منهم وبموافقتهم التامة . ومن البحوث التي استخدمت فيها أجهزة التسجيل الصوتية في مصر نذكر بحث : تعايط الحشيش ، الذي أجراه المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجناحية :

• في جميع جلسات الاستبصار تم تسجيل إجابات المفحوصين مباشرة أي

أثناء الجلسات نفسها ، وكان هذا التسجيل يجري كتابة أو آلياً . وفي الحالتين كان يتم على مشهد من المفحوصين ، (٩) .

٧ — إذا لم يكن لدى الباحث إلا نسخة واحدة فقط من ملاحظاته في الميدان ، فإننا ننصح بأن ينسخها حتى تكون لديه نسخة أخرى . فإذا فقد نسخة بسبب الحريق أو الفيضان ، مثلاً ، فإنه يستطيع أن يرجع إلى النسخة الأخرى الموجودة لديه .

وجدير بالذكر أن هيئة البحث في « يانكي سيتي » كانت تقوم بتسجيل الملاحظات observations والمقابلات interviews التي كان يجريها كل باحث من نصحتين . وكان الباحث يحتفظ لنفسه بنسخة منها ، في حين أن النسخة الثانية كانت تودع بمقر البحث لتكون في متناول اليد بالنسبة لبقية أفراد هيئة البحث (١٠) research staff .

(٩)

الصور الفوتوغرافية

تعتبر آلة التصوير the camera وسيلة نافعة ولا غنى عنها لجمع المعلومات في ميدان الدراسات الحقلية . ونحن نجد أن كثيراً من العلماء قد ضمنوا تقاريرهم

(٩) للمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجناحية . تعايط الحشيش — التقرير الأول

سنة (١٩٦٠) ص ٣٩ .

(١٠) W. L. Warner and P. S. Lunt, *The Social Life of A Modern Community*, (New Haven, Yale University Press, 1955), p. 69.

عن دراساتهم الحقلية صوراً فوتوغرافية عن الجوانب المختلفة للحياة الاجتماعية. ومن هؤلاء العلماء نذكر : ساجمان (جنوب السودان) ، راد كليف براون (جزر الاندمان) ، مالنوسكي (جزر التروبرياندا) ، لينانز بريتشارد (الازاندي والنوير) ، بريستياني (الكبيجس) ، ريموند فيرث (نيكوبيا) ، وورنر (المورنجين) ، دوبي (شاميريت) جون إمبيري (سوهي مورا) ، نادل (النوبي) ، فورد (الياكو في نيجيريا) ، ردفيك (شان كوم) ؛ لا فريدل (فاسيلكا في بلاد البولان).

وجدير بالذكر أن عدد الصور الفوتوغرافية في التقرير النهائي للبحث يختلف من باحث إلى آخر. فمثلاً نجد أن كتاب مالنوسكي الذي خصصه لدراسة الحياة الجنسية في جزر التروبرياندا يحتوي على ٩١ صورة ؛ بينما يحتوي كتاب لا فريدل عن قرية فاسيلكا على خمسة صور فقط.

ومن مشكلات استخدام آلة التصوير في البحث الحقلية نذكر مشكلة اختيار الباحث للمادة التي يقوم بتصويرها Selection of material . فقدرى البعض أن الصور الفوتوغرافية التي عاد بها الباحث ، من بعثة الحقلية إنما تكاد تكون تحيز الباحث ، وأنها لا تمثل إلا عرضاً غير كامل لحياة ذلك المجتمع الذي قام بدراسته . وجدير بالذكر أن ب مالنوسكي يعترف لنا أن الوقائع الكبيرة والمثيرة كانت تستهويه ليقوم بتصويرها أثناء وجوده في جزر التروبرياندا . وقد وجه النقد إلى نفسه لأنه لم يبحث الوقائع اليومية الصغيرة وغير الممتعة بنفس القدر من الحب والاهتمام الذي كان يبديه نحو الوقائع الكبيرة والمثيرة .

كما أن هناك جوانب معينة من الحياة الاجتماعية يصعب أو يستحيل على

الباحث أن يقدم لنا صوراً فوتوغرافية لها . فمثلاً نجد أن مالنوسكي يبدي أسفه لقلة الصور الفوتوغرافية التي قدمها لنا عن المواقف الغرامية في جزر التروبرياندا .

والذي لا شك فيه أن الصورة الفوتوغرافية قد أصبحت تعتبر جزءاً هاماً من التقارير التي يكتبها الباحثون عن دراساتهم الحقلية . فالصورة تعتبر نوعاً من الإثبات للوصف الذي يقدمه لنا الباحث الحقل . ومن ثم فإننا ننصح طلاب الماجستير والدكتوراه بأقسام الاجتماع بالجامعات أن يضمّنوا رسائلهم صوراً للجماعات التي يقومون بدراستها . فمن في حاجة إلى العديد من الصور الفوتوغرافية للحياة الاجتماعية في مجتمعنا المعاصر : في الريف وفي الصحراء وفي المدن . وينبغي على الباحث الحقل أن يضع الصور الفوتوغرافية في صفحات مستقلة داخل الرسالة . وإذا كثر عددها ، فإنه يستطيع أن يجمعها ويضمها في نهاية الرسالة . أما إذا كثر عدد الصور بدرجة كبيرة جداً ، فإننا ننصح بتخصيص مجلد خاص بالصور الفوتوغرافية يرفق مع المجلد المخصص للرسالة .

وبالنسبة للتصوير في المناطق النائية ، فإننا ننصح بأن يحمل الباحث معه آتين للتصوير على الأقل . فإذا تعطلت إحدىاهما عن العمل أو فقدت فإن الباحث يستطيع أن يستخدم الآلة الأخرى .

كما أننا نرى أنه يتعين على الباحث ألا يقوم بتصوير الأفراد أو الأماكن المقدسة أو الاحتفالات .. الخ إلا بعد الحصول على الموافقة للقيام بذلك . وقد يؤدي عدم مراعاة ذلك من جانب الباحث إلى إثارة عداوة أفراد المجتمع نحوه وإلى إنباههم إلى عدم التعاون معه .

(١٠)

الاستخبار

استخدم العلماء الاستخبار questionnaire كأساس لكثير من البحوث الاجتماعية في المجتمعات الحضرية . ومن الأمثلة على ذلك تذكر دراسة روبرت لند و ه . لند (ميدلتاون) و ل . وورنر وزملاؤه في ديانكي سيتي . أما في المجتمعات البدائية ، فقد تم استخدام الاستخبار على نطاق محدود . وكان الهدف من ذلك هو إما جمع المعلومات أو التعرف على بعض الاتجاهات . هذا ويمكننا أن نقسم الاستخبارات التي استخدمت في الشعوب البدائية إلى قسمين :

١ - استخبارات موجهة إلى المستوطنين الأوروبيين *European residents* الذين يقيمون في المجتمعات البدائية . ومن الأمثلة على ذلك تذكر الاستخبار الذي أعده مورجان Morgan ، عن موضوع مصطلحات القرابة Kinship terms والذي تم إرساله إلى ١٣٩ دبلوماسي للولايات المتحدة (سنة ١٨٦٠) ؛ واستخبار ثورنورلد ، عن الأحوال الاقتصادية والذي تم إرساله إلى الموظفين الحكوميين في شرق إفريقيا .

٢ - استخبارات موجهة إلى الأفراد المتعلمين في الشعوب البدائية (كالمدرسين والكتبة) . ومن الأمثلة على ذلك تذكر لجنة ميرل دافيز ، إلى جنوب إفريقيا وروديسيا الشمالية (١١) .

Davis, J. Merle, *Modern Industry and the African*, (11)
(London, Macmillan, 1933), p. 425.

(١١)

دراسة سلاسل الأنساب

كان و . ه . ريفرز W. H. R. Rivers (١٨٦٤ - ١٩٢٢) ضمن أعضاء بعثة جامعة كبريدج إلى مضائق توريس (١٨٩٨ - ١٨٩٩) . وفي أثناء تسجيله لسلاسل الأنساب الخاصة بالأسر هناك ، تبين له مدى أهمية هذه الطريقة في دراسة المجتمع . وقد أطلق ريفرز على هذه الطريقة اسم طريقة سلسلة النصب The genealogical method . وعندما توجه بعد ذلك لدراسة التودين the Todas في جنوب الهند (١٩٠١ - ١٩٠٢) نجد أنه قد استخدم هذه الطريقة أيضا في دراسته لذلك المجتمع . وقد شاع استخدام هذه الطريقة بعد ذلك . ومن أمثلة العلماء الذين استخدموها في دراساتهم نذكر سلجمان (جنوب السودان) ومالينوسكي (جزر التروبرياندا) وريموند فيرث (نيكوبيا) . والذي لا شك فيه أن هذه الطريقة تساعد الباحث في الحصول على كثير من المعلومات عن جوانب مختلفة من الحياة الاجتماعية مثل القرابة والهجرة والوفيات . فمثلا نجد أن ريموند فيرث أثناء دراسته في جزيرة نيكوبيا (١٩٢٨ - ١٩٢٩) قد استخدمها لدراسة الموقى غرقا بسبب الأسفار البحرية (١٢) .

W. H. R. Rivers, "The genealogical Method of Anthropological Inquiry, *The Sociological Review*, Vol. III No 1 (January 1910), pp. 1-12.

الآلة كأداة للبحث الحقل

نبين لنا من الدراسة أن بعض العلماء قد اعتمدوا على المترجمين *interpreters* طوال فترة البحث الحقل كلها أو خلال فترة معينة فقط ، ومن الأمثلة على ذلك تذكر ريفرز (التودا) ، لوسى مير (الباجندا) ، ميرفورتس (التانسي) . ويرى رالف بدنجتون أن هذا الأسلوب للاتصال يعتبر أسلوباً غير مرض على الإطلاق ، ومن الممكن جداً أن يؤدي إلى سوء الفهم *misunderstanding* . يقول رالف بدنجتون :

« Furthermore, the presence of a third party who is not directly concerned in the conversation and the necessary pauses in communication to allow for translation entail an element of artificiality and self-consciousness in the situation which is one of the things which the field-worker should aim to avoid. It is quite impossible to establish through a third person the intimate *rapport* and mutual understanding which are so important ».

(Ralph Fiddington, *An Introduction To Social Anthropology*, volume Two, First Edition, 1957, p. 564).

كما تبين لنا من الدراسة كذلك أن بعض العلماء قد اعتمدوا على لغة *Pidgin-English* كوسيلة للتخاطب مع الأهالي. فثلاً يذكر لنا ريموند فيرث أن وسيلة التخاطب التي اعتمد عليها في تخاطبه مع أهالي تيكوبيا خلال الثلاث أسابيع الأولى كانت خليطاً من لغة الموري ولغة *Pidgin-English* . ولكنه استخدم لغة الأهالي أنفسهم بعد ذلك طوال إقامته بالجزيرة .

(R. Firth, *We, The Tikopia*, p. 6) .

كما يذكر لنا ب . مالاينوسكي أنه قد استخدم لغة *Pidgin-English* في بداية دراسته في جزر التروبرياندا (٢) .

(١٢) يعرف قاموس أكسفورد لغة *Pidgin-English* بأنها رطانة — تتكون أساساً من كلمات انجليزية — تستخدم في التخاطب بين الأوربيين والصينيين ، أنظر :

The Concise Oxford Dictionary of Current English
(Fourth Edition: 1954), p. 899.

وفيما يلي جملة مكتوبة بلغة *Pidgin-English* وترجمتها باللغة الانجليزية .
وقد نقلناها من كتاب أستاذنا الدكتور علي أحمد عيسى :

Mi laikim in tasol.

Me like him that's all.

أنظر :

Aly A. Issa, *Social Anthropology In Theory And Practice*,
(Dar AL-Maarif - Cairo, first edition, 1964), p. 122.

لكه سرعان ما تبين أن ذلك لن يمكنه من التفاعل في الحياة الاجتماعية وفهمها
فبأسلوبها. ومن ثم فقد اتجه لدراسة لغة الأهالي واستخدامها في التخاطب معهم.
يقول مالينوسكي :

« It must be borne in mind that pidgin — English is a very
imperfect instrument for expressing one's ideas »

(B Malinowski, *Argonauts Of The Western Pacific*, p. 5).

كذلك تدلنا الدراسة على أن كثيرا من العلماء قد استخدموا لغة الأهالي أثناء
إجراء دراساتهم الحقلية. ومن هؤلاء العلماء نذكر : بواس (الاسكيمو)
مالينوسكي (جزر التروبرياندا) ريموند فيث (جزيرة تيكوييا) إيفانز برينشارد
(التوير) نادل (التوبي) .

يقول فواتر بواس :

« We must insist that a command of the language is an
indispensable means of obtaining accurate and thorough know-
ledge, because much information can be gained by listening to
conversations of the native and by taking part in their daily
life, which to the observer who has no command of the lang-
uage, will remain inaccessible ».

(Robert H. Lowie, *The History of Ethnological Theory*,
London, 1937, p. 182).

والذي لا شك فيه أن تعلم لغة الأهالي واستخدامها أثناء فترة الدراسة الحقلية
أفضل كثيرا من الاعتماد على لغة pidgin . English أو على المترجمين . إلا أننا
يجب أن نأخذ في الاعتبار أن تعلم اللغة في المجتمعات البدائية ليس أمرا هينا .
فالكمير من هذه اللغات ليس لها أجرومية grammar ولا معاجم خاصة بها . فثلا

يجد أن إيفانز برينشارد يذكر لنا أن اللغة كانت عقبة كبرى في وجهه عندما ذهب
لدراسة قبائل التوير . ذلك أنه لم يتمكن من العثور على أحد المترجمين هناك ،
كما أنه لم يجد أحدا بين التوير يستطيع التحدث باللغة العربية . فضلا عن ذلك
فإنه لم يجد معجما للغة الأهالي . ونتيجة لذلك كله ، فقد قضى كل فترة البعثة الأولى
وجزءا كبيرا من فترة البعثة الثانية في محاولة تعلم لغة الأهالي حتى يستطيع أن
يستخدمها في تخاطبه معهم .

(B. E. Evans — Pritchard *The Nuer* (Oxford, At the Clarendon
Press, 1940, p. 10).

ومن العوامل الأخرى التي تزيد من صعوبة دراسة لغات المجتمعات
البدائية نذكر : قصر مدة البحث الحقلی ، إجراء الدراسة على مجموعات مختلفة
من القبائل .

وفي الأحوال التي تدعو فيها الضرورة إلى الاعتماد على المترجمين ، فإننا
ننصح بأن يقوم الباحث باختيار دقة المترجم بكل وسيلة ممكنة . كما أنه ينبغي
على الباحث أن يقوم بتدريبه أيضا .
كذلك ننصح الباحثين الذين يعتمدون على المترجمين أن يتعلموا أكبر قدر
يمكن من الأسماء بلغة الأهالي : native terms ، وبصفة خاصة الكلمات التي ليس
لها ما يعاويها في لغة الباحث .

(١٣)

البيانات الإحصائية

بالنسبة للجانب الإحصائي في البحوث الحقلية ، نلاحظ أن الدراسات الأولى
كانت تفتقر بالتقص في هذه البيانات . ونحن عند دراستنا لهذه الناحية يجب أن

نأخذ في الاعتبار أن تلك المجتمعات التي درسها العلماء كانت مجتمعات أمية، ولم توجد بها إحصاءات رسمية يمكن للباحث أن يعتمد عليها، ولتلا في ذلك نقص فقد قام بعض العلماء بعمل إحصاءات عن سكان للناطق التي درسوها. وقد سبق وأشرنا من قبل إلى أن ريموند فيرث قد قام بعمل إحصاء لسكان جزيرة تيكوييا. ولما لاشك فيه أن هذا النقص في البيانات الإحصائية كان عقبة كبرى أمام الباحثين فيما يتعلق بإمكان إجراء مقارنات لجوانب مختلفة من الحياة الاجتماعية في فترات مختلفة.

(١٤)

Team research بحث الفريق

من دراستنا للأبحاث الحقلية في المجتمعات البدائية، تبين لنا أن بعض العلماء قد نزلوا بمفردهم إلى الميدان (رادكليف براون، مالىنوسكى). كما تبين لنا أيضا أن بعضهم قد صاحب معه زوجته (مثل ساجمان في جنوب السودان، ريموند فيرث في الملايو). وفضلا عما تقدم، فإننا نجد أن بعض الباحثين قد صاحبوا معهم فريقا من الباحثين (مثل بعثة جامعة كبريدج إلى مضائق تورييس).

ومن أمثلة بحث الفريق في المجتمعات القروية نذكر: دراسات ديمتري جاسق عن القرية في رومانيا ودراسة دوبي وزملاؤه عن قرية شاميريت في الهند.

وفي المجتمعات الحضرية لدينا أمثلة كثيرة على بحث الفريق. ونكتفى هنا بالإشارة إلى دراسة ل. وورنر وزملاؤه في ديانكى سيتى، و. و. جونزفيل.

ولاشك أن هذه الطريقة لها مزاياها في ميدان الدراسات الاجتماعية. فمن

تساعدنا على الوصول إلى فهم أكثر لطبيعة الظواهر الاجتماعية كما أنها تمكننا أيضا من الوصول إلى النتائج المرجوة في وقت أقل بكثير من الوقت الذي يستغرقه باحث بمفرده في الميدان. ورغمنا من ذلك، فهذه الطريقة لها عيوبها أيضا. فهي تحتاج إلى تكاليف باهظة، كما أنه قد يكون هناك نقص في وجود المتخصصين اللازمين للاشتراك في البحث. وفضلا عن ذلك، فقد لا يتسرف بعض الأحيان الاحتفاظ بالعلاقات الودية التي ينبغي أن تكون مائدة بين أعضاء الفريق. أنظر:

على محمود إسلام الفار: «بحث الفريق كطريقة لدراسة المجتمع»، بحث منشور في كتاب: دراسات في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا مهداة إلى روح

الدكتور أحمد الخشاب، - تأليف مجموعة من أساتذة علم الاجتماع بالجامعات المصرية (دار المعارف بمصر - الطبعة الأولى - سنة ١٩٧٥).

(١٥)

خاتمة ومقترحات

تبين لنا مما تقدم أن البحوث الحقلية التي أجريت بواسطة العلماء، خلال القرن التاسع عشر، كانت قليلة. ذلك أن معظم العلماء في ذلك الحين لم يخطر ببالهم زيارة تلك الشعوب التي أنفقوا حياتهم في الكتابة عنها. ويذكر لنا ويليام جيمس William James أنه عندما سأل سير جيمس فريزر، عن الشعوب البدائية التي قام بزيارتها صاح قائلا: ولكن معاذ الله، (١٤).

(١٤) Ruth Benedict, 'Anthropology and the Humanities' in

'An Anthropologist at work: Writings of Ruth

Benedict', By Margaret Mead (London, Secker and

Warburg, 1969), p. 462.

أما في القرن العشرين، فقد نزل الكثير من العلماء إلى الميدان وقاموا بدراسات
حقلية عن المجتمعات البدائية والقروية والحضرية. ويرى ساجمان C G. Seligman
أن أهمية إجراء البحوث الحقلية بالنسبة للأنثروبولوجيا الاجتماعية تعتبر بمثابة
تماما لأهمية دم الشهداء بالنسبة للكنيسة (١٥)

• • •

وفي جمهورية مصر العربية نحن نحتاج إلى خطة عامة لإجراء الكثير من
الدراسات الحقلية. فثلا نحن نحتاج إلى إجراء الدراسات الحقلية عن سيناء
والصحراء الشرقية والصحراء الغربية. كما أننا نحتاج كذلك إلى إجراء الدراسات
عن قرى مصر ومدنها. وبالنسبة للوطن العربي والقارة الإفريقية، نحن نحتاج
أيضا إلى إجراء المزيد من الدراسات الحقلية. وغنى عن البيان أن مثل هذه
الدراسات العلمية هي سبيلنا الوحيد إلى الفهم السليم لطبيعة الظواهر
الاجتماعية.

لكن الدراسات الحقلية تحتاج إلى تخطيط وتمويل وباحثين. ومن ثم
فإننا في حاجة إلى هيئة عليا للبحوث يكون من اختصاصها ما يأتي:

- ١ — إعداد خطة للبحوث في جمهورية مصر العربية.
- ٢ — إعداد خطة للبحوث في الوطن العربي.
- ٤ — التنسيق بين جهود الهيئات العلمية التي تقوم بإجراء البحوث منعما
لتكرار الجهود.

Research in Social Anthropology : A Social Science (١٥)
Research Council Review (London, 1968), p. 82

٥ — إنشاء مراكز للدراسات الحقلية.

٦ — إصدار مجله علمية.

٧ — إنشاء مكتبة متخصصة.

٨ — تقديم المنح العلمية للباحثين.

ونحن ندعو الباحثين إلى التعاون فيما بينهم، كلما أمكن ذلك، وتكوين
فرقاء للبحث العلمي.

كذلك ينبغي علينا أن نبدي اهتماما كبيرا بمشروعات البحوث عن المجتمعات
التي سبق وتمت دراستها من قبل *Follow-up studies*. ذلك أن مثل هذا
النوع من الدراسات يوفر لنا معلومات قيمة عن التغيرات التي تحدث في
المجتمع في أزمان مختلفة.

